




# لأنها استثناء

لأنها استثناء

داليا سيد

I.S.B.N:  978-977-6555-14-3

رقم الإيداع: 2016/9912

الطبعة الأولى: 2016

تصميم الغلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: سارة صلاح

المديرالعام: سيد شعبان

دار تشكيل للنشر والتوزيع

Email: publish@tashkeel- publishing.com

Mobile: 01149480827





# لأنهـا استثنـاء

رواية

## داليا سيـد




تشكيل للنشر والتوزيع

# (1)

كان يجلس سارحًا مسندًا ظهره إلى ظهرها، لا يفصل بينهما إلا ظهر كرسي القطار، المتجه من "مونتريال" إلى "تورنتو"، حين سمعها تتحدث همسًا قائلة: "اتطمن حبيبي أنا وصلت خلاص، ما تقلقش هم كلموني وقالولي هيكونوا مستنيني، آه، هقعد معاهم كام يوم لحد لما أستلم الشقة بتاعة الشغل، خلي بالك على نفسك.

شيء ما في صوتها أثار فضوله، صوتها حنون ودافئ جدًّا، تنطق كلماتها بنعومة وهدوء، هذا بالإضافة إلى أنها تتحدث العربية.

التفت إليها، وعلى استحياء بأطراف أصابعه، ربت بخفّة على كتفها، استدارت ناظرة له بابتسامة رقيقة، قائلة: "yes".

استوقفته عيناها للحظات، عيناها السوداوان اللامعتان برموشهما الطويلة، شعرها الأسود الطويل ينسدل بنعومة ليحيط وجهها المستدير كبدرٍ مضيءٍ وسط ليلٍ دامس السواد، اكتمل هذا البهاء بابتسامة طفلة بريئة، كشفت هذه الابتسامة عن غمازاتين، زادتا خديها سحرًا.

ظلَّ صامتًا للحظات، اختفت حينها ابتسامتها في قلقٍ، وسألته:

"Are You Okay?"

تدارك صمته سريعًا، وسألها: انتي عربية؟

عادت غمازاتاها للظهور في اطمئنان وهي تهز رأسها بالإيجاب قائلة: أهاا، أنت مصري، صح؟

أومأ برأسه أن نعم.

تركت كرسيها بحماسٍ، وتوجهت إليه لتجلس في الكرسي المقابل له، أمالت رأسها ناحية كتفها بدلالٍ ومدَّت يدها بعفوية طفولية لتصافحه: أنا "حنين"، مصرية. احتوى كفه، يدَها الصغيرة الدافئة الناعمة، منذ زمن لم يشعر بدفء يلمسه بهذه الصورة، سحبت كفَّها بنعومة وهي تضحك قائلة: إيدك ساقعة جدًّا.

لم يتمالك نفسه من الضحك؛ فقد كانت تلقائية وعفوية بشكلٍ كبيرٍ، حتى إنه يخيَّل لك أنك تعرفها منذ زمنٍ بعيدٍ.

أردفت في خجلٍ: آسفة بس فعلًا إيدك باردة جدًّا.

قال وهو يضم كفيه لبعضهما: ولا يهمك، همّا فعلًا كده.

ثم سألها وهو ما زال مبتسمًا ابتسامته العريضة: بقالك كتير في كندا؟ قالت بمرح: إستنى بس، قولّي الأول، أنت اسمك إيه؟

قال مبتسمًا: أنا يوسف.

ابتسمت وهي تعتدل في مقعدها قائلة: إمممم، محظوظة أنا يا يوسف، اتشرفت بيك.

كانت تتحدث بدلال طفلة، تحرِّك رأسها بنعومة فيتحرك شعرها بنعومة كأنه يغازلها.

– انتي عايشة هنا مع مين؟

– مش مع حد، أنا لسه واصله امبارح، بس جيت كندا قبل كده وأنا صغيره مع بابا وماما، جايه المره دي عشان شغلي.

– تمام، الحمد لله على سلامتك، آسف بس أنا سمعت مكالمتك، بتقولي في حد هيستناكي عشان السكن وكده، أنا المكان اللي ساكن فيه ممكن أساعدك لو حابه تأجّري مؤقتًا لحد لما أمور تستقر.

أشارت بعفوية ناحية نافذة القطار قائلة: لا لا، أنا ليَّ صديقتي وزوجها هنا، هيستضيفوني عندهم، لحد لما أشوف السكن اللي هيوفرهولي الشغل، شكرًا على اهتمامك.

وضعت كفها على فمها مغمضة عينيها كقطة ناعسة وهي تتثاءب في خجلٍ، ثم قالت: آسفة بس لسه تغيير توقيت النهار والليل ملخبطني.

ردَّ يوسف: معلش حبة كده لغاية لما الساعة البيولوجية لجسمك تتعود، كانت تضع شالًا ناعمًا على ساقيها، سألته وهي تلفه على كتفيها: هو فاضل أد إيه ونوصل؟

قال وهو ينظر إلى ساعة يده: الرحلة تقريبًا بتاخد من 5– 6 ساعات، اتحركنا من ساعتين، يعني فاضل تلات أربع ساعات ونوصل، إن شاء الله.

ابتسمت: الله، أول مرة أسمعها من ساعة ما جيت.

هزَّ رأسه مستفهمًا: هي إيه؟!

قالت مبتسمة، وعينها تغالب النوم: كلمة (إن شاء الله).

ابتسم هو بدوره وقال: انتي بتنامي على فكرة.

قالت وهي تضم نفسها بشالها: ممكن لو نمت، قبل ما نوصل تنبهني؟

قال بترحاب: طبعًا.. متقلقيش.

هزت رأسها مطمئنة وأغمضت عينيها، ليس بقرار منها، بل بأمر من جسدها المنهك.
مدَّ يده إلى نظارته ليرتديها، وحاول أن يكمل قراءة في كتابه الذي وضعه جانبًا حين سمع صوتها.. ما هي إلا سطور قليلة حاول التركيز فيها، ولكن عينه كانت تخونه كثيرًا لتسترق النظر إليها.

"ما بك؟" قال عقله.. منذ متى وتشتت انتباهك وتركيزك فتاة!

لا أدري ولكن براءتها وعفويتها، لفتت انتباهي، ثم أنها مازالت غريبة عن المكان وبالتأكيد تحتاج للمساعدة، أضف إلى ذلك هي بنت بلادي.

ردَّ عقله: قالت لك إن هناك من سيرعاها، فلِم الانشغال؟!، لنكمل ما كنا نقرأ. أخذت عينه تدور بينها وبين كتابه وساعته، ليعلم كم تبقَّى من الوقت على الوصول.. جميلة جدًّا، ورقيقة ووديعة كقطة استكانت وسط شالها.

ضمَّ شفتيه ورفع حاجبيه هامسًا لنفسه: "(حنين)"، فتح الصفحه الأولى من الكتاب الذي بين يديه وأخرج قلمه، وكتب (حنين)، نظر لها مرة أخرى في انكماشها على نفسها ويدها التي تسند عليها خدها تشبه ال (جنين)، حقًّا رحم الحياة لا ينضب أبدًا، دائمًا ما يأتي بالجديد، والجميل أيضًا.

قبل أن يصل القطار بحوالي ربع الساعة، جلس في المقعد المجاور لها، وأخذ ينطق اسمها بهدوء: حنين، حنين.

فتحت عينيها وهي تبتسم، ثم نظرت إليه وعيناها شبه مغلقتين وقالت: وصلنا؟ هو ينفع يكمل بينا على مصر؟!

ضحك قائلًا: يا ريت، ثم أردف قائلًا: كلمي صاحبتك شوفي وصلوا ولا لسه؟ قالت: وهي تقوم لتذهب نحو مقعدها الأول، لما نوصل خالص أحسن، مش عايزة أعملّهم قلق.

صمت وهو يراقبها وهي تلملم أغراضها في حقيبة يدها، أجندة وأقلام ملونة، سكتش صغير للرسم.. ترى ماذا تعمل؟!

وصل القطار، استوقفها قبل أن تنزل حقيبة سفرها الكبيرة نوعًا ما وهو يرتدي حقيبته على كتفه، قائلًا: سيبيها أنا هنزلهالك، رفضت بشدة، وقالت: مش تقيلة ماتخافش.

قال: أنا مش معايا شنط متقلقيش. –وأشار لها بيده ناحية النزول–: الحمد لله على السلامة، اتفضلي، أنا وراكي على طول.

ما إن وطأت قدمها رصيف محطة القطار، لامس الهواء البارد وجهها الدافيء ودفع بشعرها إلى الوراء، تحول خداها وأنفها للون الأحمر، وضعت يدها مسرعة على فمها وأطلقت سعلة خفيفة.

وهو يضع حقيبتها على الأرض أمامها، نظر لها يوسف مبتسمًا قائلًا: عادي جداً، ألف مبروك، أول دور برد هو تأشيرة الدخول، بعد كده خلاص هتبقي مننا.

ابتسمت وقالت: متشكرة ليك جدًّا، تعبتك، وفرصة سعيدة.

قال: فين صاحبتك، هستنى معاكي لحد لما ييجوا.

أخذت تنظر حولها، قاطعها قائلًا: اتصلي بيهم أفضل.

أخرجت هاتفها محاولة الاتصال، ولكن هاتف صديقتها، خارج نطاق التغطية، أخذت تنظر حولها كطفلٍ ضائعٍ في وطنٍ غريبٍ.

أتاها صوته مطمئنًا: متقلقيش أنا معاكي، هنستنى شوية لو لسه مردتش أو مجاتش، هتصرف.

أمسك بحقيبتها وجرّها إلى جانب حائط المحطة، وأشار لها على المقاعد لتجلس.

عيناها الحائرة المتوترة، أخذت تنظر إلى كل الوجوه ذهابًا وإيابًا، تلك الوجوه التي اختبأت من البرد تحت أغطية الرؤوس الصوفية، مما صعَّب عليها مهمة اكتشاف ملامح صديقتها أو زوجها، وزاد ذلك من توترها وقلقها..

سألها يوسف: ممكن أقولك رأيي؟

تعلقت عيناها به وهي تهز برأسها في قلقٍ بالإيجاب.

– هم معاهم رقمك صح؟ قالت بشرودٍ: آه معاهم.

قال مبتسمًا: خلاص متقلقيش، تعالي نشرب حاجة في مكان قريب من هنا لحد لما يكلموكي، أسوأ الظروف لو ما اتكلموش، أنا قولتلك المنطقةاللي أنا عايش فيها، في أماكن ممكن تأجري فيها لو ليلة مؤقتًا.

نظرت له في شرودٍ وقالت: بس أنا مش عايزة أعطلك، أنا ممكن أتصرف.

– مش هتعطليني، أنا كنت هشتري مستلزمات للبيت وأروّح مش ورايا شغل النهارده.

ابتسمت في خجلٍ، وقالت: خلاص اللي تشوفه.

في حماسٍ، جرَّ عجلات حقيبتها وهي تسير إلى جواره، حتى وصلا خارج محطة القطار، قالت بصوتٍ خافتٍ: أنا اللي هدفع التاكسي، أوك؟

أشار بإصبعه إلى الناحية الثانية من الطريق، وقال بابتسامة جانبية على شفتيه: عربيتي في الجراج ده.

طأطأت رأسها مبتسمة: في خجل، وسألت: الكافيه بعيد؟

قال: بصي هو في كافيه هنا، بس اللي أنا بحبه مش بعيد عن هنا، تحبي إيه؟

رفعت كتفيها بحيرة، وقالت: خلينا هنا، عشان لو اتصلوا بيَّ أكون قريبة منهم، لو مش يضايقك.

قال بابتسامة: أبدًا، أنا عايزك تكوني متطمنة بس.

وهو يطلب كوبين من القهوة، سألها: ماجوعتيش؟ الطريق كان طويل.

ابتسمت وهزت رأسها بالنفي، بدأت تشعر بالإحراج الشديد، هي جائعة بالفعل، ولكن من هو لتصرح له بهذا، يكفي ذوقه المتناهي ووقته الضائع معها..

طلب من النادل إضافة ساندويتش، وما إن صار الطلب جاهزًا، حمله وتوجَّه إلى طاولة وسحب لها كرسيًّا لتجلس قبالته.

جلس ووضع كوب القهوة أمامها، ثم أمسك بسكينة وقسَّم الساندوتش بينهما، واضعًا نصفه أمامها بجوار كوب القهوة الخاص بها، مشيرًا لها لتأكل، وبدأ هو بالأكل، ليخفف عنها حدة الخجل الذي شعر أنه يملأ ملامحها.

ما إن أمسكت كوب قهوتها ورشفت منه رشفات قليلة حتى سمعت هاتفها يرن باتصال، وقعت عيناهما على شاشة الهاتف لتقول له في فرح: هي.

ردَّت: ألو، آه وصلت، انتي فين؟ حاولت أتصل بيكي موبايلك out of service!! تمام، لأ أنا في كافيه قدام محطة القطار على طول، خلاص أنا هخرج أهو، باي.

وهمت قائمة، نظر لها، وقال: وصلوا؟ طيب استني كمّلي قهوتك.

أشارت ناحية زجاج الكافيه للخارج، وقالت: أهُم بص العربية السوداء دي، هم. ولوَّحت بكفها لصديقتها، ثم قالت مسرعة": بجد شكرًا ليك، سعيدة بمعرفتك. وأخذت حقيبتها لتجرها خارجة.

استوقفها: "حنين"، ممكن آخد رقم تليفونك؟

– طبعًا اتفضل. أخرج كتابه وفتحه على الصفحة الأولى التي كتب عليها اسمها وهو في القطار، وكتب ما أملته إياه.

وخرجت مسرعة. أخذ ينظر إليها من خلال الزجاج، نزلت صديقتها من السيارة لتعانقها بحرارة، وأخذ زوجها يضع الحقيبة في السيارة، وركبت.

لم يتوقع أن تلتفت إليه، ولكنها ببراءة الطفولة التي جذبته إليها، أخذت تنظر من خلال نافذة السيارة حتى رأته، ابتسمت ولوّحت له بحماسٍ ورِقّة، مودعة إياه.

* * *

# (2)

في السيارة.

– عبير: حنيين وحشتيني قووي، ، بتشاوري لمين يا بنت؟!

– ده واحد اتعرفت عليه في القطار، مارضيش يسيبني لحد لمّا تيجوا،
– عبير ضاحكة: انتي لسه ما اتغيرتيش، لازم كل مكان تروحيه حتى لو دقائق تسيبي بصمتك.

– ضحكت حنين قائلة بغرور: مش أي حد يا بنتي. تصدقي إنه طلع مصري كمان، رغم إن ملامحه مش مصرية قوي.

– هنا هتلاقي كل الجنسيات والأشكال متركزيش.. المهم، قوليلي عمو ومصر والناس هناك عاملين إيه؟؟

أجابتها "حنين وهي تنظر من نافذة السيارة:

– عمو كويس بس قلقان عليه قوي، تعبني جدًّا عشان يوافق على السفرية دي.

– خالد زوج عبير: معلش اعذريه يا حنين هو خايف عليكي، خصوصًا بعد ظروف الفترة الأخيرة.

– عندك حق، فكرتوني، أنا نسيت خالص أكلمه وأطمنه إني وصلت.

ظل يوسف جالسًا يحدق في مكانها الذي تركته مسرعة وكوب قهوتها الذي لم يلبث بين أصابعها طويلًا، ولم تشرب منه سوى القليل جدًّا.. فقدَ شهيته فجأة، ترك كل شيء مكانه، وخرج.

ما إن ركب سيارته حتى أتاه اتصال، من "صوفيا"، صديقته الكندية، نظر للهاتف بضجر وألقى به على كرسي السيارة المجاور له، ولم يعر لرناته المتواصلة انتباهًا؛ فهي تعلم بموعد وصوله، ولم تهتم أن تكون في انتظاره.

– حنين دي أوضتك حبيبتي، فيها كل اللي ممكن تحتاجيه، أنا رتبتها على ذوقك يارب تعجبك، ولو احتجتي أي حاجة أنا تحت خدي راحتك، نورتيني حبيبتي.

احتضنت حنين صديقتها بشدة، قائلة: أنا بحبك قووي يا عبير، الحمد لله إنك هنا.

لم تكن عبير مجرد صديقة عادية بالنسبة لحنين. فهي تكبرها بخمس سنوات، وكانت دائمًا في مكانة الأم والأخت الكبرى التي لم تحظَ بهما في حياتها، ظلت هكذا حتى تزوجت عبير وهاجرت مع زوجها خالد إلى كندا، تتذكر كم كانت تكنّ لخالد بعض مشاعر الغضب بداخلها؛ فهو من سيأخذ صديقتها بعيدًا عنها، لم تصرّح بذلك أبدًا لعبير، ولكنه استطاع بحُسن خلقه وتعامله كأخ أكبر لها أن يذيب ما في قلبها من ناحيته، بل على العكس استطاع أن يكون إضافة كصديق جديد في حياتها تثق به كثيرًا.

خرجت عبير من الغرفة وأغلقت الباب وراءها، نظرت حنين حولها بسعادة يشوبها بعض الشرود، الغرفة نظيفة ومنمقة، مصممة على الطراز القديم الذي تحبه، مدفأة في الركن الجانبي للغرفة، اشتعلت فيها شعلة من النيران، ليعم الغرفة دفءٌ محبَّب افتقدته في الخارج كثيرًا. أمام المدفأة كرسي خشبي هزَّاز، وطاولة صغيرة وهي تخلع عنها شالها وكوفيتها، لتضعهما جانبًا، وهي تنظر صوب الكرسي والطاولة، قالت محدثة نفسها:

جميل جدًّا، كده أقدر أرسم وأكتب براحتي. اتجهت نحو النافذه، أزاحت الستارة بهدوء، ونظرت لترى الثلج الهش الذي يتساقط على الطرقات، وقالت بتوسُّل وهي تغمض عينيها: يارب خليك معايا.

وصل يوسف إلى مكان التسوق الذي اعتاد عليه والقريب من منزله، ابتاع كل ما يلزمه لأسبوعٍ، بشرود غريب، وعدم حماس.. أخذ عقله يتساءل ما بك؟!، لست على ما يرام اليوم!!

ردَّ على نفسه: مش عارف بعد ما شُفت حنين وسمعتها ومشيت فجأة، إحساس الغربة رجعلي تاني رغم إني كنت نسيت الشعور ده من كتيييير!! عمومًا.. هرجع الشغل بكرة، وكله بيتنسي عادي. قطع حواره مع نفسه، اتصالٌ من "صوفيا".

فتح الخط، وردَّ ببرودٍ وفتورٍ شديدين، لم يرد حتى عتابها، فقد عاتبها كثيرًا من قبل، ولم تتغير، وحتى لو نفّذت ما طلبه منها، فالاهتمام والاشتياق لا يطلبان، "صوفيا" فتاة كندية جميلة، تعرَّف عليها في إحدى الحفلات مع أصدقائه، أحبَّها وأحبته، وعاشا معًا تحت ما يسمى بعلاقة ال**boy and girl friend**، حسب الأجواء السائدة في الدول الغربية، ولكن في الشهور الأخيرة، بدأت علاقتهما تأخذ منعطفًا آخر، ظهر فيها الكثير من الخلافات والاختلافات بينهما.

وضعت حنين حقيبتها على السرير ذي الغطاء الوردي الناعم، ابتسمت وهي تحدِّث نفسها: حبيبتي يا عبير، عارفة إني بحب الألوان الهادية الرقيقة.

أخرجت ملابسها، تحممت وتعطرت، ودست نفسها بداخل اللحاف الوثير، تحسسته بنعومه، وبابتسامة تحدثت لغطائها قائلة: أد إيه أنت دافئ وناعم وحنون، أغمضت عينيها ونامت.

في تمام السادسة صباحًا، دقَّ المنبه موقظًا كليهما.

فتحا عينيهما في نفس اللحظة، ولكن عيني حنين كانتا أكثر حماسًا وإشراقًا، بينما ظل يوسف في سريره متكاسلًا محدقًا في سقف غرفته لدقائق قبل أن يهم قائمًا. ارتدى ملابسه، لم يتناول فطوره، واكتفى بفنجان صغير من القهوة.

بعد أن ارتدت حنين ملابسها ورتّبت شعرها وزينتها، وما إن همت بفتح باب الغرفة حتى جاءها صوت عبير من الطابق السفلي قائلة: حنين، حبيبتي الفطار جاهز. نزلت على السلم الخشبي، لترى عبير وزوجها في انتظارها على طاولة الطعام ينظران لها بابتسامة مرحِّبة، تفاءلت بابتسامتهما كثيرًا؛ فقد جعلا الأمان يسري فيها، فهي قلقة جدًّا، بلد غريب، مهمة عمل يجب أن تثبت فيها كفاءتها وتميُّزها.. كفاءتها وتميُّزها، هما ما أهلها دونًا عن سائر زملائها الذين فاقوها سنًا وخبرة، لهذا المنصب الجديد.

تناولت فطورها، ارتدت حقيبتها وتأكدت من وجود كل ما تحتاجه بداخلها، ألقت التحية عليهم، بعد أن أكَّدت عليها "عبير" أن تتصل بها أو ب "خالد"، في حال احتاجت أن تسأل عن أي شيء.

اتصل "يوسف" بـ "صوفيا" ليسألها هل تحتاج أن يمر عليها ليأخذها في طريقه إلى مقر عملها، جاءه ردّها بالإيجاب، انتظر أمام منزلها، حتى نزلت لتركب بجواره. ما إن جلست حتى طبعت على خده قبلة، قائلة": “good morning”

ردَّ عليها بنفس الكلمات، ومدَّ يده ليدير الراديو، كتصريح غير مباشر بعدم رغبته في الحديث.

تغيرت مشاعرهما كثيرًا، فلم يعد يشعر منها أو من ناحيتها بأي إحساس، مجرد أحداث ومواقف تعاد في رتابة.

أوصلها وتمنى لها يومًا سعيدًا مع ابتسامة ضغط على ملامح وجهه لتظهر، وصل المستشفى، أخذ يحيي كل من يلقاه ويحييونه، فهو طبيب محبوب جدًّا، ومشهود له بالكفاءة، والتفاني في العمل.

أخذت نفسه تحدِّثه: أووووف، كلمات روتينية وملامح مكررة منذ سنوات. – ماذا دهاك يوسف، لم تنم جيدًا،!! ضجر وملل!! ما ذنب مرضاك أن تزيد من أعبائهم عبئًا، بملامحك الخالية من التعبير هذه؟!، خذ نفسًا عميقًا، ابتسم من الداخل، فابتسامة الشفاه لا تصل إلى القلوب، ابتسامة قلبك تفعل، وقد تشفيهم بلا دواء.

استقلت "حنين" سيارة أجرة وأخذت تركز في الطريق ومعالمه جيدًا، كي تميّزه ببعض المحال وأسماء الشوارع على اللافتات.. إحساس جميل، اكتشاف الجديد؛ فهي منذ نعومة أظفارها شغوفة بمعرفة كل جديد، ليس للمعرفة فقط، ولكن لتضيف هي إليه من جديدها.

وصلت شركتها، شركة دولية عريقة في مجال الدعاية والإعلان، وما إن عرفت بنفسها عند مكتب الاستقبال، حتى تهلل الجميع مرحِّبًا بها، واصطحبوها إلى حيث مكاتب الإدارة.

بحفاوة شديدة، تعرَّفت على مدرائها، وتسلمت مكتبها الجديد الذي ستباشر منه عملها منذ اللحظة.

أنهى "يوسف" يومه، وعلى غير عادته، لم يتصل ب "صوفيا " ليطلب منها أن يتقابلا، أو أن يخبرها أنه في طريقه للمنزل إذا أحبت أن تأتيه.

ذهب إلى الكافيه المفضل لديه، حيث الهدوء وموسيقى البيانو الناعمة، اصطحب معه رفيق عمره، الكتاب، وإصبع كفه السادس، القلم.

**ما إن التفّت أصابعه حول قلمه حتى شعر ببرودة أطرافه، تذكر ضحكتها البريئه عندما تلامست يداهما، بدفئها وبرودته، وكأنها تحتفظ بدفء بلديهما في عروقها، بينما سرت في عروقه دماء الغربة الباردة.**

**وتحرك القلم ليكتب..**

**لست كأي أحد، منذ اللحظة الأولى التي سمعت فيها صوتك ووقعت عيناي عليكِ، كان هذا هو انطباعي الأول عنكِ، أدركت اختلافك، تفرُّدك، تميُّزك عن باقي بنات جنسك.**

**عيناك، ملامحك البريئة الصارخة الأنوثة، تدل للوهلة الأولى على غرورك، ولكِ كل الحق، نبرة صوتك، ابتساماتك الخفيفة، جلستك، مشيتك، تدل على ثقة عظيمة، وأنتِ أهلٌ لها وبجداره، من أنت لتحولي الحياة من حولي في لحظة إلى أنتِ، أنت وفقط؟!**

**كان يكتب ظنًا منه أنه لا يكتب عنها، ظن أنه يكتب للكتابه فقط، تفريغًا لشحنة من طاقة سلبية لم تنتبه منذ سنوات.**

**بعد أن أنهى كتابته، وحين همَّ بغلق الكتاب، ألقى نظرة على رقمها الساكن فوق أولى صفحاته، وكأنه يتحرك أمامه قافزًا على أوتار قلبه يدغدغها، ألا يجب أن تطمئن عليها؟!**

**أخذ القرار سريعًا، سأحادثها!!**

************

# (3)

**أمسك هاتفه، شعر بقلبه، متفاعلًا مع كل ضغطة زر، مزيج من السعادة والتوتر يسريان في جسده، رن الهاتف طويلًا، حتى إنه قد همَّ بقفل الخط، ليأتيه صوتها، هذا الصوت الملائكي الهارب من السماء.**

**- آلو..**

**- حنين، أنا يوسف، اتقابلنا امبارح في القطار!!**

**تهللت أساريرها وبدا في صوتها الفرح والحماس الشديدان وهي تقول: يوسف، طبعًا فاكراك، إزيك؟**

**- أنا تمام، قُلت أتطمن عليكي، وأشوف لو محتاجة أي حاجة!!**

**- ربي يخليك، بجد كلك ذوق، كل حاجة تمام الحمد لله واستلمت الشغل النهارده كمان.**

**دفعه الفضول ليخطو خطوة أخرى نحوها ليكتشفها ويتعرف على بعض تفاصيلها، فسألها: انتي بتشتغلي فين؟**

أجابت: شركة (جولدن هورس) للدعاية والإعلان، ممكن تشرفني بزيارتك في أي وقت أكيد.

زادت مشاعره ارتباكا واضطرابا، وصمت للحظات؛ فهو لا يريد أن تشعر أنه يفرض أو يقحم نفسه في حياتها.

حتى جاءه صوتها، متسائلًا: آلو، يوسف أنت معايا؟!

ردَّ مسرعًا: طبعًا، طبعًا، عموما ده تليفوني لو حبيتي تكلميني في أي وقت، تحت أمرك لو احتجتي أي حاجة.

– هسجله عندي أكيد، متشكرة جدًّا على اهتمامك.

تبادلا السلام، وأغلق الخط. تحت اسمها ورقم هاتفها، كتب "شركة جولدن هورس".

أخذ ينظر لصفحة كتابه، كانت الصفحة فارغة البارحة، واليوم وصلت للسطر الثالث.. اسمها، رقم هاتفها، مكان عملها، وماذا بعد؟!

تساءل بحيرة: وهل هناك من بعد؟!

شهد سرير يوسف ليلتها أنه لم يقلق عليه هكذا في يومٍ ما، ظل فكره مشغولًا بها طوال الليل، أراد أن يطوي الليل سريعًا ليراها؛ فقد عقد العزم على زيارتها في عملها غدًا، شعور غريب يسيطر عليه بالخوف من أن يسبقه أحدهم إلى قلبها معلنًا عن حبه لها، بل ماذا لو كان هناك من شخص وحب في حياتها فعلًا؟! فمثلها يصعب بل يستحيل أن تُترَك بلا حب، مشاعر مختلطة بداخله، كان على يقين أنها منذ كانت صغيرة، وقع الكثيرون في غرامها، فماذا بعدما أصبحت أنثى، مكتملة الجاذبية والأنوثة!!

قضى الليلة بين مكتبه وشرفته، حتى أشرقت شمس النهار معلنة بدء يوم، وإحساس جديدين.

بدأ بترتيب أوراقه وملابسه سريعًا، وكأنه يصارع الزمن ليصل إليها، لم يتناول فطوره، ولم يفعل شيئًا مما يفعله عادةً كل صباح،

لم تنم حنين ليلتها أيضًا، ولكن لسبب مختلف، فقد كانت ترتب وتراجع بعض الملفات والأوراق الخاصة بالشركة، كانت مرهقة جدًّا، غالبت الإرهاق والنعاس فقد كانا أضعف المتاعب التي واجهتها في حياتها، وما إن أشرقت الشمس حتى استعدت وتجهزت ليوم شاق جديد، لن يهونه عليها سوى نظرات وكلمات الإطراء التي لم تفقد سحرها بالنسبة لها بالرغم من كثرة سماعها لها، فشغفها وتفانيها يدفعاها دومًا لتحتل الصدارة في التميُّز والاستثناء.

لم يفكر يوسف ولو للحظة في صوفيا اليوم، لم يتصل بها، وساعده على ذلك أنها هي الأخرى لم تتصل به، أو تسأل عنه. أنهى عمله في وقتٍ مبكر، كان قد سأل وتحرَّى عن مقر شركتها، وما زال لا يعرف السر الذي يشده إليها إلى هذا الحد!!

لكن ولِم لا، فهي بنت بلده، وقد اشتاق لبلده كثيرًا، و"حنين" حديثة العهد بها، هذا لا ينفي أن هناك خيوطًا غامضة تشده إليها، ولا يستطيع تحديد هويتها.

ها هي الشركة، ركنَ سيارته ودخل ردهة الاستقبال، يبدو أنها شركة عريقة، لكن ترى ما هي طبيعة عملها في مثل هذه الشركة الضخمة؟!

سأل عنها، وتوجَّه إلى حيث مكتبها، طرق طرقات سريعة على باب مكتبها الزجاجي، التفتت إلى الطارق، وما إن رأته حتى وقفت رافعة حاجبيها في اندهاش وعلت وجهها ابتسامة فرِحة مرحِّبة بقدومه ورؤيته.

أشارت له بالدخول.. دخل مكتبها، كم هو أنيق، مبهر، مثلها تمامًا..

أشارت بيديها ذات الأصابع الرشيقة إلى الكرسي الذي أمام مكتبها، "اتفضل"!!

أحس أنه كلما اقترب منها خطوة، تورَّط في شعورٍ يغالب قلبه أن يعترف به!!

ما إن جلس، حتى عادت لتجلس إلى مكتبها مرة أخرى وعيناها معلّقتان على ملامحه التي استشعرت منها أنه ليس على ما يرام!!

نظرَ لها يوسف ليبدأ حديثه باعتذار عن قدومه بدون موعد مسبق، وهي تخبره أنه مرحَّب به في أي وقت، أخذ يتأمل وجهها الذي يشع أملًا، وردودها اللبقة المفعمة بالحيوية.

لم يستطع قلبه الصمود كثيرًا، فأطلق دقاته عالية مدوية في صدره، حينها نظرت في عينيه مباشرة، وسألته: يوسف، أنت كويس؟!

نظر لها كتائه في عرض بحر، أتاه صوت منقذه من بعيد مطمئنًا، ها قد جئت لأنقذكز

صوت بداخله يقول: ماذا فعلتِ بي؟!

استجمع كلماته، وقال: الحمد لله، تمام.

ردت حنين بعدم اقتناع: الحمد لله، تحب تشرب إيه؟ سألته وهي تهم واقفة لتحضر له ضيافته.

قال بصوت هادئ لا يظهر ما يجول في صدره من ضجيج، ناظرًا في ساعة يده، وقد همَّ بالنهوض: لا، شكرًا، أنا لازم أمشي دلوقتي.

ثم أردف قائلاً: انتي ممكن تقبلي عزومتي على العشاء النهارده؟!

نظرت حنين له باندهاش، ثم نظرت لكثرة الأوراق على مكتبها، وقالت: مش عارفه أقولك إيه، أنا مش عارفة ممكن أخلص الشغل على إمتى!! ممكن أحاول وأكلمك، بس مش أكيد، بعتذر منك، لكن أنا لسه مستلمة الشغل ومحتاجة وقت أنظم فيه السيستم، مش هيكون وقت كتير بس اليومين دول مهمين بالنسبة لي جدًّا.

ردَّ يوسف: أكيد أنا متفهم كل ده، أنا هنتظر منك اتصال لو قدرتي، وأتمنى ده يحصل فعلًا، ومش لازم النهارده بالتحديد، ممكن تحددي اليوم اللي يناسبك، أوك؟

أغمضت حنين عينيها بسرعة ودلال، كإشارة منها على سعادتها لتفهمه اعتذارها اللبق، ثم قالت: صدقني هحاول، أنا سعيدة جدًّا باهتمامك، شرف ليَّ دعوتك أكيد.

تمنى لها التوفيق، ورحلَ.

يوسف، ألم نتعاهد منذ فترة أن نترك العاطفة والحب جانبًا حتى نتجنب صدمات وعذابات الحب؟! خاطبه عقله بهذه الكلمات.

تكلم القلب حينها، قائلًا: و من قال لك أنه حب ؟ إنه مجرد إعجاب .. إنجذاب .. إرتياح .. رأفة" به صديقي .. هل ستظل تلومه و توبخه .. كلما تحركت مشاعره تجاهها .. ؟!ما إن خرج يوسف من المكتب، تبعته حنين بنظراتها، متسائلة، لماذا أتى؟!، دعوة على العشاء؟!

باستغراب لوت شفتيها ورفعت حاجبيها ورفعت كتفيها، عادت لتنظر في شاشة الكمبيوتر أمامها، ولكن الشرود كان ينتابها من الحين للآخر، تفكر في يوسف واهتمامه، حدَّثَت نفسها بصوت مسموع: أنا مسألتوش هو بيشتغل إيه؟

في طريقه لمنزله كان يستمع إلى هذه الكلمات، (برغم إن الكلام ع الحب من نظرة، كلام متعاد، وإن الصدفة أحيانًا، بتبقى بألف ألف معاد) من أغنية ( بحبك من

زمان جدًّا لمحمد محسن ). بدأ يفتح ضلوع صدره لتتسع لاستقبال قلب وليد، بدأ ينصت بمسامعه لصوت قلبه الذي اختار أن يبدأ حبًّا جديدًا.

يبدو أن هذه الفتاة مختلفة، قفزت إلى رأسه فكرة: المختلفون عادة غير تقليديين، وسأكون معها كذلك، إن لم تتصل اليوم، لن أتصل بها أيضًا، ولكن سأفعل ما يجعلها تتصل هي، غدًا.

* * *

## (4)

حنين عملها متأخرًا، عادت إلى المنزل وهي مرهقة جدًّا، ما إن دخلت حتى استقبلتها عبير بترحاب، قائلة: حبيبتي، اتأخرتي قوي كده ليه، أنا كنت لسه هكلمك وأقولك هخلي خالد وهو راجع من شغله يعدي عليكي ترجعوا مع بعض.

ردَّت حنين: اليوم كان ملياااان شغل، بس عادي أنا متعودة على كده.

قالت عبير: متعودة على إيه بس؟!، أنت شكلك مرهق جدًّا، انتي لسه ملحقتيش حتى ترتاحي من السفر.

قالت حنين وهي تصعد على السلم: أنا طالعة أرتاح أهو، متقلقيش عليَّ بقى. وأرسلت لها قُبلة مرحة في الهواء، وضحكتا، قالت لها عبير: يلّا يا شقية أنا عارفة إنك بتطمنيني وخلاص، هو أنا مش عارفة انتي بتيجي على نفسك أدّ إيه؟!

قالت حنين مسرعة: آه صحيح، عارفة مين جالي الشغل النهارده؟!

عقدت عبير حاجبيها متسائلة في استغراب: مين؟!

ردَّت وهي تبتسم في خبثٍ: فكَّري على ما آخد شاور وأنزلّك.

صعدت لها عبير مسرعة على الدرج وهي تضحك: بطّلي بقى شقاوتك دي قولي مين، بعدين هو مين يعرفك في البلد هنا أصلًا غيرنا؟!

هدأت ملامحها وهي تجيب بصوت دافئ: يوسف.

في عدم تركيز سألت عبير: يوسف مين؟!

أجابت حنين وهي تمسك برِقّة خد عبير مداعبة إياها: يوسف بتاع القطار، عادت عبير لتعقد حاجبيها بتعجب متسائلة: وهو عرف مكان شغلك إزاي؟!

أجابت وهي تنظر في عيني عبير وكأنها تنوّمها مغناطيسيًّا: وبصوت هامس قالت: أنا جعانة جدًّا والتفاصيل دي محتاجة حد مركز، هطلع آخد شاور وأنزلّك أحكيلك واحنا بنحضَّر العشاء، وتركتها وهمَّت بالصعود.

أمسكت عبير بذراعها متوسلة إياها الإجابة: علشان خاطري قولي.

ضحكت حنين وأشارت على بطنها بحركة طفولية بحزن، ولو قولتلك علشان بطني!!

ضحكتا وقالت لها عبير: يا قلبي انتي جعانة للدرجة دي، طيب خلاص يلا بسرعة مستنياكي.

رتَّب يوسف الأمر مع أحد محال الورد، وأرسل باقة من الزهور ليضعوها على مكتبها قبل موعد وصولها، مع بطاقة كتب عليها: (رغم إني زعلان، لكن المسامح مش "كريم"، المسامح "يوسف").

كم تمنى أن يرى ملامحها وشفاهها الجميلة وهي ترسم عليها ابتسامتها الرقيقة التي سيشوبها الخجل، عندما تقرأ كلماته.

دخلت حنين مكتبها في الصباح، وجدت باقة من الزهور الرائعة، شكلها مميز فعلًا، أمسكت البطاقة، يفوح منها عطر رجالي أخّاذ، أخذت تقرأ ما كُتِبَ عليها بحاجبين معقودين بفضول لمعرفة من المرسل، وما إن وصلت إلى كلمة، "يوسف"، حتى ضحكت بصوتٍ مسموعٍ، وضعت كفها على فمها خجلًا، أخذت تجول بنظرها بين

**البطاقة وبين الوردات، تورَّد خداها وهي تلمس الزهور، وتقترب منها لتشمها، رائحة عطره التي التصقت بأصابعها امتزجت برائحة الورد، لتزيد من عشقها للأزهار، نظرت للبطاقة مرة أخرى وهزت رأسها وهي تبتسم ابتسامة عريضة، جلست لمكتبها وأمسكت بهاتفها، لتحادث، يوسف:**

**– آلو، أكلم "كريم"، لو سمحت، ولم تستطع أن تتمالك نفسها من الضحك، جاءها صوته ضاحكًا هو الآخر، وقال: آسف كريم أجازة، يوسف اللي واخد الشيفت النهارده.**

**ضحكت حنين مرة أخرى، وقالت: خلاص لما ييجي قولّه إني سألت عليه، بس بجد جديدة عجبتني الفكرة قووي.**

**قال يوسف وهو يكاد يعبر المسافه بين الهاتفين قفزا" إليها، عجبك الورد،؟! قالت بدلال: جدا"، بجد آسفه إني نسيت أكلمك امبارح،**

**– متتأسفيش، أنا قولت بس أحسسك إنك مش في بلد غريب،**

**– خلاص، إيه رأيك النهارده أنا اللي عزماك؟!**

**– موافق، بس على شرط..**

**–هو إيه؟!**

**– كريم ميجيش معانا.**

**– يوسف كفاية بقى مش عارفة أبطَّل ضحك.**

**ضحك الاثنان كثيرًا، تم الاتفاق على مطعم من اختيار "يوسف".**

**أنهى يوسف عمله في حماسٍ ونشوة شديدين وهو يتوق لرؤياها والتحدث إليها، عاد لمنزله وأخذ يرتّب نفسه استعدادًا للقائها.**

عادت حنين مبكرًا من العمل، وأخذت تعد نفسها لأول دعوة لها على العشاء، لم يخلُ بالها من تساؤلات عن سر اهتمامه بها لهذا الحد!! وكانت تأتيها الإجابة، أنه عادة ما ينهي حديثه معها "أنها بنت بلده وده واجب عليه".

هذَّب يوسف ذقنه.. اختار الأكثر أناقة من بين ملابسه، وألقى نظرته الأخيرة على مظهره، مرَّ من الزمن الكثير على عدم إحساسه بالمتعة، حتى هذه اللحظات التي قضاها أمام مرآته، كان لها إحساس مختلف هذه المرة.

على الجانب الآخر، ارتدت حنين فستانها الأزرق ذا اللون الهادئ والقَصة البسيطة، تصفيفة شعرها الناعم وزينتها الرقيقة، جعلت عبير وخالد يطلقان صافرة إعجاب، وهي تنزل إليهما من الطابق العلوي.

ما إن وصلت حنين الى جوار عبير حتى همست لها عبير في أذنها: "أنا عايزة أشوفه"، نظرت حنين في عيني عبير وهي تتمالك نفسها من الضحك كي لا يلاحظ خالد همساتهما الخافتة، التي قد تدفعه للغيرة والغضب من كلام عبير عن رجل غريب

قال خالد: حنين، انتي ناضجة كفاية، إنك تقدري تميّزي بين الشخص المحترم والشخص اللي ممكن يكون بيسلي وقته مع بنت جميلة وخلاص، صح؟!

هزت حنين رأسها بالإيجاب، قائلة: صح يا بابا.. ونظرت لعبير وانفجرتا في الضحك.

نظر خالد لهما في حنقٍ، وقال: انتوا بتهزروا، أنا غلطان إني خايف عليكي يعني؟! انتي أختي ومن حقي أخاف عليكي، أنا راجل وأعرف الرجالة بتفكر إزاي، خصوصًا إننا كمان في بلد غريب، ومفيش قيود دينية أو اجتماعية تحكم العلاقات.

انتي بتتصرفي من قلبك، بس مش كل الناس زيك، أو بمعنى أصح مبقاش في ناس زيك، خدي بالك من نفسك، ثم أردف قائلًا: انتي اديتي له العنوان مظبوط؟!

قالت حنين: آه ادتهولوا بالتفصيل، على صوت رنين هاتفها في يدها، نظرت لهما وقالت: أهو بيتصل، شكله وصل.

جرت عبير على باب المنزل لتفتحه وتلقي نظرة، تبعها خالد ووقف إلى جوارها محيطًا كتفها بذراعه.

نزل يوسف في كامل أناقته متجهًا نحوهما، سلَّم عليهما وعرَّف بنفسه وبادلاه التعارف باهتمام.

سأل يوسف: حنين جاهزة؟

رآها تأتي من خلفهما متجهة إليه، يالروعتك، شعر بدفء يسري في أوصاله برغم برودة الجو، أخذت حنين معطفها من الفرو الأبيض الناعم المعلَّق خلف الباب،وارتدته، وقالت في سعادة ودلال ممزوج بخجل: أنا جاهزة.

أغمض يوسف عينيه ومال برأسه ناحية كتفه مبتسمًا، مشيرا" لها أن هيًّا.

وهي ترتدي قفازتها خارجة من باب المنزل، قرصتها عبير سريعًا في ذراعها، وما إن التفتت لها حنين وهي تضم شفتيها وتكتم صوتها من الألم حتى غمزت لها عبير غمزة فهمت مغزاها، ولها كل الحق؛ فقد كان وسيمًا أنيقًا "جدًّا، صوته وقور وهادئ، كان نموذجًا للـ "جنتلمان" بكل معنى الكلمة.

فتح لها باب السيارة لتركب، وجلس إلى جوارها، ناظرًا إليها بعينين لامعتين، فرحًا بوجودها إلى جواره كفرحة أمير سندريلا، حينما وجدها بعد بحث طوووويل، أدار مقود السيارة وانطلقا.

* * *

# (5)

أغلق يوسف هاتفه كي لا يشتت انتباهه عن حنين أي شيء. في هذه الأثناء، كانت تجلس صوفيا في سيارتها أسفل منزل يوسف، بعد أن دقت بابه كثيرًا واتصلت به أكثر، لكن النتيجة واحدة: عدم الرد.

ما إن جلست حنين داخل السيارة حتى ارتقت إلى مسامعها، موسيقى "عمر خيرت"، نظرت ليوسف وهي تشير إلى كاسيت السيارة، قائلة بشغف: عمر خيرت!!

ردَّ بفرحٍ: برافو عليكي، بتحبي تسمعي له؟!

– بحب؟! ، أنا بعشقه، وبعزف كل مقطوعاته كمان، دي ( إمتى الزمان يسمح يا جميل).

نظر لها متسائلًا بإعجاب: بيانو، بتعزفي بيانو؟!

في خجلٍ، هزت رأسها بالإيجاب.

تصاعدت دقات قلبه، بينما قال عقله: الأمر يزداد صعوبه، مشكله، انتي مشكله كبيره يا حنين، كيف سأخلصه منك،؟!

نظر لها وقد شردت تماما"، أخذ يتابع أصابعها الرقيقه وهي تربت بنعومه ورقة على فستانها الناعم، وكأن أصابع البيانو تحت يديها،

طوال الطريق، ظلت شاردة وظل يراقبها في صمت.

فتح يوسف باب سيارته مادًا يده لحنين لتنزل كأميرة من أميرات الروايات، لمست أناملها كفه، والتقت عيناهما اللامعتان، مولدة شرارة البدء لعلاقة ما، بين قلبيهما.

اختار يوسف مكانًا هادئًا وراقيًا.. دخلا، أكثر ما يضايقه، هذه الأعين التي تلاحقها أينما ذهبت، كنجمةٍ سينمائية، تلاحقها النظرات ويكثر حولها الفضول، كم يريد أن يخبئها عن كل العيون، حاول أن يتجاهل هذا الشعور المزعج، جلسا.. يبدو على حنين الارتباك والخجل.

ما إن جلسا حتى نظر لعينيها مباشرةً وقال: حاسك مش مرتاحة، انتي متضايقة من وجودي في حياتك؟ ممكن تقولي بصراحة ومش هزعل صدقيني.

حنين: لا خالص، احنا خلاص بقينا أصدقاء، ودي حاجة تسعدني ماتضايقنيش أبدًا.

تداركت الحديث بلباقة كي لا تشعره أن تقرُّبه المفاجئ منها يحيّرها، ابتسمت وهي تنظر للمكان حولها وقالت: مكان رائع جدًّا، أحييك على اختيارك.

بدأ الحوار بينهما، كلماتهما في البداية كانت قليلة، ولكن تجمع في طياتها معاني كثيرة، ملامحهما بدا عليها الارتياح السعادة والانسجام.

يوسف: عارفة إن دي أول مرة أتعرف على بنت مصرية من ساعة لما جيت كندا.. اتعرفت على بنات من جنسيات كتير، لكن أول مرة أحس إني مرتاح في وجودي وكلامي مع حد كده.

حنين وقد تورَّد خداها خجلًا: كده إزاي يعني؟!

كان رده سريعًا: انتي مش زيهم، انتي شبه نفسك، حالة كده فريدة متميزة.

ردت: تصدقني لو قولتلك، وأنت كمان.

- مش بحب المجاملات، مش عشان قولتلك انطباعي عنك من المرات القليلة اللي اتكلمنا فيها مع بعض، تحكمي عليَّ وعلى شخصيتي أنت قولتي إن احنا أصدقاء، مش كده؟!

هزت حنين رأسها بالإيجاب.

- خلاص يبقى المفروض نرفع ما بينّا المجاملات والتكلف.

ابتسمت حنين وقالت: استنى بس، أنا مش صغيرة على فكرة، أنا عندي 27 سنة وأقدر أعرف الشخصية اللي بتعامل معاها من أي نوع.

عقدَ يوسف ذراعيه مسندًا إياهما على الطاولة، مقربًا عينيه من وجه حنين، سائلًا إياها: قوليلي بقى، أنا من أي نوع؟

رفعت حنين عينيها ثم أغلقتهما وهي تتنهد تنهيدة كبيرة ثم فتحت عينيها لتنظر إلى كف يده وتقول: حاجاتين تقدر تحكم بيهم على الشخص لو قدامك، وحاجة واحدة لو أنت مش شايفه.. وصمتت.

نظر لها لتكمل حديثها متشوقًا لمعرفة ما هما الشيئان وما هو الشيء!!

سألته: تقدر تقولّي من وجهة نظرك إيه هما؟!

عاد بظهره على الكرسي واضعًا كفيه مضموتين على الطاولة: ممكن أقول العين أول حاجة.

أشارت له بإصبعها أن واحد، أخذ يفكر للحظات، ثم عاد ليقول مبتسمًا: لأ مش عارف الباقي.

قالت وهي تنظر لكفيه: العين والإيد.

لو أنت قدامي، حركة ولمعة عينيك، حركة ولمسة إيديك، بتدي إنطباع عن إللي ممكن يكون بيدور جواك.

أما بقى لو أنا مش شايفاك، نبرة صوتك ممكن تقول وتفضح اللي جواك حتى لو أنت بتقول كلام عكس إحساسك.

شرد في كلماتها كالمسحور، ابتسم ثم قال: طيب أنا قدامك أهو، قوليلي بقى عينيه وإيديه قالولك إيه عني!!

قالت بخبثٍ: بسهولة كده، الأول خليني أقولك شرط، لو الكلام اللي هقوله صح، شوف هتدفع كام.

قال بتحدٍّ: ولو غلط؟

– أنا راضية بحكمك، أوكي؟

مازحًا: ما أنا ممكن أضحك عليكي وأقولك كلامك عني غلط، وأحكم عليكي أنا.

نظرت في عينيه بثقة: أنت مش بتحب الكذب.

صدمته كلماتها للحظة.. لا يكره في حياته شيئًا مثل الكذب.

قالت في مرح: ها؟ ، أبيّن زين وأشوف الودع، أكمل؟

ضحك من قلبه ضحكة عميقة، يشوبها القلق.

فقد شعر أنها تخترقه، وتخترق قلبه وحياته بسلاسة وعذوبة، كشعاع شمسٍ دافئٍ يتسلل عبر جبل من الثلج الشفاف ليذيبه بحنان.

ثم قال: مش بقولك انتي غير، كمّلي.

أخذت تكمل حديثها الممتع، ولسان حاله يقول: كم أنا سعيد أنك تتحدثين عني، وتفكرين بي، حتى وإن كانت كلماتك خارِج نطاق العاطفة.

أخذ ينظر إليها وهي تتكلم، ولسان قلبه يقول: تحدثي، تحدثي أكثر؛ فصوتك الرقيق الحنون الدافئ، يبعث في الحياة من جديد.

لم يرد أبدًا أن تصمُت.

أخبرته عن مصر وعن والدها التي فقدتها وهي ابنة الستة أعوام، وكيف كان والدها ولا زال هو كل حياتها وسعادتها، وأنها في كندا الآن لمدة شهور فقط في مهمة لمنصب جديد تولته حديثًا.

أخبرها أنه يكبرها بثماني سنوات، وعن والده المصري ووالدته الأمريكية اللذين توفيا بعد انفصال دام سنوات، وأنه كطبيب قلب له طبيعة سفر وتنقلات كثيرة سواء داخل كندا أو خارجها، ولم يسافر لمصر منذ سنين ويشتاق لزيارتها جداا.

لم يصمتا لحظة واحدة، أخذ الحديث بينهما طريقه ذهابًا ومجيئًا، حتى أثناء تناولهما للطعام.

نظرت حنين إلى ساعة يدها ونظرت ليوسف وابتسمت قائلة: اتأخرنا!!، أنا سعيدة بجد على ثقتك فيَّ، عزومتك الجميلة وحوارك الممتع، كل يوم هدعي ربنا يوفقك للخير دايمًا.

ردَّ قلبه: ليتكِ تعرفين أنكِ أنت الخير الذي أرجوه، بينما نطق لسانه: ياريت نكررها كتير، ومتكونش دي آخر مرة نتقابل ونتكلم فيهاز

قالت بترحاب: إن شاء الله مش آخر مرة.

– أقدر أستغل الفرصة دي، وبحكم إني أعرف أماكن كتير في البلد هنا لازم تزوريها قبل ما تسافري، أماكن لازم تتصوري فيها للذكرى، اسمحيلي أكون مرشدك السياحي، وصدقيني مش هتندمي.

ابتسمت وأمالت شعرها على كتفها بحركة طفولية، كعلامة على أنها موافقة.

ردَّ يوسف متهللًا: جميل، نبدأ من بكرة، نخلَّص شغل أكلمك ونتقابل.

همَّ يوسف واقفًا في حماس، ظلت تنظر إليه وهو يتجه ناحيتها، وتساؤلات تزاحم بعضها في رأسها.

فبالرغم من الهيبة والوقار اللذين يحيطانه خارجيًّا، رأت في عينيه فرحة طفل، عندما قبلت عرضه عليها!!

وقف يوسف خلفها ممسكًا بمعطفها، ليحيط به كتفيها الصغيرين، تمنى لو أن ذراعيه هما من يفعلان ذلك بدلًا عن هذا المعطف، كم يحسده؛ فهو أكثر حظًّا منه، قريب منها يحتضنها، ومن سيعود معها لبيتها.

خرجا من المطعم، وهما يضحكان، ويبدو عليهما أعراض من أصابه العشق.

استأذن يوسف، حنين أن تنتظره ليأتي بالسيارة، وقفت حنين تنتظره على الرصيف، لم تكن تعلم أن صوفيا تنتظره هي الأخرى بعينين تتقدان نارًا على الرصيف الآخر من الطريق.

*** 

# (6)

أسرعت صوفيا إلى سيارتها كي لا يلحظها يوسف، جلست وهي تنظر لنفسها في مرآة السيارة بنظرة حادة، أخذت الأفكار في رأسها تتصارع، لهذا إذن تغيَّر معي كثيرًا، حدَّثت نفسها بتحدٍّ قائلة: OK .

في طريق العودة، نظر يوسف لحنين وهي شاردة لدرجة أنها لم تلحظ ألحان "عمر خيرت التي أدارها خصيصًا لها وليرى أناملها تتراقص مع أنغامها من جديد، قاطعها قائلا: يعني ينفع كده؟

نظرت له في خوف: في إيه؟!

– توهنا!!

أخذت تنظر بعينين تائهتين، خلال النافذه يمينًا ويسارًا.

أتتها ضحكته بصوت مرتفع، انتي صدقتي بجد؟!

وضعت كفها على قلبها وزفرت زفرة اطمئنان، ورمقته بنظرة تحاول أن تكون شريرة، قائلة: ماشي، أنت اللي بدأت.

ضحك ثانية: أنا لقيتك بتنامي قُلت أصحصحك شوية، وبعدين هو احنا كل ما هنتقابل هتسيبيني وتنامي، أول مرة في القطار ودي تاني مرة.

ضحكت بخجل، أنا مانمتش، يمكن بس عشان جو القطار والعربية دافي.

– ولا يهمك خدي راحتك على الآخر، المهم متكونيش بتسرحي في حاجة مضايقاكي.

ونظر لها نظرة جعلت سيلًا من المشاعر يسري في جسدها، فهذه هي المرة الأولى التي تلاحظ فيها تفاصيل عينيه، فزرقتهما كانت تلمع بشدة.

أبعدت عينيها عنه مسرعة، وتداركت ارتباكها قائلة: متهيألي قربنا صح؟

– ابتسم، ده على أساس إنك حافظة الطريق.

– بصراحة، أول مرة أخرج بالليل، فمش عارفة أشوف أي حاجة مميزة من اللي بشوفها بالنهار.

ثم أردفت قائلة: لا تكون خاطفني يا يوسف؟! تصدق فكرة والله، أردلك المقلب بتاعك دلوقتي، أعيط وأعلّي صوتي وأقول إنك خاطفني.

– ضحك، تصدقي فكرة، ويرحلونا على مصر احنا الاتنين، واضح إن قلبك أبيض جدًّا.

– قالت وهي تبحث عن شيء ما في حقيبتها: متخليش الأرواح الشريرة اللي جوايا تحطك في دماغها.

– لأ لأ خلاص، احنا مش قدّ أرواحك الشريرة، مع إني متأكد إنها هتكون أرواح شريره كيوت جدًّا.

ما إن وصلا حتى نزل يوسف ليفتح لها باب السيارة، وقبل أن تنزل مدت يدها نحو ميدالية مفاتيحه، وأخذت تخرج منها المفاتيح الخاصة به وتضعها في ميدالية أخرى كانت تمسكها في يدها، ثم مدت يدها له بالميدالية الجديدة، وهي تسأله بحنان أن يقبلها كهدية بسيطة منها.

ميدالية من الفضة، نقش عليها اسم (الله)، لم يستطع إلا أن يقبلها.

شكرها بشدة، قائلًا: مفيش أحلى من كده، هدية مقبولة، ثم أردف: احنا لسه على اتفاقنا، هكلمك بكرة بعد الشغل إن شاء الله.

تركته متجهة إلى مدخل المنزل، ثم وقفت ولوَّحت له قائلة: شكرًا، تصبح على خير، خلي بالك على نفسك.

ابتسم وأومأ برأسه قائلًا: حاضر..

انطلق بالسيارة وهو يتأمل ميداليته الجديدة بفرحة وسعادة غامرتين.

أدار زِر الكاسيت لتعلو كلمات (علي الحجار– عارفة) والتي هي أيضًا من ألحان حبيبها وحبيب الملايين عمر خيرت.

ما إن دخلت حنين المنزل، حتى وجدت عبير وهي جالسة على الأريكة ملتحفة بشال سميك وتمسك في يدها بريموت التلفاز، كامرأة عجوز.

نظرت لها حنين وهي تضحك، قائلة: مساء الخير يا نيينة!!

تمالكت عبير ضحكتها وأشارت بسبابتها على فمها، وبصوت خافت قالت: هششش.. وأشارت بيدها الأخرى إلى الأريكة مشيرة لها بالجلوس إلى جوارها.

أشارت لها حنين بسبابتها أن لا، ثم وضعت كفها على خدها وأغمضت عينيها مشيرة لها أنها ستنام، وبحركة أخيرة أومأت لها أن يتحدثا غدًا.

همت عبير قائمة، وقالت بصوت مكتوم: والله لو ما جيتي تحكيلي دلوقتي، لهعضك ومش هيهمني لا صوتك ولا صحيان خالد.

أسرعت حنين نحوها، قائلة: خلاص، خلاص، اهدي، العصبية مش كويسة على اللي في سنك يا حاجة، واحتضنتها وجلستا.

أثناء حديثهما أتت رسالة على هاتف حنين، نظرتا للشاشة في نفس اللحظة، لتعلن الرسالة عن أن مرسلها هو، يوسف.

قالت عبير بلهفة: افتحيها بسرعة، فتحت الرسالة لتجده وقد كتب لها: "سعيد جدًّا بمقابلتنا النهارده، قبل ما تنامي اسمعي دي، وأرسل لها رابط أغنية، ( علي الحجار– عارفة)."

– حنين، انتي سرحتي كده ليه؟! مش قولتلك الموضوع في حاجة، تصرفاته كلها فيها اهتمام وإعجاب، شغّلي الأغنية يلا.

ردت في شرودٍ، وهي تنهض: لأ، مش دلوقتي بقى، أنا هنام لحسن خلاص مش قادرة، الوقت اتأخر ولازم أصحى بدري، تصبحي على خير يا بيروو. وأرسلت لها قُبلة على كفها في الهواء.

ما إن أرسل يوسف الرسالة لحنين، حتى أخذ عقله يؤنبه، لم تعد صغيرًا لمثل هذا الاندفاع ولا هذه التصرفات ستكمل عامك الخامس والثلاثين خلال أسابيع، لا يليق بك مثل هذه التصرفات الصبيانية، ثم ماذا تراها تفكّر فيك الآن؟! وأنت تفرض نفسك فرضًا عليها!!

ردَّ قلبه باستكانة: قبلت دعوته، تحدثت وضحكت معه دون تكلُّف وكان هذا باديًا عليها وبشدة، ثم أنها ناضجة ولها من الخبرة في التعامل مع الأشخاص ما يؤهلها أن تظهر له عدم رغبتها في وجوده في حياتها بأسلوب مناسب، ثم ماذا تعني هذه الميدالية؟!

ضحك عقله في سخرية واستهزاء، معناها أنها وقعت في غرامك!!

شعر القلب بغصة مؤلمة، انتشله منها جزئيًّا اتصال من صوفيا.

ردَّ عليها يوسف، أخذت تخبره أنها اشتاقت له كثيرًا، وتقترح عليه أن يأتيها الليلة. اعتذر يوسف متعللًا بأنه سيخلد للنوم حالًا لأنه مرتبط بعمليات في المستشفى في الصباح الباكر، أردفت تطلب منه أن يتقابلا أو تأتيه بعد العمل، لكنه طلب منها في تملل أن تترك القرار للغد ليرى كيف سيسير يومه.

رفعت حاجبيها في استعلاء، حسنًا يوسف، أنت من ستضطرني للحرب الباردة.

بدلت حنين ملابسها وأمسكت بأوراق رسمها الكبيرة، أسندت بواحدة منهن فارغة على الطاولة المقابلة لموقد الخشب، تريد أن ترسم شيئًا ما، تركت فُرَش الرسم على الطاولة، جلست على الكرسي الهزاز، أمسكت بدفتر خواطرها وهي تتأرجح، تريد أن تكتب شيئًا ما.. ثم تركته.. شيء ما بداخلها تريد أن تعبّر عنه، ولكن هو شيء لا يُرسَم ولا يُكتَب.

وضعت سماعات أذنها الموصولة بهاتفها وأدارت، ما أهداه إياها، أغمضت عينيها، لم تعد تشعر ما الذي يؤرجحها، اهتزاز الكرسي، أم ارتجاف قلبها!!

فتحت عينها لترى الشمس وقد مدَّت خيوطها عبر نافذة غرفتها، هل كان حلمًا؟!

أمسكت هاتفها لتفتح الرسائل وترى اسمه مضيئًا في قائمة رسائلها، لتقرأ رسالته عدة مرات.

تلك البدايات الجميلة، أيقظت بداخلها ذكريات حزينة، تحاول بكل ما أوتيت من تفاؤل وحماس أن تتناساها.

رنَّ هاتفها، وإذا بوالدها يتصل.. تنفست بعمق، حتى لا يشعر من صوتها الحزن أو القلق.

– آلو..

– عاملة إيه حبيبتي؟

**– الحمد لله، طمني عليك، وحشتني قوووي.**

**– انتي أكتر، عاملة إيه في البلد والشغل؟ بدعيلك ربنا يوفقك ويكون جنبك دايمًا.**

**– تسلملي يارب، كله ماشي تمام، عبير وخالد مش مخليني عايزة أي حاجة، ولا حاسة إني في غربة أصلًا.**

**– الحمد لله، طيب ماتخليكي عندهم، مفيش داعي من موضوعِ سكن الشغل اللي لوحدك ده!**

**– هشوف يا بابا، المشكلة إن البيت بعيد عن الشغل جدًّا وده بيرهقني، وبعدين أنا مش عايزة أكون حمل عليهم، خصوصًا إنهم مش بيخلوني أجيب أو أعمل أي حاجة في البيت.**

**– ماشي حبيبتي اللي تشوفيه، أنا بس مطمّن أكتر إنك معاهم ووسطهم، عمومًا ربنا يخليكم لبعض، سلميلي عليهم كتير وخدي بالك من نفسك.**

**– حاضر يا حبيبي وأنت كمان، ماتنساش تاخد الأدوية وبلاش سهر، أوكي..**

**– في حفظ الله يا بنتي.**

**– مع السلامة.**

**أغلقت الخط وأغلقت معه عينيها، لتفر منها دمعات حارة.**

**كان نفسي أكون سبب في سعادتك أكتر من كده، ماكانش نفسي تفضل قلقان عليَّ على طول.**

**أتاها صوت عبير الخافت وهي تقرع الباب: حنين، حنين..**

**مسحت دموعها مسرعة، وتوجهت نحو الباب لتفتحه.**

أمسكت عبير بوجنة حنين، صباح الخير يا قطة، أنا قُلت هتروح عليكي نومة، اتأخرتي.

أخذت تتفحص ملامحها: مالك؟! انتي تعبانة؟

– لأ، لأ، أنا بس كسلانة شوية، انزلي انتي، هاخد شاور وأحصَّلك.

نظرت لها عبير قائلة في قلق: حنين إوعي تكوني بعتّي ليوسف أي حاجة تزعله، عارفاكي، كل ما حد يحاول يقرب منك تبعديه، عشان خاطري ادّي نفسك فرصة المرة دي، أنا شايفة الراجل مفيهوش أي حاجة تتحججي بيها.

في حنق ونفاد صبر: عبير ممكن نقفل الكلام في الموضوع ده، يوسف صديق، مجرد صديق!!

وكأنه يسمع حوارهما عنه، وجدت اسمه يظهر على شاشة هاتفها متصلًا!!

* * *

## (7)

ضغطت على زر إلغاء المكالمة، رمقتها عبير بنظرة لوم وهي تخرج من الغرفة قائلة: براحتك، بس اللي انتي بتعمليه ده غلط على فكرة، أنا مش هتكلم معاكي في الموضوع ده تاني.

أغلقت الباب وراءها في غضب.

ارتمت حنين على السرير وهي تخبئ وجهها بكفيها ودموعها تنهمر بغزارة، لا أحد يشعر بي ولا بقلبي، أعلم أنهم يحبونني ويخافون عليَّ، ويتمنون لي الخير، ولكن لا أريد غيرهم في حياتي، لا أريد حبًّا؛ فقد ذقته من قبل.

أريد لعلاقاتي خلود وطهارة الصداقة، لا عذابات الحب والامتلاك والغيرة والشك والغريزة، الصداقة هي ثاني أنبل وأطهر شعور خلقه الله في قلوبنا بعد الأمومة، الحب جزء من الصداقة، وأنتِ خير من يعرف هذا يا صديقتي.

نهضت وهي تمسح دموعها، وهي تعلم أن عبير ستغفر لها؛ فمجرد أن تحتضنها ستعاتبها وانتهى الأمر.

وهي تلملم أغراضها وترتب نفسها للنزول، رنَّ هاتفها.. يوسف مرة أخرى، نظمت أنفاسها، وردَّت بهدوء:

أتاها صوته قائلا": صباح الخير،

وهي تحاول أن تبتسم، صباح النور،

– نمتي كويس؟

– الحقيقة مش أوي، مش عارفة كسلانة ليه النهارده!!

– فطرتي؟

– لسه أهو بجهز في حاجتي وهنزل أفطر، أنت في الشغل؟

وهو يداعب ميداليتها الفضية: لأ لسه أنا في العربية، تحبي أعدّي عليكي نفطر في الطريق وأوصّلك؟

صمتت لثوانٍ وهي تغالب قلبها الذي بدأ يتحرك، وعقلها القائل صديق مهتم بصديقته، رجل شهم يهتم لأمر فتاة في بلد غريب، لا تعطي الأمور أكبر من حجمها!!

– ها؟! قولتي إيه؟

خانها لسانها وقالت: أوكي، ماشي..

ردَّ فرحًا وهو يعتدل في جلسته مديرًا السيارة: تمام، أنا في الطريق مش هتأخر.

أغلقت الخط، واتجهت للمرآة تنظر لنفسها وهي تلوي شفتيها في استغراب، قائلة: بعدين معاكي؟! خلاص بقى اللي حصل حصل، أهي فرصة أنزل أصالح عبير.

كان الطريق يطوى تحت عجلات سيارة يوسف المسرعة، وكأنه يرى الطرق والناس بألوان أكثر زهوًا.. شيء ما جعل من صدره واسعًا وكأنه امتلك الدنيا.

بعد أن تجهزت حنين، نزلت لترى عبير وهي تحضر الفطور بحاجبين معقودين، احتضنتها من الخلف وطبعت على خدها قبلة حنونة، وهمست لها: ماتعمليش حسابي في الفطار.

رمقتها عبير بنظرة قلق، فقد خُيَّل لها أنها ما زالت غاضبة منها.

فهمت حنين تخوفها فأسرعت تقترب من أذنها مرة أخرى هامسة في هدوء:

- هفطر مع يوسف.. وتوهجت وجنتيها بحمرة شديدة.

استدارت لها عبير وهي تنظر لها بعينين متسعتين من السعادة، وهي تهز رأسها بالإيجاب وكأنها تستجديها أن تجيب بنعم: بتتكلمي بجد؟!

هزت حنين رأسها بخجل: بجد.

احتضنتها عبير: أيوة كده.. ثم نظرت لها: أيوة كده حبيبتي إدّي نفسك وإديله فرصة.

أغمضت حنين عينيها مطمئنة إياها: حاضر.

وصل يوسف، وما إن خرجت له حنين، حتى تلاقت أعينهما، عينه التي تقطر اهتمامًا، وعينها الخجولة.

جلست إلى جواره، نظر لها، مدَّ يده لها مصافحًا، ولكن هذه المرة، كانت شفاهه هي التي تصافح كفها.

ارتجف جسدها، شعر بارتعاشة أصابعها في يديه، رفع عينه ناظرًا إليها، قائلًا: ممكن تتطمنيلي؟

سحبت يدها من كفه، وأخذت تفرك كفيها ببعضهما من البرد، فقد شعرت فجأة أن الصيف زار وجنتيها بحرارته، وما زال الشتاء قابعًا في أطرافها.

ظل ناظرًا إليها، شعر بقلبه يلومه على نظرة الخوف التي رآها في عينيها، قال محاولًا بث الطمأنينة فيها: حنين، ردي عليَّ، ممكن تثقي فيَّ؟

نظرت في عينيه مباشرة ببراءة طفلة حائرة، وقالت: ليه؟!

– ماتخافيش مني كده، أنا محتاج لك، محتاج واحدة زيك تكون في حياتي.

– بمعنى إيه واحدة زيي؟!

– حد أثق فيه، أتكلم معاه براحتي، آخد رأيه.

ثم أردف قائلًا: حنين أنا اتربيت في بيت مفكك أسريًّا، أمي ماكانش ليها أي دور في حياتي، ووالدي الله يرحمه، كان مشغول بتكوين اسم ومستقبل ليَّ وله، أنا اتحملت مسؤولية نفسي من بدري جدًّا، عندي أصدقاء كتير، لكن كل واحد في حياته وانشغالاته، فاهماني؟

– تمام، أنا قولتلك قبل كده، احنا أصدقاء، تقدر تثق فيَّ، وتاخد رأيي في أي حاجة.

– وانتي؟!

– أنا إيه؟!

– هتثقي فيَّ، هتحتاجي تتكلمي معايا، وتعتبريني صديق فعلًا وتحكيلي عن كل حاجه بتفرَّحك أو بتزعَّلك؟!

أبعدت نظرها عنه، وشردت للحظات.. ورطة أنت من وضعتِ نفسك في هذه الورطة حين قبلتِ دعوته!!

أردف حينها: أنا مقدّر إن انتي متفاجأة منّي، ومقدَّر إن حياتك فيها أصدقاء كتير، لكن أنا مفتقد ده في حياتي، عشان كده اعتبريه طلب منّي، وبلاش تجاوبيني دلوقتي، حقك تاخدي وقت تفكري.

شعرت أنها جعلته يستجديها، وهذا ليس من اللباقة والأدب، عادت لتنظر له بابتسامة، قائلة: من غير ما أفكر طبعًا، شرف ليَّ إننا نكون أصدقاء، نتكلم مع بعض أحكيلك وتحكيلي، أي وقت، أنت إنسان محترم وأكيد محل ثقة.

نظر لها يوسف، وكاد يحتضنها من سعادته بكلامها، وشعرت هي أنه بالفعل احتضنها بنظراته، قالت في نفسها، ما أراه في عينيك ليس بصداقة يوسف، ولكن دعني أنا من أضع الحدود؛ فطالما زمام الأمور في يدي فلا قلق.

– قوليلي بقى، تحبي تفطري إيه؟

– أي حاجة، المهم معاها قهوة، وبسرعة عشان مش عايزين نتأخر عن شغلنا، يا دكتور.

انطلق بها ليتناولا فطورهما سريعًا في السيارة، وهما في طريقهما، مرَّ على المشفى الذي يعمل به، وأشار معرفًا إياها بمقر عمله.

ها هي شركتها، نزلت وأغلقت باب السيارة ثم نظرت له عبر النافذة وهي تبتسم قائلة: حياتي زادت شخص مميز جدًّا، شكرًا.

شعر أنه يريد أن ينزل ليحملها ويعيدها الى جواره مرة أخرى، ويختفي بها في مكان لا يوجد به سواهما.

ابتسم وقال: هتصل بيكي في أي وقت، ردي عليَّ على طول.

خفضت رأسها وهي تبتسم في خجل: أوكي، باي.

– مع السلامة، خدي بالك من نفسك.

– أنت كمان.

غاب كلٌّ منهما عن عين الآخر، ولكن لم يغِب عن تفكيره.

"يمكنك أن تعود بي إلى المنزل الآن"، بهذه الكلمات خاطبت صوفيا سائق السيارة التي استأجرتها خصيصًا لتراقب حبيبها المسحور بسحر هذه الشرقية!!

* * *

# (8)

**أخذ يفكر في هذا الكم من الخوف الذي رآه في عينيها، شعر بالاستياء من نفسه لأنه اقتحم مشاعرها فجأة وجعلها تخافه.**

**هدِّئ من نفسه قائلًا: سأصحح الأوضاع، لن أكون سببًا في خوفها أو حزنها في يوم من الأيام.**

**لم يفارق يوسف تفكيرها منذ تركها في الصباح، مرَّ زمنٌ طويلٌ لم تشعر فيه بانجذاب نحو أي شخص، كما جعلها تفعل في اليومين الفائتين.**

**أصبح يحاصر تفكيرها وقلبها، حتى إن هذا الأخير أخبرها أنها ستحبه إذا تركته بلا قيود، قالها صراحة: لا يمكن إلا أن تحبيه!!**

**لطالما آمنت أن مفاتيح العلاقات ودفة قيادتها، في يد المرأة.**

**حدَّثت نفسها: حسنًا، اكبحي زمام قلبك، ولا تتركي اندفاعه نحوك يأخذك إلى حيث نقطة اللارجعة، أنتِ لست مستعدة لجرح وألم جديدين.**

**لم يخرجها من دوامة التفكير، سوى خبر تسلمها للشقة الخاصة بها في الغد؛ فقد أخذت ترتب كيف سيسير يومها ومن سيتسلم العمل بدلًا عنها في هذا اليوم، حتى يتسنى لها ترتيب وشراء كل ما يلزمها.**

طوال اليوم كان يغالب رغبته الملحة في الاتصال بها، غادر عمله دون أن يهاتفها، ولكنها خرجت من الشركة لتجده أمامها ينتظرها في السيارة، وما إن رآها تخرج، ووقفت متفاجئة للحظات، أشار لها أن تعالي!!

اتجهت نحوه كالمنوَّمة مغناطيسيًّا، فتحت باب السيارة، وقالت في استغراب: أنت مستنيني؟!

هزَّ رأسه وهو ينظر لها بحنانٍ؛ فقد رأى لون أنفها وشفتيها وقد قارب الدم أن يهرب منهما، ثم قال: اركبي، بسرعة.

ما إن ركبت حتى نظرت له بامتنان: بجد كده كتير مش معقولة هتتعب نفسك، أنت كفاية وصَّلتني الصبح، الطريق طويل.

قاطعها: ومين قالك إني هروَّحك دلوقتي؟!

ضحكت قائلة: يوسف بطَّل بقى، بجد أنا مش هروح في مكان النهارده، خليها يوم تاني.

هزَّ رأسه بالنفي: هنبدأ النهارده. وهو ينزل مكبح السيارة.

ضحكت حنين بصوت عالٍ وهي تقول في دلالٍ: يوووسف.

انطلق مسرعًا كفارس خطفَ أميرته على حصانه الأبيض وركضَ.

– يوسف كده عبير هتقلق عليَّ.

– بسيطة، اتصلي طمّنيها وقوليلها إن انتي معايا، ومش هأخّرك متقلقيش، بينما كانت تخرج هاتفها لتخبر عبير، سألته: طيب احنا رايحين فين؟!

نظر لها وابتسم: مكان هيعجبك قوووي.

– بيرو عاملة إيه حبيبتي؟ آه خلصت، بس هتأخر شوية، أنا مع يوسف، آه كان مستنيني، مش هتأخر أوكي؟

همس يوسف لها لتخبرها أن لا تنتظرها على العشاء.

أشارت له بسبابتها أن لا كي لا تسمعه عبير.

ما إن أغلقت الهاتف حتى نظرت له، ونظر لها في نفس اللحظة، قالت: لأ، وقال: هيحصل، في نفس اللحظة، وانفجرا ضاحكين.

– يوسف متزعّلنيش منك بقى.

– احنا وصلنا خلاص.

نظرت لترى بحيرة رائعة الجمال محاطة بما يشبه أسوار الكورنيش في مصر، وهو يفتح لها باب السيارة، غمز لها بعينه قائلًا: إيه رأيك؟

– واااو..!!

زاد من روعة المكان، قرص الشمس الذي كان يشق طريقه للغروب.

أخرج يوسف هاتفه، وقال في حماسٍ: **First one**.

لم تبتسم حنين، فقد كانت سارحة في كل شيء، لم تستطع أن تستوعب كل هذه الأحداث المتلاحقة، أحست بدوَّار خفيف، أمسكت برأسها وبدأت تتمايل، أسرع يوسف نحوها، ليمسك بخصرها في قلق.

– حنين، مالك،؟!

– دايخة.

أمسك بيدها وتوجَّه بها ناحية إحدى الطاولات، وأجلسها وجلس على إحدى ركبتيه أمامها، ناظرًا لها في قلق، وهو يزيح خصلات شعرها من على جبهتها، واضعًا إياها خلف أذنها.

– قوليلي حاسّة بإيه؟

تنفست بعمق وهي تطمئنه: أنا كويسة.

نظرَ في عمقٍ عينيها قائلًا: أكيد؟

هزت رأسها مبتسمة: أنا بس من وقت ما جيت من السفر مش بنام كويس.

ابتسم بقلق: وشكلك مش بتاكلي كمان كويس، هنتعشى بسرعة وأروَّحك ترتاحي، أوكي؟

– أوكي..

وهو ينهض ليجلس إلى جوارها: هو مينفعش تاخدي أجازة من الشغل يومين؟

– نسيت أقولك، أنا بكره هستلم الشقه بتاعتي.

ابتسم قائلًا بسعادة: مبرروك، هساعدك طبعًا، شوفي كل اللي انتي محتاجاه، وأنا معاكي.

– لأ ماتشغلش نفسك، عبير وخالد هيكونوا معايا.

همس مبتسمًا: أنا كمان معاكي، وبسطَ كفّه لها كي تضع يدها بداخله.

لم تجد نفسها إلا وهي تضع أصابعها داخل كفه، وكأنما تبادلا الأيدي؛ فقد كانت يداه دافئتين للغاية هذه المرة بينما كانت أصابعها تضاهي الجليد برودة.

أمسك بيدها الأخرى ليدفئهما بين كفيه، وقال لها: ممكن أوعدك وتوعديني بحاجة؟ حاولت أن تخرج كفيها من بين يديه بهدوءٍ، ولكنه تشبَّث بهما برفق.

– انتي لسه خايفة منّي، صح؟

لمح في عينيها التماعة دمعة، أسرع قائلًا: أنا ما صدقت لقيتك، أرجوكي ماتبعديش.

تركها تخرج يديها من بين يديه بنعومة، ليتبادلا الأدوار، أخذت أناملها الصغيرة تتحسس أوردة كفه البارزة وتمسح عليها بحنان وهي تقول: الأصحاب مش بيبعدوا عن بعض أبدًا.

– توعديني؟

* * *

## (9)

**قالت وهي تنظر في عينيه: يوسف، أنت لسه متعرفنيش وفي حاجات كتير في حياتي أنت متعرفهاش،**

**قاطعها قائلا: انتي في حد في حياتك؟!**

**– السؤال ده بتسألهولي بصفتنا أصدقاء؟!**

**نظر في عينيها وهز رأسه بالإيجاب، وكأن لسانه لا يريد أن ينطق كذبًا.**

**– لأ مفيش حد في حياتي، بس عندي أصدقاء كتير طبعًا.**

**– وأنا حابب وعاوز أكون واحد منهم، بصي يا حنين، أنا هحكيلك كل حاجة عني بصراحة ومش هخبي عنك حاجة، عشان لما أطلب رأيك في أي موضوع بعد كده تبقي فاهمة أنا مين وبفكر إزاي، فهماني؟!**

**هزت رأسها، أن نعم.**

**– بس كل اللي طالبه منك إني أتأكد إنك عايزاني في حياتك، على الأقل كصديق، تثقي فيَّ، تطمني معايا، تحكيلي عن كل حاجة في أي وقت.**

**أغمضت عينيها في إعياء وهي تعلم أن هناك ما لن تستطيع إخباره به!!**

ثم أردفت قائلة: أكيد، أنت إنسان محترم جدًّا وشرف ليَّ إننا نكون أصدقاء، وأوعدك إني هكون عند ثقتك فيَّ، زي ما أنا متأكدة إنك هتكون صديق بمعنى الكلمة.

بعد أن تناولا العشاء واطمأن عليها، ركبت السيارة إلى جواره، ابتسم وهو ينظر إليها، وقال: أنا المرة دي اللي هطلب منك إنك تنامي.

ضحكت في خجلٍ، فأردف قائلًا: بجد والله مش بهزر، غمضي عينك الطريق لسه طويل. قال ذلك وهو يضغط على زر إرجاع ظهر كرسيها للخلف لتصبح شبه نائمة: لما نوصل هصحيكي.

لم تجادله كثيرًا وأومأت بالموافقة؛ فقد كانت منهكة جسديًّا ونفسيًّا إلى أبعد الحدود، وأغمضت عينيها.

ما إن وصلا حتى أخذ يتأملها قبل أن يوقظها، طفلة، شعر أنها أصبحت مسؤولة منه، لا يريد أن يتركها، شعر أنها تخصه، يريدها معه أميرة بيته.

مدَّ يده لتلامس كفها وبهدوء ضغط على أناملها، لتفتح عينيها بابتسامة، وهو يضغط على زر الكرسي ليعود معتدلًا كما كان، وهي تعتدل جالسة، قالت: بجد مش عارفة إيه اللي بيحصلّي وأنا معاك، الموضوع فيه بنج.

ضحك وهو ينظر إليها: طبعًا يا بنتي مش دكتور.

– تعبتك معايا.

– ولا يهمك، أنا عايز بس أكون مطمّن عليكي، حاولي ترتاحي، وهكلمك بكرة عشان نتفق هنعمل إيه بخصوص الشقة، أوكي؟

– أوكي، تصبح على خير.

– وأنت من أهل الخير، سلامي لعبير وخالد.

- حاضر، باي.

غادرت دفء السيارة لتجابه برودة الجو في الخارج، بينما شعر هو بالبرد يسري في أوصاله ما إن تركته!!

كان اعترافها له بعدم وجود حب في حياتها بمثابة أمل جديد، وكأن الدنيا اتسعت وأصبحت أجمل في عينيه، عاد إلى المنزل سعيدًا بلقائها، صوتها نظراتها ما زالت تحلق في فكره، استسلم لنوم عميق، وكأن ثقل جبل أزيح من على صدره.

نظرت له وابتسمت، خطت خطوات نحوه، أمسكت بكفه وقبَّلته، هكذا رآها في منامه.

استيقظ وكله حنين وشوق إليها، يريد أن يراها الآن، أن يسمع صوتها، أريد أن تكوني معي، أن تكوني لي، لم يعرف كيف يطفئ شوقه لها، الوقت متأخر ولا يريد إيقاظها. أخذ ورقة وقلم وكتب، وكأنها تراه وتسمعه.

" أحبك وأرغب بك كثيرًا..

أحبك إلى الحد الذي أعرف، وحد ما أجهل بعد..

أرغب بك عقلًا وجنونًا..

أرغب بك كمالًا ونقصًا..

أرغب بك كما أنتِ..

كلما اقتربت منك أدركت صدق مشاعري تجاهك، تستحقين قلبي واسمي بجدارة.. بل إنك تستحقين ما هو أجمل.

كيف سأتحمل عدم رؤيتك أو سماع صوتك كل يوم، أصبحتِ في حياتي كالماء والهواء!!

دخلت حنين المنزل لتجد خالد وعبير يجلسان إلى طاولة الطعام، حيَّتهما، وأخذت طريقها إلى الطابق العلوي حيث غرفتها.. لم تكن تريد الحديث.

جاءها صوت عبير: مش هتتعشي معانا، ولا أطلعلك الأكل؟

نظرت حنين لهما من بين الأعمدة الخشبية للسلّم، قائلة: لا ماتتعبيش نفسك أنا اتعشيت.

نظر لها خالد متسائلًا: مع يوسف؟!

نظرت حنين لعبير؛ فقد فهمت أن حديثًا ما دار بينهما عنها وعن يوسف.

– آه، صحيح أنا هستلم شقتي بكرة، أنا عارفة يا خالد عشان شغلك صعب تكون معايا طول اليوم، عبير هتكون معايا، ويوسف كمان عرض عليَّ المساعدة عشان المستشفى اللي بيشتغل فيها قريبه ليَّ.

رمق خالد، عبير بنظرة لم ترتَح لها حنين، نظرت لهما باستغراب: هو في حاجة؟!

ابتسمت عبير في فرحة، وقالت: كان في خبر جميل كنت عاملهولك مفاجأة.

و هي تنزل مهرولة من على السلم، بصوت يرتعش من الفرحة وقلب يكاد يتوقف، عيناها معلقتان بعيني عبير: لو إللي في بالي بجد أنا ممكن...

بدأت ملامح عبير وخالد يكسوها الضباب، وصوتهما يتلاشى من أذنها بالتدريج، وغابت عن الوعي.

لم تفق إلا على برودة كف عبير وهي تربت على وجنتيها، ورائحة عطرها النفّاذة التي تحيط بأنفاسها، كانت عبير تجلس إلى جوارها تنظر إليها باكية:

– كده يا حنين، كنت هموت من القلق عليكي.

أخذت حنين تحاول الاعتدال في جلستها على السرير، أسرع خالد بوضع وسادة خلف ظهرها لتستطيع الجلوس، وهو يقول: يعني ينفع ابن أو بنت أختك يتخضوا عليكي كده؟!

تعلقت حنين في رقبة عبير، كطفل صغير وأجهشت في بكاءٍ شديد، وهي تقول: مش قولتلك، أنا كنت حاسة إنه قريب، قلبي كان بيقولي كده، وأنا بصدقه.

نظرت لها عبير بحنانٍ شديدٍ، وقالت: وأنا بثق في قلبك وأحاسيسك، بس انتي برضو هتفضلي بنتي الكبيرة.

– طبعًا، يا ماما عبير.. وقبّلتها.. أحلى وأحن ماما في الدنيا

ضحكت وقالت: هم كلمتين الأفلام العربي بس لازم أقولهم، مفيش حركة كتير، تاكلي كويس وتاخدي بالك من نفسك جدًّا، اتفقنا.

– أطمئن عليكي في الشقة الجديدة بعدين نشوف الموضوع ده، رغم إني مش عيزاكي تسيبيني أبدًا.

– لأ، لأ، انتي مش هتتحركي من هنا، أنا هتصرف متفكريش إلا في نفسك وفي النونو. وأشارت إلى بطنها.. خالد أنا بجد مش عايزة حاجه خليك معاها، وأنا هكلم يوسف هو بصراحة عرض عليه أكتر من مرة.

قال خالد موجهًا حديثه لحنين: إيه الحكاية؟! أنا هبدأ أغيَّر على فكرة، عبير بتقولي إنه إنسان محترم جدًّا من كلامك عنه معاها ومهتم بيكي قووي.

هزت رأسها في خجل، وهي تنظر لعبير ثم لخالد: الحقيقة إنسان محترم، وفعلًا مهتم قوي قوي.

اقترب خالد من عبير ووضع يده على كتفها قائلًا: إيه رأيك نسيبك ترتاحي دلوقتي، والصبح على الفطار نكمل كلامنا؟!

قالت عبير: هجيبلك كباية لبن دافي الأول.

أمسكت حنين بيدها وقالت: ممكن ماتشغليش نفسك بيَّ، أنا كويسة، ولو احتجت أي حاجة هعملها لنفسي، لو بتحبيني بجد يلا انزلي مع خالد.

– طيب لو احتجتي أي حاجة هتندهيلي؟!

– طبعًا.

أخذت ترتب وسادتها للنوم وقالت: ألف مبروك، آسفة إني خضتكم عليَّ، تصبحوا على خير، ولوَّحت لهم بكفها.

خرجا من الغرفة وما إن أغلقا الباب، حتى جلست حنين في سريرها.. هل أحلم، يا له من يوم طويل مليء بالأحداث.. وكان أجملها هذا الأخير، خبر انتظرته منذ سنين، الحمد لله.

وجدت نفسها تقف على حافة مكان شاهق الارتفاع، رأت يوسف يقف أمامها، معطيًا إياها ظهره، شعرت أنها ستسقط، مدت يدها ناحية يوسف وهي تناديه: يوسف.. يوسف.. وما إن استدار لها مادًا يده نحوها حتى زلت قدمها لتسقط!!

استيقظت من النوم مفزوعة على شهيق خرج من أعماق جسدها، تكاد ضربات قلبها تُسمَع في أرجاء الغرفة، وضعت كفيها بين خصلات شعرها ممسكة برأسها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

نظرت إلى الساعة وإذا بها ما زالت الرابعة فجرًا..

قامت من سريرها، مازالت تشعر أنها ليست على ما يرام، تترنح قليلًا، لفت جسدها بشالها الصوفي، وجلست أمام المدفأة، تتأمل ألسنة اللهب، خاطبتها قائلة: حاسه بيكي قووي!!

كانت دائمًا ما تتحدث للجمادات، كانت تؤمن أن حتى الجماد يسمع ويتكلم يفرح ويتألم مثلنا تمامًا، ولكن نحن من لا نفقهم.

أمسكت بفُرَش الرسم وأخذت تمزج الألوان وترسم لوحة لما رأته اليوم عند البحيرة مع يوسف.

في الصباح الباكر، استيقظ يوسف على قرع الباب بشكلٍ متواصل مزعج، فتح الباب ليجد صوفيا تلقي عليه تحية الصباح وهي تمسك بيدها العديد من الحقائب، مخبرة إياه أن يتجهز للفطور معها.

كان بالكاد يستطيع أن يفتح عينيه، وهو يتركها متجهًا إلى غرفته، أخبرها في ضجر أنه ليس بجائع ويريد أن يكمل نومه؛ فقد سهر كثيرًا ليلة أمس.

أمسكت بذراعه، مبعدة إياه من طريق غرفة نومه، لتدخل قبله إليها لتنظر هل من امرأة عنده أم لا!!

اتسعت عينا يوسف من الغضب، وتحدث معها بلهجة حادة، إنه لم يعد يتحمل طريقتها في التعامل معه، ومن الأفضل أن يبتعدا عن بعضهما لفترة، ليستطيع كلٌّ منهما تقييم العلاقة، ويختبرا جدية مشاعرهما ناحية بعضهما؛ فقد وصلا لطريق مسدود.

في طريقها للخروج أطاحت بكل ما كان على طاولة الطعام، وعلى صوتها وهي تهدده أن سيندم على طريقة تعامله معها!!

* * *

## (10)

استغلت حنين فرصة استيقاظها باكرًا، وقبل أن تستيقظ عبير نزلت لتحضر هي الفطور.

استيقظت عبير لتجدها منهمكة في المطبخ، وقفت لتراقبها دون أن تشعر، حنين يا قطعة سكر، من توجدين في حياته، حبيبتي.. صديقتي.. أختي وابنتي.

كم عانا قلبك الصغير ولازال..

رأتها تسعل سعلات صغيرة متتالية، أمسكت رأسها وجلست على الكرسي، أسرعت إليها.

– صباح الخير حبيبتي، عاملة إيه النهارده؟ شكلك تعبان قووي.

وضعت يدها على جبهتها، وقالت في فزعٍ: انتي سخنة جدًّا يا حنين، احنا مش اتفقنا لما تحسي إنك تعبانة تقوليلي.

أخذت من يدها ما كانت تعمل، وساعدتها على النهوض: تعالي معايا على فوق، مفيش شغل النهارده، لازم تكشفي، انتي مولّعة نار.

قاطعتها حنين: لأ مش هينفع، أنا لازم، أخلص ترتيب الشقة النهارده، أنا هاخد أي مسكن وخافض للحرارة وهكون كويسة.

**– ماتعصبنيش عليكي يا حنين، انتي جسمك بيرتعش، مش هيجرى حاجة لو موضوع الشقة اتأجل يوم ولا يومين.**

**– عشان خاطري يا عبير، هاتيلي أي مسكن وأوعدك لو تعبت، هروح على طول.**

**ما إن وصلتا غرفة حنين، حتى أمسكت عبير بهاتف حنين وقالت في تحدٍّ: بصي بقى، مفيش نزول يعني مفيش نزول، والله اتصل بيوسف أعرفه وهو دكتور يتصرف معاكي بقى.**

**أمسكت حنين الهاتف من بين يديها قائلة: عبير بلاش كده، أنا مش عايزاه يجي كل يوم، أنا أصلًا موضوع التوصيلات ده مضايقني.**

**وهي تعطيها قرص الدواء: خلاص يبقى ترتاحي، مفيش نزول النهارده وآخر النهار ننزل عشان تكشفي.**

**وهي تبتلع قرص الدواء، أخذت عبير تدثر حنين في سريرها: أنا هنزل أكمل الفطار وأجبلك معاه حاجة دافية تشربيها.**

**– بلاش أكل، ممكن أشرب حاجة بس.**

**استدارت عبير لتخرج من الغرفة، لتجد اللوحة الرائعة التي رسمتها حنين، أشارت لها بانبهار:**

**– إيه الجماال ده!!**

**ابتسمت حنين وهي تتساءل: حلوة؟!**

**– حلوة إيه، دي رووووعة، ماتقوليش إن ده المكان اللي كنتوا فيه امبارح؟! هزت حنين رأسها أن نعم..**

غمزت لها عبير وهي تضحك: كده الصورة وضحت خاالص، ألف سلامة عليكي وعليه.

كان بجوار حنين على الطاولة المجاورة لسريرها كرة صغيرة من المطاط، تنفس بها توترها حينما تكون متوترة، أمسكت بها، وألقتها مازحة على عبير "بررررة"، ضحكا، ما إن خرجت عبير من الغرفة حتى ألقت حنين برأسها الثقيل المتعب على الوسادة، أمسكت برأسها لتقول بصوتٍ متعبٍ: "آآآه يا راسي"، يبدو أن قرص الدواء بدأ مفعوله يسري في رأسها مجبرًا جفنيها على النوم.

صعدت عبير بالفطور لها بعد دقائق لتجدها وقد خلدت للنوم، أثناء تغطيتها، وجدت هاتف حنين يرن، نظرت لتجده يوسف، انتهزت هذه الفرصة، أغلقت الصوت مسرعة كي لا يوقظ حنين، أخذت الهاتف وخرجت على أطراف أصابعها لترد هي.

- صباح الخير.

- صباح النور يوسف، أنا عبير.

تنبهت للقلق الذي بدا في صوته بشدة!!

- عبير.. خير في حاجة حنين فين؟!

- أنا كنت عايزة أكلمك، لكن هي رفضت.

- إيه اللي حصل،؟!

- بعد ما رجعِت إمبارِح، داخت جامد وأغمى عليها، النهارده الصبح حرارتها عالية جدًّا وتعبانة، ومصرة تنزل عشان تشوف الشقة.

- هي فين طيب؟!

- أنا اديتها مسكِّن ونامت.

– أنا جاي، مسافة الطريق.

– لو عرفت إني كلمتك، هتزعل منّي!!

– ماتقلقيش أنا هتصرف.

جهَّز يوسف حقيبته الطبية، ونزل مسرعًا لسيارته.

ما إن لمس ميداليتها، حتى شعر بقلبه ينتفض قلقًا عليها بشكل متزايد، قاد سيارته كمجنون، يصارع الزمن ليصلِ إليها، أخذ حقيبة الكشف خاصته، قدماه كانتا تتخطى الدرجتين والثلاثة من السلم، وها هو أمام باب منزل خالد، ضغط الجرس، حاول تهدئة أنفاسه المتلاحقة، ولكن بلا جدوى خائف عليها كثيرًا.. فتحت عبير الباب له .. عبير بادٍ عليها القلق: أهلًا يوسف.

قال مسرعًا: هستأذنك أشوفها بسرعة.

– حاضر حاضر.

أشارت له على السلم، وهو يصعد بسرعة، قال: على فكره داخت وهي معايا امبارحِ كمان وقالتلي إنها بقت كويسة.. إيه اللي حصلها تاني، احكيلي بالتفصيل.

تنهدت تنهيدة عميقه ونظرت له وحكت له ما حدث في الليلة الفائتة بالتفصيل وهما يقفان على باب غرفة حنين، أشارت له بالدخول.

سارت أمامه، دقات قلبه تكاد تُسمَع من رأسه، حين دخل الغرفة رأى لوحتها التي رسمت، إنه المكان الذي جمعهما بالأمس!!

ها هي نائمة كملاكٍ صغيرٍ، في غرفة تشبه غرف الأميرات، جلست عبير على حافة السرير إلى جوار قدميها، سحب كرسيًّا وجلس أمامها، نظر لوجهها الشاحب..

**وضع كفه على رأسها وبأصابع يده الأخرى لمس مكان النبض في رسغها، ها هي نبضات قلبها تحت يديه، دقات قلب متعب يبدو عليه إرهاق من تحمل الكثير!!**

**ما إن سمعت صوته: حنين.. حنين.**

**فتحت عينيها المثقلتين بالتعب والنعاس معًا.. خُيِّل إليها أنها تحلم، وبابتسامة منهكة قالت: أنا بحبك يا بابا..!!**

*** * ***

## (11)

**ها هي نائمة كملاكٍ صغير، في غرفة تشبه غرف الأميرات، جلست عبير على حافة السرير إلى جوار قدميها، سحب كرسيًّا، وجلس أمامها، نظر لوجهها الشاحب، وضع كفه على رأسها وبأصابع يده الأخرى لمس مكان النبض في رسغها، ها هي نبضات قلبها تحت يديه، دقات قلب متعب يبدو عليه إرهاق من تحمَّل الكثير!!**

**ما إن سمعت صوته، حنين، حنين، فتحت عينها المثقلتين بالتعب والنعاس معًا، خُيِّل إليها أنها تحلم، وبابتسامة منهكة قالت: أنا بحبك يا بابا!!**

**انتفضت عبير واقفة في فزع..**

**أشار يوسف لعبير أن اهدئي، "هستأذنك تجيبيلي كمادات!!**

**ما إن خرجت عبير مسرعة، حتى بدأ يبعد عنها أغطيتها بهدوء، وهو يردد اسمها بهدوء.. هدوء خارجي اكتسبه بحكم مهنته كطبيب، لكن ما بداخله لا يعلمه إلا الله.**

**– حنين، حنين، انتي سمعاني، صح؟**

**كانت ترتجف بشدة.**

**– انتي كويسة ماتقلقيش، كله هيبقى تمام.**

كان يحادثها ويطمئنها، وهو يعلم أنها لن تستطيع الرد؛ فهي محمومة للحد الذي يجعلها لا تدرك ما يحدث حولها.

دخلت عبير مسرعة تحمل في يدها وعاء به ماء بارد وقطع من القماش، وفي فزع سألت: قالت حاجة تاني؟ دي بتترعش جامد.. وانهارت من البكاء.

نظر لها يوسف: اهدي من فضلك، لكن ازاي توصل للدرجة دي وماقالتش، أو حد خد باله إنها تعبانة قووي كده؟!

– هي قالتلي إنها كويسة، ده طبعها للأسف، بتيجي على نفسها وتتحمل للدرجة اللي بعدها بتنهار على طول.

أمسك من يدها وعاء الماء والقماش، وبدأ بوضع قطعه منها في الوعاء، وعصر الفائض من الماء وبهدوء بدأ يضعها على جبهة حنين.

ارتجفت وهي تشهق بقوة، كحمم بركان يحاولون إطفاءها بثلج، لم تلبث القطعة الباردة في يد يوسف أن تدفأ.

قال وهو يضعها في الماء مرة أخرى: الحرارة تنزل شوية، وهنقلها المستشفى، مش هينفع تفضل هنا بالحالة دي!!

دخل خالد في قلق، قائلاً: أنا هجهز العربيه، وهطلع أنزلها على طول.

لم يرد عليه يوسف؛ فقد كان مشغولًا بها للدرجة التي لم يشعر أن هناك من يحادثه، نزل خالد، ونزلت معه عبير لتجهز نفسها للذهاب معهم.

لمح يوسف معطفًا بغطاء رأس علق على شماعة ملابسها، أتى به، وأخذ يلبسه لها في هدوء، أغلق أزراره ورفع غطاء الرأس ليغطي رأسها.

حملها في حنانٍ وحذرٍ، جسدها الصغير يرتجف بين يديه، كعصفورة أصابتها حمى الجحيم.

قابلته عبير وهي تصعد السلم: "أنا كنت طالعة أساعدك وخالد جاي ورايا أهو.

نزل مهرولًا، قائلا": هستأذنك تجيبي شنطتي من فوق، أنا هاخدها في العربية عندي، لو حابين تيجوا معايا أو تمشوا ورايا بالعربية!!

أتاه صوت عبير من ورائه: أنا عايزة أكون معاها، خالد أنا هركب مع يوسف.

ساعد خالد يوسف في فتح باب السياره الخلفي،

– خالد ممكن تسوق أنت، أنا عايز أتابعها، اتفضل المفاتيح أهي.

ومدَّ له يده بميداليته الفضية، ما إن لمستها يد خالد حتى شعر بغيرة شديدة، وكأنه لمسَ حنين، إحساس تلو الآخر يؤكد به القلب فرضَ سيطرته على كل جوارحه.

جلست عبير إلى جوار خالد، بينما وضع يوسف حنين بين ذراعيه ساندًا رأسها على صدره، ممسكًا برسغها ليتابع نبضاتها.

بين الحين للآخر كان يحاول أن يتحدث معها، بينما كانت تراقبها عبير ودموعها لا تتوقف.

قال يوسف هامسًا لها: حنين، انتي سامعاني، هتبقي كويسة، تقدري تردي عليَّ؟!

– والله كنت بحبه، وهو كمان كان بيحلف!

تلاقت عينا يوسف وعبير في صمت وقلقٍ!

طلب يوسف من عبير أن تناوله زجاجة المياه من جوارها، وأخذ يضع القليل منها في كف يده ويمسح بها على كفها ووجهها ورقبتها.

بين الحين للآخر كان يتابع الطريق مع خالد، حتى وصلوا.

- أيوه هنا يا خالد، أدخل من مدخل الطوارئ.

نزلت عبير لتفتح باب السيارة.

قال وهو يحمل حنين بين ذراعيه: أنا هسبقكم.

أردفت عبير: أنا هاجي معاك يا يوسف، خالد اركن وحصَّلنا، أوكي؟

هزَّ رأسه موافقًا..

دخل يوسف ردهة المستشفى مسرعًا، وقف كل من في الاستقبال،

منهم من أقبل عليه يسأله، ومنهم من هرول سابقًا إياه لفتح غرفة الطوارئ!!

وضع حنين بحذرٍ على السرير، وأخذ يتحدث مع زملائه الذين لحقوا به ببعض المصطلحات الطبية التي لم تفهمها عبير، طلبوا منها الانتظار في الخارج.

خرجت وهي تبكي، بينما رأت خالد يأتي مسرعًا نحوها سائلًا إياها: هي فين؟

أشارت له أنها في الداخل.

- يوسف معاها؟

- ومعاه دكاتره كتير..

وارتمت في صدره تبكي صديقتها التي لم ترَها يومًا في مثل هذه الحالة من الإعياء إلا يومًا واحدًا، لم تتمنَّ أن تعيشه مرة أخرى.

بعد حوالي ربع الساعة، فتح باب الغرفة، ليخرج منها الطبيب تلو الآخر وجميعهم يبتسمون محاولين بثّ الطمأنينة!!

أطل آخر طبيب برأسه من باب الغرفة داعيًا عبير وخالد للدخول.

انتفضا واقفين متجهين إلى داخل الغرفة، ليجدا حنين نائمة في هدوء، وقد عُلِّقَ لها بعض المحاليل في كفيها، وموصولة ببعض الأجهزة الطبية.

كان يوسف ممسكًا بكف حنين، نظر لهما: الحمد لله، اتطمنوا، المحاليل دي هتنزّل الحرارة بسرعة، وكمان فيها مهدئ عشان تنام وجسمها يقدر يستعيد نشاطه بهدوء، وهنخليها تحت الملاحظة لحد لما نتطمن إن كل حاجة طبيعية.

خالد أنت ممكن تروَّح عبير وتشوف شغلك، أنا معاها وزمايلي هنا هتبقى تحت عينينا متقلقوش.

ردَّت عبير مسرعة: لأ، أنا مش هسيبها طبعًا.

أردف يوسف: طيب ممكن أقولك على حاجة، انتي ممكن تروَّحي مع خالد تجيبيلها هدوم عشان لما تفوق.

قال خالد: تمام، عبير، أنا شايف الحمد لله إنها أحسن وهنا هنكون متطمنين عليها أكثر.

أمّن يوسف على كلام خالد قائلًا: هتاخد العربية وتسيبها عندكم، وأنا أول ما تفوق واطمئن عليها هاجي آخد العربية، أوكي!!

هزَّ كلاهما رأسه موافقًا، توجهت عبير صوب حنين لتمسح على رأسها وتقبِّل جبهتها، ونظرت بعينيها الدامعتين ليوسف قائلة: خلّي بالك منها، إن شاء الله مش هنتأخر.

أغمض يوسف عينيه، وأومأ برأسه في هدوءٍ مطمئنًا إياها.

ما إن خرجا من الغرفة حتى عاد يوسف ينظر لحنين، وهربت من عينه دمعة، مسحها مسرعًا كي لا يراها أحد.

**مرت الثواني أثقل من الدقائق والساعات وهو يراقب نبضات قلبها المتعب، الذي يرسم خطوطه الضعيفة على هذا الجهاز، كيف سأخبرهم، أم أنهم يعلمون؟!**

**أخذ قلبه يحادثها وهو يتلمس كفَّها الناعم الذائب دون مقاومة بين يديه.. حنين، ما الذي خبأتِه في قلبك حتى أرهقتِه إلى هذا الحد؟!**

**ما معنى الكلام الذي فاض به لسانك في لاوعيك؟!**

**ما إن دخلت عبير تحمل الحقيبة التي تحوي أغراض حنين، حتى وجدت يوسف مسندًا مرفقيه على فخذيه ضامًا كفيه بين ساقيه ومسدلًا رأسه ناحية الأرض في شرودٍ كبيرٍ.**

**قرعت الباب في هدوءٍ، رفع رأسه ناظرًا إليها، اعتدل في جلسته مشيرًا إليها بالدخول: اتفضلي، الحمد لله على السلامة.**

**أسندت الحقيبة على كرسي بجوار الباب، وهي تنظر صوب حنين بعينين مشفقتين قالت: طمِّني، عاملة إيه دلوقتي؟!**

**– الحمد لله، بتتحسن.**

**– طيب، هتفوق إمتى؟**

**– النوم أحسن ليها، واضح إنها كانت مرهقة جدًّا وجسمها ضعيف، عشان كده البرد أثَّر فيها جامد.**

**نظرت عبير تجاه جهاز تخطيط القلب، ثم نظرت ليوسف، وقالت: ممكن أتكلم معاك في موضوع مهم؟!**

❋ ❋ ❋

## (12)

**نظرت عبير تجاه جهاز تخطيط القلب، ثم نظرت ليوسف، وقالت: ممكن أتكلم معاك في موضوع مهم؟!**

**نهض يوسف من مكانه، ناظرًا إليها وكأنه استشفَّ من نظراتها القلقة ما ستقول.**

**– أنا كنت عايزة أقولك على حاجتين بخصوص حنين..**

**أشار لها لتجلس، فقد بدا عليها التوتر والحزن الشديدان!!**

**ما إن جلست وجلس إلى جوارها ناظرًا لها باهتمام، حتى قالت: الحاجة الأولى، أكيد بحكم إنك طبيب عرفتها.**

**حاول أن يظهر اهتمامه بكلامها ليعرف مدى معرفتهم بحالة حنين: معلش ممكن توضحي كلامك أكتر، مش فاهم.**

**نظرت لجهاز تخطيط القلب وقالت: بتكلم عن قلب حنين..**

**عرف حينها، أن هناك ما يعرفونه ولم يعرفه هو إلا اليوم.**

**أومأ برأسه: تمام، واضح إن قلبها ضعيف جدًّا.**

– قبل ما أحكيلك أي حاجة، هتوعدني إن الكلام إلي هقولهولك محدش هيعرف عنه حاجة ليوم القيامة، أنا ممكن أخسر حنين لو عرفت إني حكيتلك عن أي حاجة تخصها، أنت يمكن متعرفش أنا وهي بالنسبة لبعض إيه..أنا شايفة فيك إنسان محترم ومهتم وخايف عليها من قلبك، لولا كده صدقني استحالة كنت هقولك أي حاجة عنها.

بدا على ملامحه الفضول والقلق.

– هتوعدني؟

– عبير، أنا بحب حنين..

اتسعت عينا عبير من المفاجأة، وعلا صوت قلبها فرحًا، وكأنما أعلن عن حبه لها هي.. ولكن ما لبثت هذه الفرحه أن خبت حدتها، عندما تذكرت ما عليها أن تخبره به، وأي صدمة قد تسببها له، بل إنها قد تنهي هذا الحب في قلبه قبل أن يعلن عنه!!

– يوسف، حنين حياتها مش سهلة زي ما ممكن تكون متخيل، وده الموضوع التاني اللي عايزة أكلمك فيه!!

– لو حاسة إنك مترددة، ياريت ماتقوليش، وأنا أوعدك ده مش هيأثر أبدًا على علاقتي بحنين،.

– لو أنا مش واثقة فيك، مكنتش اتكلمت معاك من الأول، أنا خوفي الوحيد إن حنين تعرف إني حكيتلك عنها حاجة.

– وأنا بتعهدلك إن ده مش هيحصل أبدًا.

نظرت لحنين وهي نائمة، ثم نظرت ليوسف، وقالت بصوت هامس: حنين مرة بتجربه صعبه جدًّا في حياتها، سببتلها صدمة في التعامل والثقة في أي شخص بيتقرب منها ويتوددلها.

**– أنا حسيت ده فعلًا في تعاملي معاها، عينيها فيها خوف واضح جدًّا.**

**– تمام، أنت كده فعلًا حاسس حنين.**

**حبيبتي عاشت قصة حب كبيرة، مع شخص وارتبطوا لمدة سنتين، الشخص ده كان عارف حالة قلبها، وإنها في حالة اتجوزوا قلبها مش هيستحمل الحمل والإنجاب، ومع ذلك تمسك بيها جدًّا، وقالها إن وجودها في حياته أهم من أي شيء تاني، كان بيحبها حب جنون.**

**قاطعها وقد بدا على ملامحه وصوته الغيرة: اتجوزوا؟!**

**– اتجوز!!، حنين سافرت مع شغلها 6 شهور، وبرغم إنه كان بيكلمها كل يوم ومتابع كل تفاصيل يومها، رجعت عشان تتفاجئ إنه اتجوز ومراته حامل!!**

**وضع يوسف قبضة يده على فمه في صدمه، وقال بتأثُّر: حصلها إيه لما عرفت؟!**

**– صدمة عصبية، وصلت بيها لنفس الحالة اللي هي فيها دلوقتي.**

**من وقتها مش بتؤمن لا بالحب ولا بالوعود، بتخاف من التجربة ومن أي شخص يقرب منها أو يوعدها بأي وعد.**

**– عندها حق أكيد.**

**– حاولت معاها كتيييير إنها تدي لنفسها فرصة، لكن مفيش أمل.**

**أتاهم صوتها وهي تئن، انتفض يوسف متجهًا إليها، أمسك بيدها ضاغطًا عليها بلطف: حنين، سمعاني؟**

**فتحت جفنيها في إعياءٍ شديدٍ، لترى وجهه مبتسمًا: أنا فين؟!**

**وهو يضع يده خلف رأسها ويسند ظهرها ليرفعها على وسادة أكثر ارتفاعًا: انتي معايا أنا وعبير.**

اقتربت عبير منها لتقبّل رأسها، ودموعها تتساقط: روح قلب عبير.

وهو يرتدي سماعته الطبية: هاا، دموع مش عايز، الحمد لله بقينا زي الفل.

ما إن اقترب بسماعته صوب قلبها، حتى أمسكت بيده، لتبعدها عن صدرها، حتى إن الإبرة المثبتة في كفها خرجت لتنزف بشدة، انتفضت باكية، وعاد جسدها ينتفض من جديد، ولكن هذه المرة ليس بفعل الحرارة!!

فهم يوسف أنها لا تريده أن يسمع قلبها، أمسك بيدها بهدوء، قائلًا: خلاص، خلاص، مش هكشف، اهدي أرجوكي!!

أمسك بكفها ليضع ضمادة على الجرح النازف، بينما تمرر عبير يديها بحنان على شعرها مهدئة إياها: بس، بس..

نظرت عبير ليوسف وهو يرفع رأس حنين مقتربًا منها، ناظرًا في عينيها مباشرة بحزم وحنان: انتي كويسة، اطمني، مش اتفقنا تثقي فيَّ.

اتسعت عينا عبير وهي تسمع رد حنين وهي تقول بصوت متهدج وسط دموعها: واثقة فيك..

كأرض قاحلة أصابها صيب ماء، نزلت كلماتها على قلبه، لترويه.

مدَّ يده ليمسح دموعها، وهو يسألها: انتي حاسة إنك أحسن؟

هزت رأسها المثقل بالإيجاب.

قال وهو لا يزال ناظرًا في عينيها: تقدري تقومي؟ عبير جابتلك هدوم عشان تغيّري، وننقلك غرفة تانية، تقدري؟؟

بصوت يكاد يُسمَع: أقدر..

أخذ يرفع عنها ما وُصِّل بها من أسلاك الأجهزة وأنابيب المحاليل الطبية، ساعدها في النهوض من جهة، ومن الجهة الأخرى تمسك بها عبير، فما زالت لم تتزن بشكل طبيعي بعد.

– هسيبكم شوية، هستنى برة وهخلي ممرضة تيجي تساعدكم.

خرج ليجلس مع زملائه في الخارج منتظرًا أن يبلغوه أنهم مستعدون أن ينقلوها لغرفة أخرى، أكثر راحة وهدوء لتتعافى بشكل كامل.

فتحت الغرفة، وخرجت الممرضة لتخبره أنها جاهزة.

دخل ليجدها جالسة على السرير، في ملبس وردي رقيق، وقد جمعوا لها شعرها على هيئة ذيل الحصان، وها هو عطرها يملأ أرجاء الغرفة ليطرد منها روائح العقاقير الطبيه وأشباح المرض.

فضحته عيناه وهو يتأملها!!

ضحكت عبير وهي تقول: أنا بقول نروّح بقى وكفاية دلع!!

أشار يوسف للمرضة أن تقرب له الكرسي المتحرك قرب السرير، اقترب يوسف منها وحملها ليضعها على الكرسي، وهي بين ذراعيه، همست له: آسفة إني تعبتك.

ابتسم وهو ينظر في عينيها ولم يرد عليها.

سأل أحد زملائه عن رقم الغرفة التي ستنتقل إليها، ثم قال موجهًا كلامه لعبير: تروح فين؟! احنا لازم نتطمن عليها الأول.

أمسك بمقبض الكرسي ودفعها متجهًا بها إلى حيث غرفتها الجديدة.

ما إن وصلوا إلى الغرفة، حتى حملها مرة أخرى ليضعها في سريرها، نظرت حنين صوب عبير مشيرة لها بعينيها أنها تريد التحدث إليها.

- أنا خارج أهو، خدوا راحتكوا، لكن هاجي كل شوية اطمئن عليكي.

ابتسمت عبير وتورد خدا حنين من الخجل لأنه شعر أنها تريد محادثتها دون أن يكون موجودًا.

في طريقه للخروج من الغرفة، أتاه صوتها: يوسف..

التفت إليها مبتسمًا:

- شكرًا، وآسفة إني تعبتك.

- الحمد لله على سلامتك.

غادر الغرفه، متجهًا إلى عيادته، التي ما إن دخلها، حتى ارتمى على الكرسي مغمضًا عينيه وهو يتنفس الصعداء، قائلًا: حنيين، يا وجع السنين..

أمسكت حنين بيد عبير وهي تغطيها، سائلة إياها: عرف يا عبير، صح؟

حاولت أن لا تواجه عينيها كي لا تكتشف من خلالهما أي شيء، فقد كانت تمتلك حدسًا يكشف ما بداخل من أمامها بسهولة.

- طبعًا يا بنتي، بس الحمد لله طمّني.

- قالك إيه، وقالك إزاي؟!

أخبرتها أنه قال لها إن قلبها ضعيف، وجسدها مرهق لذلك أثَّر فيه البرد بشكل كبير.

نظرت في عمق عينيها قائلة: قال كده بس؟!

هزت رأسها بالإيجاب، أردفت حنين وهي تحاول محاصرتها بنظراتها: انتي قولتيله حاجه تاني؟!

وهي تطفئ نور الغرفة: حاجة تانية زي إيه يا حنين؟ ممكن تغمضي عينك وترتاحي، انتي لسه تعبانة.

– آسفة بجد يا عبير على التعب ده، بدل ما أنا اللي أريّحك، أبهدلك معايا كده.

– إيه الكلام اللي يزعَّل ده، أنا خليت خالد كلم الشغل وعرفهم إنك تعبانة وهيقدملك أجازة يومين كمان!!

– ليه يومين يا عبير، أنا هقول ليوسف أخرج النهارده أنا حاسة إني أحسن، صحيح، هو عرف إزاي إن أنا تعبانة، وجبتوني هنا إزاي؟!

قطع كلامهما رساله وصلت على هاتف حنين، نظرت عبير لتجدها رساله من يوسف،

أعطت الهاتف لحنين وهي تقول: رسالة من يوسف، أنا مش هبص، بس قوليلي كاتب إيه، عشان خاطري. وابتسمت..

كتب يوسف: انتي ازاي سايباه يتكلم عنك كده؟! عقدت حاجبيها في استغراب!! نظرت لتجد رابط أغنية (عنيك حلوين – لمحمد منير).

– ها.. كاتب إيه؟!

– عبير من فضلك هاتيلي، الهاند فري.

– يبقى باعت أغنية، مش هتقوليلي باعت إيه؟!

* * *

# (13)

– آسفة بجد يا عبير على التعب ده، بدل ما أنا اللي أريّحك، أبهدلك معايا كده.

– إيه الكلام اللي يزعَّل ده، أنا خليت خالد كلم الشغل وعرفهم إنك تعبانة وهيقدملك أجازة يومين كمان!!

– ليه يومين يا عبير، أنا هقول ليوسف أخرج النهاردة أنا حاسة إني أحسن، صحيح، هو عرف إزاي إن أنا تعبانة، وجبتوني هنا إزاي؟!

قطع كلامهما رسالة وصلت على هاتف حنين، نظرت عبير لتجدها رسالة من يوسف.

أعطت الهاتف لحنين وهي تقول: رسالة من يوسف، أنا مش هبص، بس قوليلي كاتب إيه، عشان خاطري.. وابتسمت..

كتب يوسف: انتي ازاي سايباه يتكلم عنك كده؟! عقدت حاجبيها في استغراب!! نظرت لتجد رابط أغنية (عنيك حلوين – لمحمد منير).

– ها.. كاتب إيه؟!

– عبير من فضلك هاتيلي، الهاند فري.

– يبقى باعت أغنية، مش هتقوليلي باعت إيه؟!

تبتسم عبير في خجل: هقولك بس أسمعها الأول.

وهي تناولها سماعات الهاتف: ماشي يا ست حنين اسمعي الأول، أنا هخرج أكلم خالد أطمّنه.

وضعت حنين سماعات الهاتف، وأغمضت عينيها، لتسمع كلمات الأغنية وهي تبتسم، تذكرت نظراته لها وهو يحملها، فقال قلبها، عينيك أنت اللي حلوين يا يوسف.

ما زالت رأسها مثقلة وجسدها متعب، نامت وسحبتها أمواج الأحلام إلى حيث هي جالسة تعزف على البيانو وهو يجلس إلى جوارها، ناظرًا لها في إعجاب، وما إن أنهت عزفها حتى أمسك يدها رافعًا إياها إلى شفتيه يقبّلها، ناظرًا في عينيها.

شعرت بدفءٍ يحيط كفها، فتحت عينها لتجده جالسًا إلى جوار سريرها يتلمس يدها بحنان، كان يرتدي معطفه الأبيض.

نظرت له وهي تبتسم متأملة إياه: الأبيض حلو قووي عليك، حاساك ملاك.

ابتسم من عذوبة كلماتها، ولسان حاله يقول منحك الله حلاوة اللسان أيضًا!!

– على فكرة الملايكة ممكن تكون بتلبس روز كمان، قال هذه الكلمات وهو ينظر إلى ردائها الوردي.

ابتسمت في خجل: تعبتك..

وهو ينظر إلى ملامحها: خُفت عليكي.

– أنا بقيت كويسة.

ينظر في عمق عينيها: بتطمنيني..

– صدقني..

– اوعديني ماتجيش على نفسك للمرحلة اللي توصلي فيها للحالة دي تاني، ممكن؟

– أوعدك، لو أنت وافقت أخرج النهارده.

و هو يهز رأسه يمينًا ويسارًا رافضًا: توء، توء..

– ليه يا يوسف؟! أنت ناسي، مش أنا قولتلك الشقة كنت هستلمها النهارده، ولازم أرجع الشغل بكرة!!

– وانتي ناسية إني دكتور، وأنا الوحيد اللي يقدر يقول إمتى تقدري تخرجي وإمتى لأ.

قالت في دلال: يووسف!!

رفع حاجبيه في لامبالاة ليغيّر مسار الحديث وسألها: سمعتي الأغنية اللي بعتهالك؟

فهمت مغزى ما يحاول فعله، نظرت في عمق عينيه وهي تبتسم وقالت: يوسف أنت بتتذاكى عليَّ؟!

ضيَّق عينيه ناظرًا في عمق عينيها، وقال بمرح: بصراحة آه.

ضحكا من قلبيهما.

صمتت حنين وقالت في سعادة: عارف أنت بتفكرني بمين؟

في شغف سألها: مين؟!

نظرت له في حنان: بابا، بحس معاك بالأمان اللي بحسه وهو معايا.

كاد يحتضنها من شدة رقتها وحنانها وهي تنطق بهذه الكلمات التي تعني له الكثير.

– شرف كبير ليَّ طبعًا، عارفة إنك قولتيلي "بابا" وانتي تعبانة؟!

عاد الخوف ليزور عينيها من جديد، سألته في قلق: وقُلت إيه تاني؟

صمت ثم أردف قائلًا: لا شيء، فقد تعهَّد أمام الله ولعبير أن يحفظ سرها، وأن لا يحدِّث به حتى نفسه.

قطع نظراتهما المترقبة، مجيء خالد وعبير.

بصوت متهلل قال خالد: الحمد لله على سلامتك يا ست البنات، واقترب منها ليربت على كفها، ويقبِّل رأسها.

نظر يوسف إلى كف حنين التي لمسها خالد للتو، وارتفع الدم إلى رأسهز

لاحظت عبير تغيُّر ملامحه.. حادثت نفسها: أنت بتغير عليها يا يوسف!!

أسرعت لتحضر كرسيًّا لخالد، ووضعته بعيدًا عن حنين قدر المستطاع؛ فخالد يتعامل مع حنين على أنها أخته الصغرى، وقد يداعبها أو يمازحها بطريقة تغضب يوسف، للحد الذي قد يجعله يلكمه!!

نعم لهذه الدرجة، هذا ما رأته واضحًا جليًّا على ملامح يوسف الغاضبة.

فهمت انطباعات يوسف لحدٍّ كبير، ولم ترد أن يساء فهم خالد، لا تعلم لم أصبحت تشعر أن حنين ويوسف ينتميان لبعضهما، شعور جميل ومريح، تمنت من أعماق قلبها أن تكلل هذه العلاقة وهذا الشعور بالنجاح.

كان يوسف يشعر بالغيرة فعلًا؛ فقد أصبح يشعر بانتمائها له، هي لي، لا يحق لأحد الاقتراب منها..

وجَّه خالد كلامه لحنين: أنا عديت على الشغل عرَّفتهم بظروفك وعنوان المستشفى، زمايلك قالوا إنهم هييجوا عشان يتطمنوا عليكي.

قطع شرود ذهن يوسف سؤال خالد: هي تنفع تخرج إمتى؟

نظر لها ثم له وقال: أنا شايف إنها لسه محتاجة ترتاح على الأقل يومين كمان، مش معنى إنك حاسة إنك كويسة يبقى تقدري ترجعي تمارسي حياتك وتبذلي مجهود بشكل طبيعي.

قالت حنين في دلال وهي ترجوه: يوسف، ممكن أخرج وصدّقني مش هعمل مجهود خالص.

نظر لها بحنانٍ، وقال بحزم: النهارده ماينفعش أبدًا بأي حال من الأحوال، بكرة نتطمن عليكي بتحاليل وأشعة بسيطة، وبعدها هطلق سراحك.

قالت عبير: أنا معاك في الرأي ده، خصوصًا إنها عنيدة وبتيجي على نفسها كتير، وبتكون تعبانة ومش بتقول.

نظر يوسف لحنين مشيرًا بيده صوب عبير وهي تتحدث وابتسم في تحدٍّ.

– كده يا عبير؟! ده أنا حبيبتك.

– ما هو عشان انتي حبيبتي لازم أخاف عليكي، وأنا بصراحة متطمنة عليكي هنا.

نظرت حنين لخالد وقالت: شايف مراتك بتعمل فيَّ إيه؟!

ضحكوا، وأردف خالد قائلًا وهو يهم واقفًا: طيب انتوا هتحتاجوا مني حاجة، أنا هروح، وأرجعلكم الصبح قبل ما أروح الشغل.

نظرت حنين لعبير،: هتروحي معاه؟!

نظر لهما يوسف قائلًا: بدون تدخل منّي أنا شايف إنك تروحي ترتاحي، وتيجي مع خالد الصبح.

نظر في ساعة يده: المفروض ميعاد الدواء كمان شوية صغيرين.

قبَّلت عبير حنين وقالت: أي حاجة كلميني على طول. وهي تضع هاتفها إلى جوارها:

– موبايلك جنبك أهو عشان تردي عليه اول لما اكلمك، هزت حنين راسها مطمئنة" لها،

– عشان تطمنوا كمان، جرعة الدواء اللي جاية هتخليها تنام، انتوا كمان محتاجين ترتاحوا.

ما إن أوصلهما إلى خارج الغرفة حتى عاد لحنين.

نظر لها وابتسم بحنان: إيه رأيك أكشف عليكي، ولّا أخلي حد من زمايلي؟!

اللي هتقولي عليه هعمله.

تمنى قلبه أن تختاره هو، وقد كان.

نظرت له به خجل وقالت: ماشي أنت.

ابتسم لها في ثقه وضغط زرًا بجوار سريرها وهو يرتدي سماعته الطبية. دخلت ممرضة وطلب منها أن تبدأ بوضع المحلول في يدها مجددًا: هتحسي إنك دايخة شوية بس عشان الدواء هيخليكي ترجعي تنامي تاني، ماتقلقيش.

اقترب منها وأخذ يحادثها ليشتت انتباهها عن ألم وغز الإبرة في كفها، وضع سماعته الطبية على قلبها، هذا أنت أيها الضعيف، أخذت نبضاتها المضطربة الضعيفة، تداعب أذنيه، تمنى لو استطاع أن يجعله قويًّا.

نظر لها وقد اكتسى وجهها بالحمرة، وحرك شفتيه بدون صوت قائلًا: ماتخافيش.

أغمضت عينيها كي لا تراه، فاقترابه منها، عطره، أنفاسه جعلتها تخجل منه بشدة.

– افتحي عنيكي بقى أنا خلصت.

لم تفتح عينيها، نامت، مرَّر يده على شعرها في حنان، أبلغ زملاءه أنه سيقضي الليله في غرفتها.

استلقى على الأريكة الموازية لسريرها، سارحًا فيها وفي تفاصيلها، أمسك هاتفه وأدار مقطوعة. " Winter Sonata "

ناما في سلام وهدوء ودفء، غاب عنهما منذ سنين.

استيقظت حنين، ما هذه الموسيقى!! إنها من عزف حبيبها البيانو، مقطوعة رائعة الجمال.

نظرت لتجد يوسف نائمًا أمامها، أخذت تتأمله، على الرغم من قلبها المتعب، إلا أنها ما إن أخذت تنظر له، حتى أخذ يعلن عن نبضاته القوية، تذكرت كيف حملها، كيف كان خائفًا عليها، خائف للدرجة التي جعلته يترك عمله ويتواجد إلى جوارها الآن!!

فتح يوسف عينيه، لتتلاقا عيناهما.

– صباح الخير يا دكتور.

– صباح النور، طمنيني.

– الحمد لله تمام، لولا البتاعة دي – أشارت لمكان الإبرة المثبتة في كفها–، كنت قمت من بدري.

نهض يوسف جالسًا.. تمطى بجسده في كسل، ثم قال وهو ينهض واقفًا: بس كده هي دي السبب يعني.

وضع يده على جبهتها: الحمد لله الحراره تمام. أمسك بمعصمها يتابع نبضها وهو يقول: يعني ننزل نفطر بقى؟!

نظرت له في تساؤل: ننزل فين؟!

أمسك بشريط لاصق صغير وقال: غمضي عينك وهقولك.

لم تعد تستطيع أن تجادله في شيء، أغمضت عينيها..سحب الإبرة من كف يدها بسرعه وخفة، ووضع مكانها الشريط الطبي اللاصق.

فتحت عينيها وهي تشهق شهيقًا خفيفًا ناظرة إلى كفّ يدها ثم إليه.

ابتسم وقال: خلاص، الحمد لله على السلامة، كان يريد أن يقبّل مكان الجرح على كفها، ولكنه ما لبث أن منع نفسه عن ذلك، فما زال يخاف الاقتراب منها حتى لا تهابه وتهرب منه.

توقفت النظرة بين عينيهما، وكأن قلب كل منهما يقف خلفه دافعًا إياه ليحتضن الآخر.

هربت حنين بعينيها عنه، وقالت: أنا جعانة، هنفطر فين؟!

– هتقدري تنزلي لوحدك من على السرير، ولّا لسه دايخة؟

أسندت كفها على ذراعه، ونزلت بقدميها على الأرض تحاول أن تثبت له أنها بصحة جيدة، شعرت بدوار خفيف.

نظر لها وهو يمسك يدها وقال: طبيعي هيبقى في دوخة بسيطة، لو زادت قوليلي.

نظرت له مبتسمة: صح دوخة بسيطة، بس دلوقتي خلاص.

– حنين..

– نعم؟

– إيه فرق الطول ده، ههههههه.

مدت يدها لتصافحه: فرصة سعيدة إني اتعرفت على حضرتك.

– بجد إيه ده أنا أول مرة آخد بالي.

– المقابلة انتهت يا دكتور.

ضحكا، ثم قال لها: هخلي ممرضة تيجي تساعدك، اجهزي والبسي تقيل، وأنا هستناكي برة.

مالت برأسها ناحية كتفها بدلال طفولي: أوكي..

خرج من الغرفة، نظر حوله، المستشفى؟!

حنين ماذا فعلتِ بي، أنسيتِني نفسي وعملي!!

بدَّل ملابسه سريعًا وعاد لينتظرها.

سمع صوت الباب يفتح ليراها تخرج في كامل أناقتها وبساطتها المعهودة، ما زال وجهها مرهقًا بعض الشيء ولكن لم يقلل ذلك من جاذبيتها شيئًا.

نظرت له وابتسمت قائله: أنا جاهزة.

ابتسم وهو يثني لها ذراعه لتعلق به كفها في خجل: ماقولتليش هنروح فين؟!

– هنبدأ الجولة السياحية اللي اتفقنا عليها، فاكره؟!

– فاكرة.

– ممكن أطلب منك طلب؟!

– قالت بفرح: طبعًا.

– المرة الجاية لما نخرج مع بعض، تلبسي حاجة بكعب عالي شوية.. وضحك.

خبطت بكفها على ذراعه: ماشي يا يوسف، مش عاجبك بلاش، وتركته سابقة إياه بخطوة.

خطا هذه الخطوة نحوها، وأمسك بكفها يعيده ليتعلق بذراعه، قائلًا: يلا أمري لله.

خرجا ليركبها سيارته، ما إن جلس إلى جوارها حتى قالت: على فكرة مش أنا بس اللي محمد منير بيتكلم عنّي.

ضحك بصوت مرتفع: ازاي؟

كانت قد جهزت على هاتفها أغنية، (يونس لمحمد منير).

أدارت الأغنية، وأخذت تنظر ليوسف وهي تردد كلمات الأغنية مبدلة اسم يونس" بـ "يوسف".

نظر لها يوسف في إعجاب، ذكية، سريعة البديهة، صفحات كتابه بدأت تمتلئ بمزاياها، كما امتلأ قلبه اقتناعًا بها وبحبها.

ضحكا كثيرًا، نسي يوسف نفسه معها، للدرجة التي لم يتخيل كيف كانت حياته كئيبة قبل أن تظهر فيها هذه الحنين..

كانت الثلوج تغطي الطرقات بشكل كبير، وصل بها إلى مكان مليء بالمطاعم، نظرت لترى لافتات باللغة العربية.

قالت بفرح وهي تشير إلى اللافتات: إيه ده، بيعملوا أكل عربي؟!

هزَّ رأسه بابتسامة عريضة، أن نعم.

ركن سيارته وتوجَّه إليها لينزلها من السيارة، ترك لها حرية الاختيار، اتجها نحو المطعم الذي اختارته، وبينما هما في انتظار الفطائر والشاي الذي اختاراه بعد مشاورات واتفاقيات متبادلة وقَّعتها أصابعهما مدغدغة قائمة الطعام.

أخذت حنين قبضة من الثلج، وأخذت تشكلها بين كفيها وعينا يوسف تراقبها، حتى وضعت أمامه قلبًا "ثلجيًّا" وابتسمت وهي تنظر ببراءة ليوسف، قائلة: حلو؟!

نظر لها يوسف قائلًا: جدًّا..

ممكن أسألك سؤال؟!

* * *

# (14)

أخذت حنين قبضة من الثلج، وأخذت تشكلها بين كفيها وعينا يوسف تراقبها، حتى وضعت أمامه قلبًا "ثلجيًّا" وابتسمت وهي تنظر ببراءة ليوسف، قائلة: حلو؟!

نظر لها يوسف قائلًا: جدًّا..

ممكن أسألك سؤال؟!

– طبعًا..

أشارت للقلب الثلجي، متسائلة: لو قلبك زي القلب ده، تعمل إيه عشان يدفى، وفي نفس الوقت أنت عارف إنه لو دفي هيدوب ومش هيكون له وجود.

تجمدت عينا يوسف داخل عينيها، وعجز لسانه عن الكلام، لم يعرف بم يجيب، سؤالها صعب.. صعب للغاية!!

لا إراديًّا، وجد نفسه يبعد يده عن القلب الثلجي، خوفًا من أن يذوب، من دفء يديه.

– حنين، انتي إنسانة جميلة بجد، بس خلينا نسأل الأول إيه اللي خلى القلب بقى كله تلج كده.. مش انتي اللي خدتي التلج وعملتي منه القلب.

هزت رأسها بالإيجاب.

– يبقى القرار كان في إيدك، من الأول ماتخليش قلبك يوصل للمرحلة دي، خليني أقول كلمه أبسط "قاومي"..

متخليش حد هو الي يشكل قلبك، ويتحكم فيه، قلبك ده ملكك إنتي، انتي بس الي من حقك تتحكمي فيه وتوهبيه للي يستحقه.

جاء النادل بالفطور ليضعه أمامهما، نظر لها وهي تقول في براءة: يميي، الأكل ريحته رووعة وسخن، ربنا يخليك يا يوسف يارب.

ضحك يوسف وقال: ألف هنا وشفا، آسف والله مكنتش أعرف إنك جُعتي للدرجه دي.

ازداد تورُّد خديْ حنين حينما رأته يرمقها بنظراته وهو يأكل.

عينه مليئة بالكلام، تريد أن يتحدث معها كثيرًا، كما يريد هو وأكثر.

بعد أن أنهيا الفطور، بينما يحتسيان الشاي، قال يوسف: عارفة عنوان الشقة بتاعتك فين؟

هزت رأسها أن نعم، ثم أردفت: بس العنوان بالتفصيل في البيت عند عبير.

– ممكن تكلميها تقوليلها تديكي العنوان بالتفصيل، نروح دلوقتي نشوف المكان، وممكن أوديكي الشغل تاخدي المفتاح نشوف الشقة محتاجة إيه، هاا إيه رأيك؟

– فكرة حلوة قووي.

أخرجت هاتفها واتصلت بعبير: صباح النور حبيبتي، آه الحمد لله تمام، أنا معاه أهو.

ونظرت ليوسف ليبتسم وهو يقرئها السلام.

– هو كمان بيسلم عليكي، لأ مش في المستشفى، خرجنا نفطر برة.

توردت وجنتا حنين؛ ففهم يوسف أن عبير تقول شيئًا ما عنهما، فابتسم وانشغل في هاتفه كي لا يزيد من خجلها.

– ممكن تشوفي في الأوراق بتاعتي ورقة مرسوم عليها خريطة لعنوان الشقة بتاعتي، وصوريها وابعتيهالي من فضلك، والله مش مستعجلة ولا حاجة، ده اقتراح يوسف.

يا سلام إسْمعنى لما قولتلك يوسف قُلتي أوكي وهديتي..

ابتسمت قائلة: ماشي يا ست عبير لما اشوفك بس.

آه هنشوف الشقة، وأجيلك على طول!! هستنى الصورة.. سلام حبيبتي.

ما إن أغلقت الهاتف حتى قال لها: لسه بعد الشقة، هنرجع على المستشفى عشان تعملي أشعة بعدين هوصلك.

– يوسف، أرجوك خلاص أنا بقيت كويسة.

– حنين مش بحب العند، اللي قُلت عليه هيحصل، خلاص مفيش نقاش.

– يوسف، هو أنا صعبانة عليك؟! قالتها وقد لمعت في عينها دمعة.

اتسعت عيناه في صدمة وأمسك يدها: إيه الكلام ده، ليه بتقولي كده؟! أنا خايف عليكي.

– أنا مش بحب أصعب على حد، أنا كويسة وقوية، أرجوك اتعامل معايا على إني واحدة طبيعية بلاش أحسّ إن اللي بينا شفقة مش صداقة.

– طبعًا انتي قوية، وآسف لو فهمتي اهتمامي بيكي على إنه شفقة، ده اسمه خوف الصديق على صديقته، زي عبير ما بتخاف عليكي كده.

نظرت له في خجل لتقرأ في عينيه حزنًا عميقًا من كلامها، أمسكت بيده قائلة: أنا آسفة، مش قصدي أضايقك، بس أنا متأكدة إنك مش هتزعل مني وهتفهمني.

نظر لها ثم ابتسم، وقال: وكمان بتزعقي وتتنرفزي، أومال لو كنتي طويلة شوية كنتي عملتي إيه؟

ضحكت بصوت مرتفع وتلاها هو أيضًا.

جاءها صوت رسالة من عبير تحوي عنوان الشقة، أرته إياه، قال: جميل قوي ده مش بعيد من هنا.

ركبا السيارة وانطلقا..

في الطريق أخذ يوسف يصف لحنين الطرقات، وأماكن المحال الخاصة بكل شيء يلزمها، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه لن يجعلها تحتاج شيئًا، ولن يدعها ترهق نفسها في شراء أي شيء، ولكنه يفعل ذلك كي يشعرها بالراحة أنها سيدة القرار.

وصلا الشركة، وهناك قوبلت بحفاوة وقلق شديدين، اطمئنوا على استقرار حالتها، تسلمت المفاتيح الخاصة بشقتها، وعادت له.

كان قد أدار أغنية، (زيديني عشقًا– لكاظم الساهر).

وعند مقطع: "إن كنتي تريدين السكنَ، أسكنتك في ضوء عيوني" رآها قادمة تلهو وتلوح له بالمفاتيح في فرح، كان قلب يوسف يرددها لها هي.

كان شاردًا جدًّا؛ فقد استشعر كلمات الأغنية تنطبق على حالهما "فأنا من بدء التكوينِ، أبحث عن وطنٍ لجبيني، عن حب امرأة يأخذني لحدود الشمس ويرميني".

فتحت باب السيارة وهي تركب إلى جواره، نظرت له باستغراب..

– يوسف، مالك سرحان كده ليه؟! شكلك بتحب يا يوسف.. وضحكت.

كلماتها جعلته يفيق، نظر لها مبتسمًا: يا سلام.

– مش قولتلك قبل كده، عينيك بتحكي حكايات.

حاول أن يهرب من حوارها، فقد كان قلبه جريئًا جدًّا في هذه اللحظات وقد ينذفع ويصرح بما فيه.

- بنت، بطلي شقاوة بقى وركزي معايا.

أخرجت العنوان، وأخذ يميّز لها الطريق من شركتها إلى مكان المسكن بعلامات مميزة.

وصلا أخيرًا، لم يكن الطريق بعيدًا عن شركتها ولا عن المستشفى.

- الله يا يوسف، دي مش بعيدة خالص عن الشغل.

- ولا عن شغلي أنا كمان..

غمز لها بعينه مبتسمًا: شكلنا هنتقابل كتير.

مبنى من طابقين، يحيط به حديقة صغيرة بها أرجوحة وكرسي خشبي عريض، كانت شقتها في الطابق العلوي، ما إن دخلت الشقة حتى أخذت تتجول في أرجائها بسعادة، غرفة نومها بها شرفة جميلة مع طاولة وكرسيين، دخلت الشرفة لترى على مرمى بصرها البحيرة التي تلاقيا فيها من قبل، بسعادة غامرة، أخذت تناديه:

- يوسف، يوسف..

كان يقف في منتصف ردهة المنزل واضعًا يده في جيب بنطاله، وينظر للشقة، وأفكار مليئة بالقلق تدور في رأسه.. ستعيش هنا وحدها، ماذا لو مرضت؟ ماذا لو ضايقها أحدهم؟

انتبه لصوتها المنادي من الداخل، توجَّه ناحيتها، ليجدها تشير له على البحيرة في فرحٍ شديدٍ، فاكر؟!

نظر لوجنتيها وشفتيها اللذين بدأتا تستعيدان حيويتهما، شعرها الذي أخذ الهواء يداعبه، ابتسم وقال: طبعًا فاكر.

كانت الشقة صغيرة، ولكنها مليئة بالحياة، أخذا يتبادلان الآراء عن ترتيب الأثاث، ويدونان ما يريدان شراءه من كماليات.

لوهلة خُيِّل ليوسف أنه يرتب المكان الذي سيعيشان فيه معًا.

كان يعيش معها كل لحظة للدرجة التي تنسيه كل ما يتعلق بحياته الماضية!!

اقتربت منه بدلالٍ، وبابتسامة عفوية نظرت في عينيه مباشرة وهي تشير إلى الكرسيين الموجودين في ردهة المطبخ الصغير: هتبقى تيجي تفطر معايا، صح؟

نظر لها بعينين تقطران حبًّا.. أريدك حنين، أريد أن أبقى معك، لا أريد أن أتركك، كيف سأعود لبيتي بدونك، كيف؟!

– يوسف أنت بتسرح كتير النهارده، مالك؟! أنا آسفة شكلي تعبتك اليومين اللي فاتوا والنهارده كمان.

أمسكت بيده وهي تتجه به ناحية الباب: يلا كفاية كده النهارده، هستأذنك أنت هتركبني تاكسي وأنا هطمنك أول ما أوصل عند عبير.

وجد نفسه يقول: أنا مش عايز أسيبك..

الحنان الذي نطق به كلماته الأخيرة، أوجع قلبها، تذكرت ما كان يقوله لها حبها القديم، لكنها ما لبثت أن شتت هذا الشعور فما مضى قد مضى كانت قصة حب، أما يوسف فصديق.

– حتى لو أنت سيبتني أنا مش هسيبك، حد يسيب المرشد السياحي بتاعه، ده أنا حتى أتوه من غيرك.

**أردفت قائلة: يلا بقى أنت كده اتأخرت على شغلك، وأنا كمان عايزه أرتب أموري عشان هرجع الشغل بكرة، نسيت أقولك، هيدوني عربية.**

**قال في قلق: مبروك، بس انتي أخبار سواقتك إيه؟**

**– كويسة جدًّا، ماتخافش عليَّ، أنت بقى لو احتجت أي توصيلة بعد كده، نحن في الخدمة.**

**ابتسم وقال: خلاص الخروجة الجاية بعربيتك، اتفقنا؟**

**– اتفقنا.. يلا بقى.**

**– هنعمل الأشعة الأول.**

**– أوكي.**

**توجها إلى المستشفى، أجرى لها بعض التحاليل والأشعة.**

**ثم عادت لتركب إلى جواره.. ما إن ركب إلى جوارها حتى وضعت كفها على يده قائلة في امتنان: بجد أي كلمة شكر مش هتوفيك حقك.**

**نظر لها بحب قائلًا: عارفة تشكريني إزاي؟!**

**– إزاي؟**

**– تخلي بالك من نفسك وبس.**

**اعترته حالة الضعف مرة أخرى، سيخونه لسانه ويعترف بما يدفعه القلب لقوله، استدرك مازحًا: ها مش عايزة تنامي؟!**

**ضحكت: أنا بقالي يومين نايمة.**

**أخرجت من حقيبتها أجندتها الصغيرة: قولي بقى إيميلك وأكونت الفيس بوك، عشان يبقى ما بينا تواصل.**

**أملاها بياناته، وانطلقا صوب منزل عبير وخالد، حيث ستقضي ليلتها الأخيرة هناك.**

**فقد رتبت مع يوسف ما سيتم شراؤه ليكون البيت جاهزًا في اليوم التالي، ليرتباه معًا بعد أن ينهيا عملهما.**

**انقضى الطريق في حوار دار سجالًا بينهما، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين طوال.**

**ها قد وصلا، وجدا عبير في انتظارهما في الخارج، وما إن رأتها حتى اتجهت صوبها آخذة إياها بين ذراعيها.**

**نظر لها يوسف..كم أحسدك عبير.. كم أنت محظوظة بها وبحبها وقربها.**

**تبادلا التحية، واتجه يوسف لسيارته، ما إن ركبها حتى أتاه صوت حنين: شكرًا، خلي بالك على نفسك.**

**أشار لها، وغمز بعينه قائلًا: وانتي كمان، أشوفك بكرة.**

**في طريق العودة للعمل، ظهرت حنين أمامه وهي واقفة في الشرفة والهواء البارد يداعب شعرها.**

**محمد منير، تاني؟!**

**"لما النسيم بيعدّي بين شعرك حبيبتي بسمعه، بيقول آهات"**

**بفرحة وحماس أخذت تقصّ حنين على عبير ما حدث بعد أن تركاها هي وخالد بالأمس.**

أحسَّت عبير في صوت حنين ولمحت في عينيها التماعة تعرفها حين يدق الحب باب القلب متأهبًا للدخول.

– أنا هطلع أرتب شنطي وحاجة الشغل عشان أكون جاهزة بكرة من بدري، طبعت قبلة على خد عبير، تاركة إياها غارقة في تفكير وقلق.

ما إن صعدت، وأغلقت باب غرفتها، حتى أتتها رسالة من طبيبها، وممن يبدو أنه سيصبح حبيبها.

"لازم تشوفيلك حل مع محمد، الكنج زودها أووي". ووجدت رابط أغنية (لما النسيم– محمد منير.

ضحكت، ثم أدارت الأغنية لتسمعها بسعادة، وهي تفتح حاسوبها الشخصي، وتدون بريده الإلكتروني، وتضيفه على حسابها الشخصي على الفيس بوك، خطرت على بالها فكرة، ولكن لابد أن تأخذ موافقته أولًا.

أمسكت بهاتفها، ضغطت على اسمه ليأتيها صوته الذي بدأت أذنها تألفه وتحب سماعه.

– آلو.

قالت في دلال: إزييبك؟

ضحك: كوييييس..

– أنا فكرت في فكرة، مش عارفة هتحبها ولا لأ.

– أكيد، أكيد، مش هحبها.. وضحك.

ضحكت ثم قالت: أنا قُلت كده برضه، هم الدكاترة كده مش بيعجبهم دماغ حد.

– لأ لأ، ماتعمميش، مش بيعجبهم دماغ القصيرين بس.

– تصدق أنا غلطانة، عمومًا الفكرة اتنفذت خلاص، ومش هقولك هي إيه لما تروّح هسيبك تعرفها لوحدك.

ضحك وقال: خلاص، قولي أنا سامعك.

ضحكت، سلام يا دكتور يوسف..

وأغلقت الخط..

* * *

# (15)

ما إن صعدت، وأغلقت باب غرفتها، حتى أتتها رسالة من طبيبها، وممن يبدو أنه سيصبح حبيبها.

"لازم تشوفيلك حل مع محمد، الكنج زودها أووي". ووجدت رابط أغنية (لما النسيم(محمد منير).

ضحكت، ثم أدارت الأغنية لتسمعها بسعادة، وهي تفتح حاسوبها الشخصي، وتدون بريده الإلكتروني، وتضيفه على حسابها الشخصي على الفيس بوك، خطرت على بالها فكرة، ولكن لابد أن تأخذ موافقته أولًا.

أمسكت بهاتفها، ضغطت على اسمه ليأتيها صوته الذي بدأت أذنها تألفه وتحب سماعه.

- آلو.

قالت في دلال: إزيييك؟

ضحك: كوييييس..

- أنا فكرت في فكره، مش عارفة هتحبها ولا لأ.

- أكيد، أكيد، مش هحبها.. وضحك.

ضحكت ثم قالت: أنا قُلت كده برضه، هم الدكاترة كده مش بيعجبهم دماغ حد.

- لأ لأ، ماتعمميش، مش بيعجبهم دماغ القصيرين بس.

- تصدق أنا غلطانة، عمومًا الفكرة اتنفذت خلاص، ومش هقولك هي إيه لما تروّح هسيبك تعرفها لوحدك.

ضحك وقال: خلاص، قولي أنا سامعك.

ضحكت، سلام يا دكتور يوسف..

وأغلقت الخط..

نظر للهاتف وهو يبتسم ابتسامة عريضة، شعر أنها ارتسمت على قلبه أيضًا.

ماذا فعلتِ بي أيتها الفتاة الاستثنائية، أصبح كل ما فيَّ يدور في فلكك، ارتبطت سعادتي وابتسامتي بوجودك وبخفة ظلك.

بعد غياب طويل لصوت عقله، إذا به يقول: أنت عارف نهاية قصة زي دي ممكن تكون إيه؟!

عندك استعداد تكمِّل حياتك وترتبط بإنسانة مريضة قلب، لا أطفال، لا أمان ستعيش خوفًا دائمًا من فقدها..

وفي حال اعترفت لها بحبك، وأحبتك، ولم تستطع أن تكمل معها قصتكما، أتتخيل مدى الصدمة التي ستسببها لها خاصة أنها عانت مع غيرك نفس التجربة الأليمة والمريرة!

ردَّ قلبه قائلًا: على رسلك، من منا يضمن حياته ومتى ينتهي الأجل، من يضمن لك أطفالًا من فتاة سليمة؟!

لا ثوابت في هذه الحياة!!

ردَّ العقل، صديقي فلنتفق أن لأحدنا الغلبة في هذه العلاقة، فإما أن أربح أنا ونوقف العلاقة من قبل أن تبدأ، وإما أن أتركه ينساق خلف مشاعرك المتأججة نحوها، وسيخسر نفسه ويخسرها ويكسر قلبها الموجوع، وفيه من الوجع ما يكفيه!!

كانت الغلبة للعقل؛ فقد عزم يوسف قراره، أن لا يعترف بحبه لها ما حيي، وسيؤكد لها في كل تصرفاته أنهم أصدقاء ليس أكثر، ولكن الجهد الأكبر سيبذله مع قلبه، ليقنعه بما لن يقتنع به أبدًا؛ فهو يعلم أنه لن يعتبرها إلا حبيبته.

لم تحادث أباها منذ يومين، أتاها صوته متعبًا.

– حبيبي سامحني، اتأخرت عليك في الاتصال اليومين اللي فاتوا.

– ولا يهمك حبيبتي، إوعي تكوني تعبانة ومش بتقولي زي عوايدك.

تمالكت نبرة صوتها، حتى لا يظهر أنها تكذب.

– أنا تمام، طمني عنك أنت صوتك تعبان قووي.

– عادي يا جميل، تغيير الجو بس، أنا قُلت لما اتأخرتي كده إنك بتنقلي.

– بكرة إن شاء الله، ادعيلي بقى كتيير.

– قلبي راضي عنك يا بنتي، كل أمورك هتكون خير إن شاء الله، أهم حاجة انتبهي لصحتك، وركزي في شغلك.

– حاضر.. بابا..

– روح بابا.

– أنا بحبك قووووي.

– وانتي وحشتيني قوي، قوي، قوي.. ترجعيلي بالسلامة حبيبتي. في حفظ الله.

**– مع السلامة.**

**أغلقت الخط، وأخذت نفسًا عميقًا تغالب به دموعها، وشرعت في حزم حقائبها وأغراضها.**

**دخل يوسف عيادته، وبدأ تسلم ما تركه لزملائه خلال اليومين الماضيين.**

**فتح حاسوبه متصفحًا بريده الإلكتروني، ليجد رسالة حديثة تحوي دعوة صداقة جديدة على الفيس بوك، فتحها ليجدها حنين.**

**ما إن رأى اسمها وصورتها حتى عاد صوت قلبه يعلو، أخذه الفضول ليتصفح صفحتها، ولكنه لم يجد إلا نفسه في قائمة الأصدقاء، ابتسم وقد تذكر ما قالته في المحادثة الهاتفية الأخيرة.**

**فقد أنشأت حسابًا جديدًا، وكأنها تريد لنفسها بداية جديدة معه، حساب له هو فقط.**

**ضغط زر قبول صداقتها، ليدخلها إلى عالمه، ليجعلها على رأس قائمة أصدقائه، ولكنه يعلم جيدًا أنها ليست صديقة، هي أميرة أحلامه التي لا يتمنى أن تغيب عن حياته أبدًا.**

**ظهرت رسالة أمامه، منها: هاي يوسف، شكرًا على قبولك صداقتي، مع وجه مبتسم.**

**لم يرد عليها، اكتفى بالضغط على زر الإعجاب.**

**نظرت حنين للإبهام الذي أرسل لها، انتظرت أن يكتب أي شيء آخر، لكنه لم يفعل.**

**قالت لنفسها يبدو أنه مشغول؛ فمنذ يومين وهو لم يباشر عمله بشكل طبيعي؛ فقد كان منشغلًا بي.**

**حزمت حقائبها واضعة إياها خلف باب الغرفة، استعدادًا للرحيل في الصباح، نزلت لتجالس عبير، وعيناها وقلبها معلقون بالهاتف؛ فقد جن الليل ولم يتصل يوسف أو يرسل لها أي شيء.**

**ألهذا الحد هو مشغول؟!**

**هو طبيب، طبيعة عمله تبعده عن الحياة الطبيعية لأي شخص؛ فلا مواعيد للنوم أو الاستيقاظ، هو تحت الطلب في أي وقت، وعلى أي حال.**

**عاد خالد من عمله، ليجلس إليهما، أخذت تحادثهما وتضاحكهما، ولكن بقلب مشغول!!**

**بعد العشاء، استأذنتهما بالصعود فهي تحتاج إلى النوم.**

**– مش هوصيكي يا حنين، تكلميني على طول وأنا هحاول أجيلك كل يوم أشوف لو محتاجة حاجة.**

**– عبير أنا مش عايزاكي تتعبي نفسك، أنا بقيت كويسة خلاص، والمنطقة فيها كل حاجة، أنا عايزاكي تاخدي بالك انتي من نفسك لو بتحبيني.**

**– بحبك دي ولا حاجة، يا روح روحي من جوة.**

**أردف خالد: إحم إحم، نحن هنا، أغير أنا كده ولا إيه..**

**– هي تقدر يا خالد، ده أنت أخويا وحبيبها، ربنا يخليكم لبعض ويجيلكم أحلى نونو، مش عارفة يوم لما أشيله بين إيديه ممكن يحصلي إيه!!**

**– مش هيحصلك حاجة، هتكوني زي الفل، وتلعبوا مع بعض، أنا بحب أشوفك وانتي بتلعبي مع الأطفال بتبقي زيك زيهم.**

ضحكوا وأردفت حنين قائلة: انتي ويوسف شكلي هخسركوا قريب، وابتسمت في حزن: تصبحوا على خير.

صعدت وهي تنظر لهاتفها الذي أصابه الخرس منذ أن تركها.

بحثت في رسائلها الإلكترونية علها تجد أحدها مرسلة منه، اعتادت عليه، وعلى تواجده حتى ولو إلكترونيًّا.

وقفت أمام النافذة وإذا بأنفاسها الدافئة تشكِّل بخارًا على الزجاج، مدت أناملها الرفيعة لتخط عليها اسمه.. "يوسف"..

نظرت للاسم بشرود.. يوسف أين أنت؟!

ما إن ابتعدت بأنفاسها الدافئة عن النافذة، حتى أعادت برودة الجو الزجاج حيث كان واختفى الاسم.

في صباح اليوم التالي، استيقظت، على رنين المنبه.

اعترتها مشاعر مختلفة، حماس للعودة للعمل، حزن على ابتعادها عن عبير، سعادة لانتقالها لمنزل جديد، قلق على يوسف الذي لم يحادثها منذ تركها بالأمس..

قطع تسلسل هذه الأفكار، اتصال من يوسف.

– صباح الخير.

– صباح النور، قلقتني عليك.

– ليه؟!

– مش عارفة، حاجة في قلبي كده.

– ماتبالغيش بقى، وماتمشيش ورا قلبك في كل حاجة.

**لاحظت تغيُّر أسلوبه نوعًا ما عما اعتادت عليه منه.**

**– جهزتي حاجاتك؟!**

**– كله جاهز من امبارح.**

**– تمام، افطري واجهزي وأنا هعدي عليكي، مسافة الطريق، سلام.**

**– سلام..!**

**أغلقت الخط ونظرت للهاتف، أكان يوسف المتحدث؟! طريقته مختلفه جدًّا، ورسمية إلى حد كبير.**

**نطق كلماته مسرعًا، وأغلق الخط، ألقى بهاتفه إلى المقعد المجاور له، وأسند رأسه إلى مقود السيارة زافرًا بغضبٍ شديدٍ.. غضب من نفسه، ما ذنب هذه المسكينة، لم تخلق قلبها المريض، لم تختر مصيرها البائس، أتكون أنت والزمان عليها؟!**

**أدار السيارة وانطلق إليها، عاد لملامحه الجمود، عادت لأطرافه البرودة!!**

**أتته رساله منها، تقول فيها: حاساك تعبان، بلاش تيجي أنا هاخد تاكسي، ماتتعبش نفسك، يارب يومك جميل.**

**أراد أن يتصل بها، ولكن صوتها يضعفه، أرسل لها رسالة: "أنا قربت خلاص.."**

**وصلتها رسالته، مقتضبة جدًّا خالية من أي إحساس، رفعت كتفيها في استغراب، وقالت لنفسها أن تنتظر لترى ما به.**

**ما إن وصل حتى وقف عند الباب ودقّ الجرس، سمع خطواتها المسرعة تتجه نحوه، فتحت الباب ليجدها وقد تجهزت بفستان أنيق، وها هي تنتعل حذاء بكعب عالٍ نوعًا ما.**

ما إن رآها في هذه الأناقة حتى أراد أن يدعوها للخروج معه، تاركين وراءهم هم وأعباء العمل.

ابتسم في غيظ وهو يقول: انتي عايزة تتعاكسي النهارده، صح؟!

نظرت ببراءة لملبسها ثم نظرت له قائلة: ليه، بتقول كده؟!

لاحظت، حركة فكيه وهو يضغط على أسنانه في عصبية، نظرت في عينيه بهدوء:
- يوسف أنت في حاجة مضايقاك؟!

هزَّ رأسه بالنفي قائلًا: انتي جاهزة؟

قالت وهي تشير لحقائبها بجوار الباب: آه، كله جاهز، عبير وخالد جايين، كانوا عايزين يسلموا عليك.

- تمام هنزِّل الشنط للعربية وأرجع أسلم عليهم.

أخذت تراقبه وهو يحمل الحقائب واضعًا إياها في السيارة، ملامحه ليست مرتاحة عينه تهرب منها.

عاد ليصافح خالد، ويلقي التحية على عبير دون أن ينظر لها أيضًا، حتى إن عبير وهي تحتضنها همست في أذنها قائلة: هو في حاجة؟!

لوت حنين شفتيها في إشارة منها أنها لا تعرف ما به.

ودَّعت حنين صديقتها، تبادلا الدعوات، واتجهت نحو السيارة، لتجد يوسف واقفًا ليفتح لها باب السيارة.

أثناء جلوسها على الكرسي رمقته بنظرة، شعر بها كخنجر في قلبه، نظرة طفلة تركها أبوها على أعتاب بيت لا تعرف هل هناك من سيفتح لها ليأويها، أم ستترك خارجًا لبرد الطرقات لينال منها..

ما إن جلس إلى جوارها، ووضع يده على مكبح السيارة، حتى وضعت يدها على كفه وهي تنظر له، نظرة تخترق حاجز الصمت الذي يحاول أن يحتفظ به.

– مالك يا يوسف،؟!

وهي تأخذ كفه بين يديها الدافئتين: إيديك باردين قوي كده ليه؟!

أحس أنه يذوب بين كفيها، كان يحاول أن يهرب من مصيدتها الثلاثية الأبعاد؛ فقد كانت من السهل أن تعرف أن شيئًا ما ليس على ما يرام من خلال صوته أو نظرة عينيه أو لمسة يده، كما أخبرته من قبل.

أخرج يده من بين كفيها بهدوءٍ، وربت على يدها محاولًا بث الطمأنينة بها: أنا كويس، بس يمكن مرهق شوية، الشغل امبارح كان كتير جدًّا.

كلامه جعلها تشعر بالذنب: آسفه، أكيد لما كنت مشغول معايا، ضغط الشغل زاد عليك.

– لأ خالص، كله ماشي تمام، انتي النهارده بس حاولي ماتجهديش نفسك كتير، واحدة واحدة.

من المفترض أن تكون هذه كلمات اهتمام، ولكن قلب حنين لم يستشعرها كما كان من قبل..!

أخرجت هاتفها من حقيبتها وانشغلت به، كي لا تفكر كثيرًا، ولا ترهقه بكثرة الحديث.

رمقها بنظرة ليرى انطباعاتها، وجدها هادئة ومستكينة، وجميلة، تداعب هاتفها برِقّة.

ماذا لو أطرى عليها أحدهم وكان أكثر منه جرأة وغازلها؟! ، كان متأكدًا من أن سيحدث ذلك.

– هو انتي متعودة تروحي الشغل بفساتين قصيرة كده؟!

نظرت له باستغراب، ثم ابتسمت في خجل: مش قصير.

نظر لها بجانب عينه: قصير، وكعب عالي، وهيبقى في دلع.

ضحكت حنين: مش بقولك بابا، أنت بابا والله بالظبط.

حاول يغالب الضحك فابتسم، قائلًا: أنا هخلي بابا يشكرني لما يشوفك المرة الجاية.

ضحكت بشدة: ازاي؟!

وهو يرفع حاجبه متحديًا: سيبي كل حاجة لوقتها.

نظر في عينيها قائلًا وهو يهز رأسه: أستغفر الله العظيم.. حلوة قووي.

– يوسف بجد أنت بتضحكني قووي.

– يارب حياتك كلها ضحك.

– وأنت كمان.

ما إن وصلا عند شركتها، حتى قال لها: قبل ما تخلصي بساعة كده كلميني، عشان أجيلك ونطلع على الشقة، أوكي.

ابتسمت حنين وهي تفتح باب السيارة: أوكي، شكرًا وآسفة إني بتعبك معايا.

نظر في عينيها وقال: عايز أقولك على حاجتين.

هزت رأسها في انتباه.

أردف قائلًا: أول حاجة احنا أصحاب، تبطلي تقولي آسفة وتعبتك دي، أوكي؟

– أوكي..

– تاني حاجة بقى، حتى وانتي لابسة الكعب، لسه قصيرة.. وضحك.

أغلقت باب السيارة وهي تضحك راسمة على وجهها ملامح الغضب: ماشي، بكرة تعرف القصيرة دي هتعمل فيك إيه، سلام.

نظر لها وخطواتها تبعدها عنه حتى اختفت داخل شركتها.

حدّث نفسه: مش هستنى بكرة عشان أعرف يا حنين، انتي عملتي خلاص.

في طريقه للمستشفى، أتته رساله منها، فتحها ليجدها وقد أرسلت له:

"خلي بالك على نفسك يا أغلى يوسف"

وأكملت عذوبة كلماتها بأغنية، ( انتبه ع حالك – وائل جسار).

* * *

## (16)

ابتسمت حنين وهي تفتح باب السيارة: أوكي، شكرًا وآسفة إني بتعبك معايا.

نظر في عينيها وقال: عايز أقولك على حاجتين.

هزت رأسها في انتباه.

أردف قائلًا: أول حاجة احنا أصحاب، تبطلي تقولي آسفة وتعبتك دي، أوكي؟

– أوكي..

– تاني حاجه بقى، حتى وانتي لابسة الكعب، لسه قصيره، وضحك،

أغلقت باب السيارة وهي تضحك راسمة على وجهها ملامح الغضب: ماشي، بكرة تعرف القصيرة دي هتعمل فيك إيه، سلام.

نظر لها وخطواتها تبعدها عنه حتى اختفت داخل شركتها.

حدّث نفسه: مش هستنى بكرة عشان أعرف يا حنين، انتي عملتي خلاص.

في طريقه للمستشفى، أتته رسالة منها، فتحها ليجدها وقد أرسلت له:

"خلي بالك على نفسك يا أغلى يوسف"

وأكملت عذوبة كلماتها بأغنية، ( انتبه ع حالك – وائل جسار).

أخذ يسمع كلمات الأغنية المرة تلو الأخرى، مع إمضاء بصوتها "أغلى يوسف"، ضرب مقود السيارة بقبضة يده.

لم ظهرتِ في حياتي، لم سمعتك في القطار، لم ربتّ على كتفك وحادثتك؟!

أي عذاب هذا الذي كُتِبَ على قلبي مرة، وكُتِبَ على قلبك ألف مرة.

في كل الأحوال أخاف فقدك، سواء كنتِ في حياتي أو لم تكوني.

سأسعدك بكل ما أوتيت من قوة، سيكون كل يوم معك مميزًا مثلك ومثل حضورك.

باشر عمله بجسده، وروحه في مكان آخر، وبدأت عملها بجسدٍ وروحين؛ فقد كانت تشعر بأنفاسه حولها، تمنحها القوه والدفء والأمان.

تسلمت مفاتيح سيارتها الخاصة، وكما اتفقا، قبل أن تنهي عملها بحوالي الساعة، هاتفته.

أخبرها أن تنتظره، فهو في الطريق إليها، لم تخبره بأنها تسلمت السيارة؛ فقد كانت تريد أن تفاجئه.

ما إن وصل أمام الشركة حتى وجدها بفستانها الأخّاذ تستند إلى سيارة جديدة. أشار لها لتأتي، ولكنها أشارت له بالنفي، أخرج رأسه من نافذة السيارة، قائلًا بحزم وغيرة حينما لاحظ بعض المارة ينظرون لها بإعجاب: حنين يلا بلاش دلع!!

اتجهت ناحيته ثم قالت: تحب تمشي ورايا ولا أنا اللي أمشي وراك.

ابتسم بغيظ ثم قال: بطّلي دلع بقى، استلمتي عربيتك؟!

هزت رأسها بالإيجاب، قال: خلاص امشي قدامي واحدة واحدة عشان أتأكد إنك حفظتي الطريق بس خلي عينك معايا، أوكي؟

– حاضر يا دوك، بس عشان خاطري افردها شوية، دمك تقيل النهارده خاالص.

- وانتي طالبة معاكي دلع، وهظبطك خالص، اتفضلي على عربيتك جري.

ابتسمت وركضت نحو سيارتها.

ركبت السيارة وانطلقت أمامه، قال لنفسه تقود بشكل جيد متعقلة وملتزمة بالقواعد، ممتازة.

أثناء قيادته وفكره مشغول بأمورٍ كثيرة جدًّا، محورها الوحيد هي، قطع تفكيره اتصالٌ على هاتفه، نظر ليجدها هي المتصلة.

- أنا وراكي على طول أهو، في حاجة؟! انتي ماشية تمام.

قالت بصوت مرح: ما أنا شايفاك في المراية أهو، وبالأمارة مكشر كمان، عمومًا لما نوصل هقولك على وصفة جميلة قووي تفك التكشيرة الوحشة دي، بس مش هقولك عليها إلا بشرط.

- إيه هو الشرط يا قصيرة؟!

ضحكت وقالت: أشوفك دلوقتي في المراية بتضحك.

ضحك فعلًا ودون تكلف، رآها ترفع له إبهام كفها الصغير، وقالت: أيوة.. كده تمام..
وأغلقت الخط..

ضحك فعلًا من قلبه، خرجت ضحكته بعفوية؛ فلم يتوقع تصرفها وقدرتها على تغيير مزاجه في لحظة، ولم تفارق البسمة وجهه، حتى وصلا.

حنين.. أنتِ محترفة في صُنع الحب والسعادة.

ما إن وصلا ونزلا من السيارة، حتى فتح يوسف حقيبة سيارته وأخرج منها حقيبتين، جاءت حنين لتساعده في حمل إحداهما، فقال مبتسمًا: من فضلك سيبي عدة الشغل.

ضحكت حنين وهي تضع يدها على شفتيها وهي تقول في نفسها: أحلى أسطى في الدنيا كلها.

أشار لها أن تسبقه لتفتح المنزل.

ما إن دخلا حتى وضع حقيبة من الحقائب التي كان يحملها على طاولة الطعام، وقال لها بصي أنا هنزل أجيب بقية الشنط بتاعتك من العربية على ما تغيّري هدومك، الشنطة دي فيها العشا، والتانية فيها هدوم ليَّ عشان أعرف أرتب معاكي براحتي هستأذنك تحطيهالي في المكان اللي تشوفيه مناسب عشان أغيَّر فيه.

أنا هنزل ولما تكوني جاهزة، اندهيلي هطلع.. أوكي؟

هزت رأسها موافقة إياه في خجلٍ.

أخذت حقيبة من حقائبها وأسرعت نحو غرفتها، تبدِّل فستانها بأحد ملابس المنزل المريحة، وخلعت عن قدميها حذاءها ذا الكعب العالي لترتدي أحد أحذيتها الرياضية الخفيفة، وجمعت شعرها فوق رأسها لتنسدل منه خصلات عفوية على جبهتها ووجنتيها.

ركضت لتضع حقيبة يوسف في الغرفة المجاورة لغرفتها، ثم ركضت نحو النافذة، لتناديه لتجده واقفًا يلاعب كلبًا، ظهر من حديقة الفيلا المجاورة لها.

نظر لها وأومأ برأسه أنه قادم إليها.

كانت دقات قلبه تزداد كلما ارتقى درجة نحوها.

بينما كانت وجنتاها متوردتين بشدة من تدفق الدم فيهما صاعدًا من قلبها الفرح بوجوده معها، للدرجة التي جعلته يظن أن حرارتها ارتفعت مجددًا.

فما إن رآها وهي واقفة تمسك له بالباب ليدخل، حتى وضع يده على جبهتها متسائلًا: الحرارة ارتفعت تاني؟!

وهي تغلق الباب، هزت رأسها بالنفي: لأ أنا كويسة.

– أكيد انتي جعانة، صح؟ أنا جعان جدااا.

وهي تتجه نحو طاولة الطعام في المطبخ: تمام على ما تغير هدومك هكون حضرت الأكل.

وأشارت له على الغرفة التي سيبدل فيها ملبسه: الأوضة دي فيها شنطتك.

لاحظ ارتباكها؛ فلم ينظر إليها وتوجَّه مباشرة صوب الغرفة، وأغلق الباب.

أخذت تعد الطعام.. رائحته شهية، فقد كانت هي الأخرى جائعة جدًا.

سمعت صوت باب الغرفة يُفتَح، نظرت لتراه ولأول مرة في ملبس غير رسمي؛ فقد كان يرتدي "تي شيرت" وبنطالًا رياضيًّا وحذاءً رياضيًّا أيضًا، يماثل ما ترتدي.

كان وسيمًا جدًّا وطبيعيًّا، بالرغم من أن شعره لم يكن مهندمًا كعادته، يبدو أن هذا كان من أثر خلع قميصه، ولكن ذلك لم ينل من وسامته شيئًا.

كما كانت تراه عفويًّا وجميلًا، كان هو الآخر مأخوذًا ببرائتها وخصلات شعرها المنسدله بعفوية على وجهها.

جلسا أمام بعضهما للطعام..

نظرت له وقالت: أنت مش عايزني أقولك شكرًا ولا تعبتك، طيب واللي أنت بتعمله ده، مش تعب ولازم أشكرك عليه؟!

ابتسم وقال: انتي مش ناوية تردي العزومة؟!

هزت رأسها: من عيوني طبعًا، أحلى عزومة كمان.

وهو يمد يده صوب الطعام: تسلم عيونك، يلا بقى عشان الأكل مايبردش.

كانا يأكلان ويتكلمان، وكأنما هذا البيت بيتهما منذ الأزل، لم يخجل منها، نظر لها وقال: تصدقيني لو قولتلك إن أنا من سنين ما استمتعتش بالأكل ولا حسيت بطعمه كده؟

هزت رأسها وهي ترى في عينيه فرحة والتماعة، تبرهنان صدق قوله.

– أصدقك، طبعًا، أنت عايش هنا لوحدك خالص من سنين.

حاول الهروب من عينيها وهو يقول: آه لوحدي.

– عشان كده، طيب ليه مافكرتش تتجوز وتكون أسرة؟

وهو يهرب من مواجهتها: الشغل مش مديني فرصة أفكر.

وهي تنهض: ربنا يكتبلك الخير، أنت تستاهل السعادة.

أراد أن يرد عليها قائلاً: "يعني أستاهلك، فأنت مصدر السعادة الوحيد في حياتي الآن".

ولكن لسانه رد قائلًا: وانتي كمان.

– يلا نبدأ عشان مش عايزاك تتأخر عشان تلحق تروح ترتاح أو لو الشغل طلبك في أي وقت.

بدآ بتبادل الآراء في ترتيب وتغيير أماكن بعض قطع الأثاث.

أخذ يتأكد من أن المياه والسخانات والدفايات تعمل بشكل جيد.

ساعدها في إدخال الحقائب إلى غرفتها، قاما بتشغيل الكمبيوتر والتلفاز.

رتبت مكتبها وسريرها، ودولاب ملابسها، ووضعت أغراض المطبخ التي أتى لها بها ولم ينسَ حتى أدق التفاصيل.

ما إن انتهيا حتى أمسكت بيده، وأدخلته شرفة غرفتها حيث منظر البحيرة الأخّاذ، وقالت وهي تقرِّب الكرسي له: ارتاح هنا استناني دقايق بس.

وأسرعت خارجة صوب المطبخ.

دقائق فعلًا ووجدها تعود تحمل في يديها، كوبين من الشاي الساخن، كان ينظر لها وهي تضع كوب الشاي الخاص به أمامه على الطاولة وقد بدا على ملامحها الإرهاق، "تسلم إيدك".

نظرت له في امتنان: بألف هنا على قلبك.

نظر لها بعينين لا تريدان أن ترمشان ولو ثانية، حتى لا تغيب عن ناظره.

– حنين..

ابتسمت ببراءة، لتداعب غمازاتها شغاف قلبه: نعم..

– أنا خايف عليكي.

ضحكت وهي تنظر حولها: من العفاريت؟ ماتخافش أنا عارفاهم وهم عارفنّي كويس، بس يا ترى العفاريت هنا بتتكلم انجليزي؟!

ضحك ثم قال: أنا بتكلم بجد، مش عارف هسيبك هنا لوحدك إزاي، وقلقان تتعبي زي ما حصل وانتي عند عبير كده وماتقوليش.

– بُص يا سيدي، أنا هوعدك لو حسيت بأي حاجة هكلمك، بس أنت ماترجعش تزهق من اتصالاتي، وبالنسبة لموضوع لوحدي ده، أنا طول عمري لوحدي ومتعودة

على كده، أنا هرجع من الشغل كل يوم مش بدري، يعني يادوب أجهز حاجة اليوم اللي بعده وأنام على طول.. هكون معاك على التليفون والفيس بوك، وجميع وسائل التواصل الاجتماعي.

– ههههههه، نسيتي حاجة.

– إيه هي؟!

– إن بعد الشغل هنتقابل عشان نكمل جولتنا السياحية.

– تمام، شُفت مفيش داعي للقلق بقى.

– صحيح، إيه حكاية أكونت الفيس بوك الجديد بتاعك ده.

– أنا فكرت، عندي أصدقاء كتييير ودوشة من مصر ومن هنا وهنا، كنت عايزة حاجة خاصة بيَّ وبيك بعيد عن الدوشة والزحمة دي.

– تصدقي فكرة حلوة، أنا كمان هعمل زيك هعمل أكونت وهضيفك أنت بس، أوكي؟

ابتسمت بفرح لأن فكرتها راقت له.

احتسيا الشاي، ثم قام وهو يقول لها: أسيبك بقى، بس زي ما وعدتيني هتخلي بالك من نفسك، وتخليكي معايا على طول تطمنيني عليكي.

هزت رأسها بالإيجاب: حاضر.

تركها ليبدل ملابسه..

لماذا كلما ابتعد عنها، تشعر ببرد يسري في جسدها، لا تشعر به أبدًا وهو معها وإلى جوارها، استلت شالًا صوفيًّا من خزانتها، ولفت به جسدها.

بداخل الغرفة وهو يبدل ملابسه، كان ينظر لحوائط الغرفة والسرير الصغير في ركنها، تمنى أن يصبح جزءًا من هذا البيت، كما أصبحت هي جزءًا من حياته وقلبهز

رأته يخرج من الغرفه حاملًا حقيبته.

اقتربت منه ناظرة في عمق عينيه، وهي تهمس له قائلة: انتبه على حالك كرمالي.

شعر أن قواه تخور أمام ضعفها وأنوثتها.

– مش عارفة ليه بقولك كده، بس حسيت إنك بقيت حد مهم في حياتي، وبخاف عليك زي بابا وعبير.

كاد صوت قلبه يسمع من بين ضلوعه من شدة فرحه بكلامها، وبالكاد استجمع كلماته قائلًا: انتي كمان يا حنين، خدي بالك من نفسك، تصبحي على خير.

أدار ظهره لها فاتحًا الباب ليغادرها مسرعًا، لأنه لو بقي لثوانٍ أخرى لا يضمن ما سيعترف به لسانه الذي بالكاد يستطيع إلجامه.

أغلقت الباب خلفه وأسرعت نحو النافذة لتودعه.

رفع رأسه ليراها من خلف الزجاج تنظر نحوه، لوَّح لها مودعًا، ولوحت له في حنان،

أدار سيارته، وابتعد، وقلبه يعتصر ألمًا وحبًّا.

دخلت الغرفة التي كان يبدل فيها ملابسه لتشم عطره في أرجائها.

يوسف، أنا هنام هنا، الأوضة دي أدفى.

دار الحوار ذاته بين عقله وقلبه وهو في طريق العودة، أصبح ضائعًا فيها، متعلقًا بها، تسري فيه كسريان الدم في شرايينه.

حاصره عقله بسؤال، وكيف ستفعل حين سفرها، أم ستسافر وراءها.

رد القلب على استحياء ولِمَ تتركها تسافر؛ فالزوجة تظل مع زوجها أينما حل.

زوجه؟! أردف عقله، أعتقد أنك تماديت في خيالك، صديقي، أخفض صوتك ونم، أرجوك..

وصل يوسف للمنزل وهو متعب ذهنيًّا من كثرة التفكير للحد الذي، ما إن وضع رأسه على وسادته حتى نام.

نامت حنين في الغرفة حيث رائحته تحيط بها، وهي تضم ركبتيها إلى صدرها، تشعر جواره بأمان يشوبه خوف، فرح بملامح حزينة!!

تشعر أنه يحبها، ولكن يحاول إعطاء هذه العلاقة سمة الصداقة.

حنين، قال لك لا تبالغي وتنساقي وراء قلبك، محق هو، فهو طبيب وقد علم بحالتك، أفيقي، أم نسيتِ ما مضى؟!

باشرت دموعها الاستعداد للهبوط من عينيها، ولكن انتظري، ما معنى الأغنيات التي يبادلني إياها؟!

ماذا تعني هذه الكلمات التي أراها في عينيه، لمسات يديه التي أشعر من خلالها أنه لا يريد أن يفارقني، نبرة صوته الفرحة حينما يحادثني والتي لم تتغير إلا اليوم فقط؟!

تذكرت أنها اشترت، كتيبًا جديدًا لتدوِّن به خواطرها وتصميماتها التي تزور مخيلتها من حينٍ لآخر، نظرت إلى طاولة المكتب، قامت لتحضره وأخذت تدوِّن فيه أسماء الأغنيات التي أهداها إياها، ثم كتبت:

يوسف، أما بعد..

* * *

# (17)

**ولم تكمل، أغلقت الكتيب ووضعته إلى جوارها، ووضعت رأسها على الوسادة، لتنام.**

**استيقظ باكرًا جدًّا، نظر لهاتفه، يبدو أنها لم تستيقظ بعد.**

**اعتاد على صوتها ليشرق على قلبه صباح الأمل، كيف وهي ذات القلب الضعيف أن تبث الحياة وبقوة في كل ما يلمسها؟!**

**أصبحت هي سر إقباله على الحياة بكافة تفاصيلها حتى البسيطة منها، لا يريد أن يتناول فطوره، هي التي كانت تفتح شهيته، فتح جهاز اللاب توب خاصته، وتذكر بسرعة، أنشأ حسابًا جديدًا، ثم أضافها له، هي فقط.**

**ستصبح صفحتهما فيما بعد بمثابة مدونة لكل مشاعرهما، يبثان فيها كل ما يختلج في عقليهما وقلبيهما، لبعضهما البعض دون التصريح بأي كلمة حب.**

**استيقظت حنين، على هاتف من عبير.**

**– حبيبتي اللي مطنشاني.**

**– والله أبدًا، نمت متأخر على ما خلصت ترتيب كل حاجة.**

**– وإيه الأخبار؟**

**– آه خلاص كله تمام، هقوم أهو عشان أفطر وأنزل الشغل.**

**– لأ مش قصدي الأخبار دي، وضحكت.**

**ابتسمت حنين وهي تتذكر وجوده معها بالأمس: تعب معايا قووي، وما مشيش إلا لما اتأكد إن كل اللي أنا محتاجاه تمام.**

**– وانتي؟**

**– أنا إيه؟!**

**– تمام؟**

**– عبيير، بطَّلي بقى، بتزعليني بإصرارك ده.**

**– خلاص بلاش، كان ماله زعلان امبارِح؟**

**– مش عارفة، لما سألته، قالي إنه مرهق شوية.**

**– ألف سلامة، المهم انتي طمنيني عليكي وماتسيبينيش كده، وخدي بالك من نفسك.**

**– حاضر، وانتي كمان، صبَّحي على خالد.**

**تبادلا السلام وأغلقا الخط.**

**نظرت لترى رسالة في حسابها الجديد للفيس بوك، فتحتها لتجدها من يوسف، يالسعادة قلبي، قبَّلته بحماس، وألغت حسابه القديم، ثم شرعت في كتابة رساله له، تدعو فيها الله وتسأله التوفيق له، وتتمنى له صباحًا ويومًا سعيدًا.**

**ما أن وصلته رسالتها، حتى علم أنها استيقظت.**

**أمسك بهاتفه، وطلبها:**

**– صباح الخير..**

**– صباح النور والهنا والسرور، صاحي بدري يعني؟!**

**– آه، نمتي كويس؟**

**– الحمد لله، وأنت؟!**

**– ماشي الحال، بس كنت قلقان عليكي الحقيقة.**

**– وأنا بطمنك أهو، فطرت؟**

**– لأ، شربت قهوة.**

**– ليه كده؟ لازم تفطر الأول بعدين تشرب قهوتك، أنت بقى كده اللي هتقلقني عليك، إيه رأيك أنا اللي أعزمك على الفطار النهارده؟**

**شعر أنه استيقظ لتوه، واستفاق.**

**– فكرة حلوة قووي.**

**– تمام، هجهز واتصل بيك أقولك نتقابل فين، ولّا تحب أنت تختار؟**

**– لأ على ذوقك انتي المرة دي.**

**– أوكي.. باي.**

**– باي يا جميل.**

**انتفض من على كرسي مكتبه، ليبدل ملابسه ويتأهب للقائها.**

**ارتدى ملابسه وصفَّف شعره، نظر لنفسه في المرآة، وقال عقله منبهًا إياها:**

**"أنت تضع نفسك وتضعها معك في دائرة الخطر".**

وضع عطره، وتجاهل هذا الصوت البائس الذي يعكر صفو حالة السلام التي يعيشها ما إن تقترب منه حتى ولو بصوتها فقط.

ارتدت ملابسها وتأنقت، وجهزت له علبة هدايا صغيرة وضعت له فيها قطعًا من الشوكولا التي تحبها.

ركبا سيارتهما، كانت تستمع لـ( فيروز– سألتك حبيبي )، أمسكت هاتفها وأرسلتها له.

فتحها، وما إن استمع إلى صوت فيروز مع كلماتها (سألتك حبيبي لوين رايحين؟)، ابتسم ونشوة السعادة تسري فيه وإذا به يردد مع فيروز: (أنا كل ما بشوفك كأني بشوفك لأول مره حبيبي.)

يااااه يا حنيّن، فينك من سنين؟!

اتصلت به، فتح الخط، وإذا بها تسمع صوت فيروز يصدح في سيارته، ابتسمت في سعادة غامرة، فهو يستمع إلى ما بعثته له، ويستمع إلا ما تستمع له الآن.

– صباح السعادة، بجد ذوقك عالي قووي.

– من بعض ما عندكم يا دكتور.

– وصلتي لفين؟

– أنا عايزه أفطر عند البحيرة، إيه رأيك؟

– حلو جدًّا، عجبتك المرة اللي فاتت؟

– جدًّا.

– أشوفك هناك يا جميل.

ضغط كلٌّ منهما بقدميه على البنزين، لتزيد سرعتهما، يسابقان الزمان ليتقابلا.

وصلا تقريبًا في نفس التوقيت، سبقها يوسف ببضع دقائق ليراها وهي تنزل من سيارتها، ببذلة أنيقة وشعر مرفوعٍ بنعومة، وكعبٍ عالٍ.

رأته يستقبلها وقد ازدادت وسامته بابتسامة تشع حبًّا وأمانًا.

كانت تحمل بين يديها علبة الهدايا الصغيرة، كان ينتظرها عند أسوار البحيرة، وما إن اقتربت منه حتى اتجه نحوها، صافحها ثم قبَّل كفها.

ارتعشت أناملها بين يديه؛ فبالرغم من أن كثيرًا من الرجال في أوساط عملها قد يفعلونها، ولكن كم تحبها منه وتخجل منه ومن نظراته لها، في نفس الوقت.

اقترب بها إلى طاولة ليجلسها ويجلس أمامها، ليملأ عينيه منها.

وضعت أمامه علبة الهدايا، وقالت: بتحب الشوكولا؟

وهو يفتح العلبه، حد مايحبهاش؟!

– مع كل قطعة هتاكلها هتحصلك حاجة بتحبها. ابتسمت وهي تسدل جفنيها بثقة.

ضحك وهو يغلق العلبة: ماشي، هشوف.

تناولا الفطور، واتفقا أن يتقابلا بعد العمل ليأخذها إلى زيارة مكان جديد، وهو يركبها سيارتها: ماتخليش حد يعاكسك.

ابتسمت في خجل..

– انتي في حد بيعاكسك؟

هزت رأسها بدلالٍ: كتيييير.. وضحكت.

**– أيامك بقت قليلة في كندا قووي صدقيني.**

**أدارت السيارة، ولوحت له بكفها: سلام.**

**أشار لها وهي تبتعد عنه قليلًا، وهو يبتسم: هجيبك.**

**أي شعور هذا الذي تعيشه وهي معه، وتعيش نقيضه عندما يبتعد عنها!**

**بعثت له رسالة تخبره أنها ستنسق حفلة للشركة في الغد، وتحب أن يرافقها، "تحب تكون معايا؟"**

**أرسل لها: أكيد أحب.**

**– خلاص نتفق لما نتقابل.**

**– شكرًا على الدعوة.**

**– الشرف ليَّ أكيد.**

**كُلّف بالسفر بعد يومين لإجراء عمليات جراحية لبعض الحالات في "مونتريال".**

**هذا يعني أنه سيتركها..**

**لن يدع هذا الحدث يعكر صفو مقابلتهما اليوم، ولا سعادته بتواجده معها غدًا في حفلٍ اختارته أن يكون رفيقها فيه.**

**بعد أن أنهيا عملهما، طلبت منه حنين أن يصطحبها لبعض المحال، لتختار فستانًا يناسب الحفل.**

**أخذا يتجولان في محال الملابس، كل ما ارتدت كان يناسبها، ولكنه كان يختار ما لا يبرز مفاتنها، تنبهت حنين لذلك؛ فقالت في خبث: أنت هتستناني هنا وأشارت لمتجر لبيع الملابس الرجالي، وأنا هشوف حاجة هنا وأجيلك.**

– آجي معاك؟

– لأ، لأ، أنا هجيلك بسرعة.

ظن أنها ستشتري أغراضًا نسائية، تخجل أن تشتريها أمامه، فتركها ودخل للمتجر الذي أشارت له ليختار لنفسه ما سيرتدي.

أتته تحمل حقيبة كبيرة، أسندتها عند الكاشير، وتوجهت صوبه، وأخذت تختار له ما يتناسب معه من ألوان.

يناسبه كل شيء، ولكنها اختارت ما يتماشى مع فستانها دون أن يعلم أنها تفعل ذلك.

بعد أن انتهى من الحساب، قال لها: نشوف فستانك بقى.

ابتسمت، وهي تحمل الحقيبة التي بها فستانها: هتشوفه بكرة بقى.

وهو يمسك بالحقيبة: حنين، وريني اشتريتي إيه.

و هي تبعدها عنه: خليها مفاجأة بكرة.

نظر لها بحنق، وبدت الغيرة في كلماته: هزعل منك بجد لو كان قصير أو مكشوف.

قالت في دلال وهي تنظر في عينيه: ما أقدرش على زعلك أنا.

أمال شفتيه بعدم اقتناع وقال: هنشوف!!

أعطت له العنوان بالتفصيل، واتفقا أن يتقابلا هناك، وأكد عليها أن تنتظره ولا تدخل إلا معه!!

وصلت قبله وأخبرته أنها تنتظره ولابد أن تدخل الآن، طلب منها أن تنتظره لحظات فقط..

ولكنه وصل ولم يجدها في انتظاره في الخارج، دخل قاعة الاحتفال، المكان غاية في الجمال والشاعرية، الموسيقى، الشموع الموزعة في كل مكان وانعكاسات الأضواء عليها تضفي على المكان تميُّزًا كبيرًا، كيف لا، وهي من صممت كل هذا الإبداع.

ما إن رآها حتى تعلقت عيناه بها، لم تكن هناك من تحمل جاذبيتها، فأينما ذهبت تحرك قلبه صوبها، كانت ترتدي فستانًا رائعًا بالرغم من رقته وبساطته، فإن رقتها التي ذابت بداخله زادته فخامة.

وقفت مع أحدهم، تتحدث، تضحك، رمقته بنظرة بجانب عينها، لتراه يختلس إليها النظر كل حين ويضغط على أسنانه ليتحرك فكه غيظًا تعلم أنه غاضب منها الآن.

ما إن انتهت من حديثها حتى توجه إليها.

بادرته قائلة بفرح شديد وعينين لامعتين: وحشتني.

نظر لها ومازالت حركة فكّه والغيرة التي تتطاير من عينيه يترجمان ما بداخله.

قالت بدلالٍ وهي تظهر له خوفها بمرح: ما هو أنت اتأخرت عليَّ فدخلت.

ثم اقتربت من أذنه وهمست: على فكرة لو أنت ما أخدتش بالك بس، أنا قولتلك "وحشتني"، ومستنيه أسمع، و"انتي كمان".

نظر لها بجانب عينيه عاقدًا حاجبيه وهو يمثل دور الغضبان، وقال: وانتي كمان.

وضعت كفها في كفه وعقدت حاجبيها في محاولة لتقليده وهي يغلبها الابتسام، نظرت في عمق عينيه وقالت: وانتي كمان إيه بقى؟!

لم يكن منه إلا أن ضحك، قالها بعينه التي تفحصت كل ملامحها قبل أن ينطق لسانه: وحشتيني.

صوت ما تحدث بداخل رأسه، قائلًا: ضعيف، كل مرة تأخذك هي حيث تريد، وأنت لاحول لك ولا قوة.

ردَّ قلبه معنفًا عقله، أنت هو إذًا.

إذا كان حبه لها من وجهة نظرك ضعفًا، إذًا فهو ضعيف، أمام جمالها وحنانها، دلالها وخفة ظلها، سرعة بديهتها التي تجعلها تحتويه في أقصى لحظات غضبه، إنه الحب، والحب ليس ضعفًا يا صديقي، بل إنه لم يعد قويًّا إلا بعد أن أحبَّها.

تغلَّب صوت قلبه على عقله هذه المرة، وألجمه ليصمت.

نظرت له مبتسمة، وقالت وهي تمسك بخفة أزرار بدلته: تصدق أنفع ستايلست كمان، بالشياكة اللي أنت فيها النهارده دي، واللي ليَّ نصيب الأسد فيها طبعًا، شوف كام واحدة بتبص عليك دلوقتي، ولو سيبتك ومشيت هييجوا يكلموك كمان.

وما إن همت بخطواتها مبتعدة عنه، حتى أمسك بأصابعها، وجذبها إليه، ونظر في عينيها قائلًا: وأنا مش عايز غيرك انتي!!

زاد بريق عينيها عندما سمعت كلماته التي تؤكد أنه لا يريد غيرها، همست له في خجلٍ ودلالٍ وهي تسحب أناملها من يده: يوسف، الناس بتبص علينا، هسيبك شوية أرحَّب بالضيوف وأرجعلك، استمتع بوقتك.

ابتسم لها في حنان وهز رأسه موافقًا، ترك يدها التي أصبحت هي برّ أمانه، أخذ يتجول في القاعه متعجبًا، كيف لها أن تهتم بكل هذه التفاصيل بهذا الكم من الدقة والإتقان؟!

كلما استوقفها أحد ليتحدث معها، كلما ابتسمت أو التفتت بعينها صوب أحد، كلما تحرك شعرها يمينًا ويسارًا كقطعة حرير لامعة يداعبها النسيم، تستقيد بداخله نار من الغيرة، يريد أن يحملها على حصانه ويهرب بها من كل عين تلاحق جمالها ودلالها،

يعلم أن الجميع معجب بها وبذكائها، وسيجد الكثير من المحاربين الذين سيتسابقون لخطفها منه.

بدأت بعض المدعوات التودد إليه في محاولات لإثارة إعجابه؛ فقد كان هو الآخر شابًا وسيمًا" تتمنى الكثير من الفتيات أسر قلبه.

نظرت له من بين الكثير من البِذَل السوداء التي تحيط بها، لتراه محاطًا هو الآخر بالكثيرات الجميلات، وما إن تلاقت عيناهما بين الزحام، حتى غمزت له بعينها غمزة مغزاها، أنا سعيدة لأنك سعيد!

ما إن هدئت أجواء الحفلة قليلًا، حتى أخذت تبحث عنه، لتجده جالسًا على طاولة بمفرده، يداعب بطرف أصابعه حواف كأسًا وضع أمامه، جلست بجواره، كان سارحًا للغاية، سألته: قاعد لوحدك ليه كده؟!

نظر مباشرة في عينيها لترى انعكاس أضواء الشموع تتراقص في زرقة عينيه، وكأن صوت الحزن في قلبه هو من قال: أنا بالنسبة لك إيه؟!

لمست يده التي أسندها على ساقه، ونظرات الشفقة تتفحص ملامحه، وقالت: مالك بس؟!

قال بفضولٍ وإصرارٍ وهو ينظر في عينيها: يوسف بالنسبة لك إيه؟!

ابتسمت وهي تضم كفه بقوة وأسدلت جفنيها وقالت: حبيبي.

*** 

# (18)

ما إن هدئت أجواء الحفلة قليلًا، حتى أخذت تبحث عنه، لتجده جالسًا على طاولة بمفرده، يداعب بطرف أصابعه حواف كأسًا وضع أمامه، جلست بجواره، كان سارحًا للغاية، سألته: قاعد لوحدك ليه كده؟!

نظر مباشرة في عينيها لترى انعكاس أضواء الشموع تتراقص في زرقة عينيه، وكأن صوت الحزن في قلبه هو من قال: أنا بالنسبة لك إيه؟!

لمست يده التي أسندها على ساقه، ونظرات الشفقة تتفحص ملامحه، وقالت: مالك بس؟!

قال بفضولٍ وإصرارٍ وهو ينظر في عينيها: يوسف بالنسبة لك إيه؟!

ابتسمت وهي تضم كفه بقوة وأسدلت جفنيها وقالت: حبيبي.

انتفض جسد يوسف، وشعر بارتعاشة يدها، نظر لها ليجدها تفتح عينيها والخوف يلتمع فيهما.

أيعقل أن تكون هي أكثر جرأة منك، تسارعت أنفاسه وهو يمسك بسبابته وإبهامه ذقنها، رافعًا وجهها لتواجه عيناه عينيها.

تحول المكان حولهما إلى فراغ، لم يعد يسمع أو يرى سواها.

– حبيبكَ؟

أردفت بارتباك: أنا...

أغمض عينيه: "ششششش".. فتح عينيه بالتماعة لم ترَها في عينيه قبل ذلك أبدًا.

ونظر في عينيها قائلًا: ماتقوليش حاجة.

نهض وهو يمسك يدها: أنا عايز أمشي.

كادت الدموع تسقط من عينيها، وبصوت متهدج: أنا آسفة، مش عارفه ليه قُلت كده..

قال هاربًا من عينيها: أنا مسافر بكرة مونتريال، هكون في القطار من بدري، هروح أحضَّر حاجتي، كلميني لما تروحي طمنيني عليكي.. أفلت يدها وابتعد!!

كادت تبكي، لولا أنها تنبهت فجأة لأصوات حولها، وأعين تتابعها، لا يرون إلا جمالها وسعادتها الزائفة، لا أحد يشعر بما هي عليه الآن، تريد أن تركض وراءه، تجتذبه لتنظر في عينيه، وتقول أنت أيضًا تحبني، أليس كذلك؟!

أخذ يوسع في خطوته ليخرج من القاعة، قبل أن تنزل دموعه، أمام هذا الجمع، وقبل أن تلحق به، لأنها لو أتته الآن لن يكون منه إلا أن يحتضنها في صدره ويعلن هو الآخر عن حبه بكل الصور.

انقضت ساعات الحفلة، ركبت سيارتها، الجو ممطر بارد، أدارت مساحات سيارتها، لتزيح عنها الماء وهي لا تدري أهو مطر السماء أم عينيها من تمطر، تريد أن تراه، تريد أن تسمع صوته، ولكن لابد أنه نائم الآن.

تريد أن تمحو من الزمن، تلك اللحظة وتلك الكلمة التي نطقتها، غبية أنتِ يا حنين.. ردت على نفسها وهي تبكي، ولكن هو من سألني!!

لم تُغمَض عيناه اللتان تحجر فيهما الدمع، وحرقة في صدره تكاد تقتله، أخذ عقله يوبخه، أعتقد أني قد حذرتك بما فيه الكفاية، وها قد حدث ما كنت أخافه، كان قلبه موجوعًا منشغلًا في بكاء مرير، لذلك لم يرد.

ما إن وصلت إلى المنزل، حتى فتحت صفحتهما المشتركة وأرسلت له اعتذارًا: "يوسف، بجد أنا آسفة، اعتبر اللي سمعته مني ده كأنه ماحصلش، أنت شخص غالي عليَّ، زي ما قولتلك قبل كده.. صديقتك –حنين".

ذيَّلت رسالتها بهذه الشهاده أنها صديقته ليس إلا..

أخذت تبكي طوال الليل، وهي تنظر إلى شاشة هاتفها علها تأتيها به متصلًا أو مرسلاً لرسالة تحمل ردًّا.

شهد القمر ليلته يراقبهما، هي في شرفتها باكية، وهو خلف نافذته شاردًا.

ما إن أعلنت الشمس وصولها، حتى جمع ما يحتاجه في حقيبة سفره، وارتدى ملابسه دون حتى أن ينظر في المرآة، حتى فنجان قهوته، نسي أن يحتسيه، واتجه إلى محطة القطار.

ظلت تمسك بهاتفها، تنتظر منه ردًّا أو اتصالًا ليطمئن عليها، حتى رسالتها لم تفتح ولم يقرأها حتى الآن.

لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك.

رنَّ هاتفه وهو في طريقه لمحطة القطار، استجمع قواه:

– صباح الخير..

– صباح النور، أنا آسفة، وانفجرت باكية.

– حنين، انتي فين؟

بصوت متهدج وسط بكائها: أنت سافرت؟

– أنا في طريقي لمحطة القطار.

– أنا جايالك دلوقتي.

– حنين، عشان خاطري اهدي، مفيش داعي لا للأسف ولا إنك تتعبي نفسك وتيجي، إن شاء الله أنا يومين وراجع.

– يعني أنت مش زعلان منّي؟

– أزعل من إيه بس، هزعل بجد لو ماهدتيش، وقولتيلي إنك هتاخدي بالك من نفسك.

– ماشي.

– ماشي إيه بقى؟! هما القصيرين متعبين كده عللى طول.

جاءته ضحكتها من وسط بكائها، شعر بها ألمًا يصدع ضلوع صدره.

– يلا اوعديني تخلي بالك من نفسك، وماتخليش حد يعاكسك.

– أنت كمان.

– أنا مفيش حد يقدر يعاكسني يا بنت.

ضحكت بمرارة، يكاد يرى قطرات دموعها وهي تغالب نفسها لتضحكها.

– أيوة كده اضحكي ومتفكريش في حاجه تضايقك.

– هتكلمني؟

– هحاول لأن في العمليات بيكون صعب أرد أو أتصل، بس وعد أول ما هيبقى عندي وقت هكلمك أو أبعتلك على الفيس بوك، ابقي افتحيه هبعتلك عليه حاجات تعجبك.

– افتحه أنت كمان، أنا كنت بعتالك عليه حاجة امبارح.

– حاضر، خدي بالك من نفسك يا حنين.

– أنت كمان.

انتهت المكالمة، ولم تنتهِ دموع حنين، ولم تشعر بنفسها إلا وهي ترتدي ملابسها، وتركب السيارة، وتتجه إلى محطة القطار.

ها هو يدخل محطة القطار يجر حقيبته وهو ممسكٌ بهاتفه يقرأ رسالتها التي بعثت له بالأمس في ألمٍ ظاهر على ملامحه، وما إن وصل إلى إمضائها "صديقتك– حنين"، حتى أتاه صوتها من خلفه مناديًا: "يوسف"..

التفت ليراها أمامه، تقف بوجه مبلل بالدموع، ترك حقيبته واتجه نحوها، أمسك بكفيه وجهها وأخذ يمسح بأصابعه دموعها، ويلملم شعرها الذي خرج من تحت غطاء معطفها.

ونظر في عينيها بعطف من ذاب من الحنين، وبضعف من ليس بيده أي حيلة، قال: أنا مش قُلت ماتجيش؟!

ودموعها تنهمر كسحابةٍ مثقلةٍ بمطر أنهكها حمله: "مقدرتش ما أشوفكش"،

في هذه اللحظة لم يستطع إلا أن يحتضنها، أخذها إلى صدره، وقال: وأنا مبسوط إني شُفتك.

أمسك بكتفيها مبعدًا إياها عن صدره قليلاً وهو ينحني ليقبِّل جبهتها: مفيش حاجة حصلت تستاهل كل ده، حصل خير، وبعدين هو أنا أطول، واحدة زيك تحبني أصلًا، وابتسم.

ثم نظر لها وقال مازحًا: أطول إيه صحيح، أنا نسيت إن انتي.. واقترب من أذنها هامسًا: قصيييررة.

ضحكت بمرارة وهي تنظر في عينيه،

وهو يمسح دموعها: أيوة كده اضحكي، يلا امسحي دموعك وعلى شغلك ومن غير دلع زي ما اتفقنا.

سمعا صافرة القطار تقترب معلنة أن تصافحا وليأخذ كلٌّ منكما طريقه.

صافحته مسرعة: يلا عشان تركب، طمني عنك لما توصل.

– حاضر، وانتي ماتخلينيش قلقان عليكي.

و هي تمسح دموعها: لأ خلاص أنا كويسة أهو. ثم أردفت: طالما أنت مش زعلان منّي..

– بنت، خلاص بقى.

و لوَّح لها مودعا"، " سلام يا ح.. "كان سينطق لسانه بالحق الذي في قلبه "حبيبتي" ولكنه تداركها "سلام يا حنين".

لوحت له بحزن، وظلت واقفة تنظره وهو يركب، وعينها تلاحقه من خلال نوافذ القطار، حتى استقر على كرسي.

نظر من النافذة ليراها ما تزال واقفة تنظر نحوه.

أشار لها أن تذهب.

**أومأت برأسها أن نعم، ولكن قدميها لم تتحركا، حتى تحركت عجلات القطار لتبعده عن ناظريها.**

**أدارت ظهرها وغادرت محطة القطار التي شهدت لقاءهما ذات يوم، ويبدو أنها ستشهد الكثير فيما بعد، فقد عزمت أن تكون في كل مرة يسافر فيها، في وداعه واستقباله.**

**ما إن غابت عن عينيه، حتى أخذ قلبه يعتصر ألمًا، يغالب كل ما فيه، كي لا ينصهر أمامها معترفًا أن كل ما فيه ينطق بحبها.**

**للحظات شعر أنه يريد أن يترك القطار راكضًا نحوها، حاملًا إياها ليأخذها معه أينما ذهب.**

**قال عقله في ثقة المغرور موجهًا كلامه لقلبه، الذي أخذ ركنًا في صدره ليبكي في صمتٍ محرق: "هذا بالضبط ما قلته لك سابقًا"، اقترب منها أكثر ليصبح فراقها أصعب أكثر وأكثر.**

**وهي تخرج من محطة القطار، أتاها اتصال من عبير، وكأنما تشعر بما هي عليه الآن.**

**- آلو، صباح الخير يا حنوني..**

**حاولت أن تتصنع أنها بخير: صباح النور يا بيرو.**

**- إيه أخبار الحفلة؟! كانت حلوة؟**

**- آه جدًّا، الحمد لله.**

**- مالك؟ انتي تعبانة؟**

**- لأ بس مشغولة شوية.**

شعرت عبير أن هناك شيئًا يضايقها: ماشي حبيبي لما تلاقي نفسك فاضية طمنيني عليكي.

– حاضر.. سلام.

نظرت عبير لخالد وقالت: أنا خايفة على البنت دي، بتسكت ومابتقولش اللي جواها، ومرة واحدة تتعب.

– تحبي تروحيلها النهارده بعد الشغل؟

هزت رأسها بالإيجاب.

– تمام، أخلَّص شغلي وأعدّي عليكي نروحلها.

دخلت حنين مكتبها، جلست لتباشر عملها بنصف عقل.

في منتصف اليوم تقريبًا جاءتها رسالة من يوسف على شاشة المحادثة الخاصة بالفيس بوك، كتب فيها: طمنيني عليكي..

ردَّت: أنا كويسة، طمني عنك، وصلت؟

– لسه، بس قربت، انتي أكيد كويسة؟

غالبت دموعها كي لا تكذبه القول: كويسة جدًّا اطمن.

كان قلبه يحدثه أنها كاذبة، ولكن عقله طمأنه أن الوقت كفيل أن يداوي جروح القلوب.

نسيت أني طبيب وأعلم أن جرح القلوب مؤلم، والتئامه صعب جدًّا.

– مش هتبعتيلي حاجة اسمعها؟! انتي بقيتي إدمان خلاص.

– ذوقي في الأغاني بيعجبك؟!

**– ذوقك عالي جدًّا.**

**كادت تقول، طبعًا ذوقي جميل، لأني اخترتك وأحببتك.**

**– أنت كمان، بيعجبني ذوقك في الموسيقى، خلاص هبعتلك حاجة دلوقتي.**

**– أيوة كده، وأنا هبعتلك لما أوصل.**

**– توصل بالسلامة.**

**– الله يسلمك أسيبك لشغلك، مستني الأغنية.**

**أرسل لها هذه الكلمات مع وجه مبتسم، لم يكن يريد أن يسمع شيئًا، ولكنه يحاول أن يخرجها من ما وضعها فيه، يحاول انتشالها من مشاعر الحزن التي كان له فيها الضلع الأكبر.**

**ما هي إلا دقائق ليجدها وقد أرسلت له (سلملي عليه – إليسا).**

* * *

# (19)

**أرسل لها هذه الكلمات مع وجه مبتسم، لم يكن يريد أن يسمع شيئًا، ولكنه يحاول أن يخرجها من ما وضعها فيه، يحاول انتشالها من مشاعر الحزن التي كان له فيها الضلع الأكبر.**

**ما هي إلا دقائق ليجدها وقد أرسلت له (سلملي عليه – إليسا).**

**شعر بيديها تتحسس شعره بهدوء لتوقظه، فتح عينيه مبتسمًا وهو يشعر بحنان ودفء يحيطانه، ظنَّ أنه سيراها، نظر حوله، لم يجدها!!**

**فهو ما زال في القطار، وقد غلبه النوم وها هو على وشك الوصول، نهض مسرعًا ليأخذ حقيبته استعدادًا للنزول.**

**أنهت حنين عملها، ركبت سيارتها، لا تدري لأي مكانٍ تذهب؛ فقد كان هو الدليل، هو طعم الأيام وابتسامتها، ضائعة، خائفة بدونه.**

**جاءتها مكالمة من عبير.**

**– حبيبي خلص شغل؟**

**– آه أنا مروَّحة أهو.**

**– طيب ماتاكليش، أنا وخالد قرَّبنا عليكي وجايبة الأكل عشان ناكل مع بعض.**

**– تمام حبيبتي، مستنياكم.**

**أغلقت الهاتف، نظرت لخالد قائلة في قلق: في حاجة، مش دي حنين بتاعة اليومين اللي فاتوا.**

**– احنا رايحين لها، إن شاء الله خير.**

**وقفت حنين بسيارتها، تنظر للبحيرة من خلال نافذة السيارة، تذكرت كيف كان لقاؤهما الأول، وكيف كانت ضحكاتهما ونظراتهما في اللقاء الثاني.**

**كيف سأتركك يا يوسف، كيف سأكمل حياتي بدونك، أحببتك حقًّا، ولم يعد لي على قلبي سلطان.**

**أخذت عيناها تدمعان مرة أخرى، وكأنه يقول لها كفى دموعًا حبيبتي فأنا هنا، معك، أشعر بك، وجدته يتصل..**

**– آلوو..**

**– إزييك؟!**

**– الحمد لله، طمني وصلت بالسلامة؟**

**– أها، انتي فين؟، روَّحتي ولَّا لسه في الشغل،؟**

**– في الطريق مروَّحة، عبير وخالد جايين كمان شوية.**

**– حلو أووي، عشان مقلقش عليكي، هتاكلي إيه قوليلي؟**

**– مش عارفة، عبير قالتلي جايبة أكل، بس هو إيه، ماسألتش.**

**– إممم، بالهنا والشفا، كان نفسي أكون معاكم.. حنين، انتي لسه بتعيطي، صح؟!**

**و هي تمسح دموعها: لأ خالص، أنا بس مركزة في الطريق.**

- عارفة لو مابطلتيش عياط، هعمل فيكي إيه؟!

- مش بعيط خلاص.

- ماسألتيش هعمل فيكي إيه؟!

- إيه؟!

- عارفة المرجيحة اللي عندك في جنينة البيت؟

- آه..

- همرجحك فيها لحد لما تتحايلي عليَّ أنزلك.

ابتسمت بفرح: تصدق لسه كنت بفكر أتمرجح عليها بس اتكسفت.

- حلو جدًّا الكلام ده، لما أجيلك بقى.

شعرت أن حياة بصورةٍ ما دبَّت في جسدها مرة أخرى.

- هستناك في محطة القطار لما تيجي، ابقى قولي هتوصل إمتى.

- لأ يا حنين أرجوكي، ماتتعبيش نفسك.

- ممكن أقولك مش هاجي، وأقعد في المحطة اليوم كله أستناك.

- عنيدة.

- ههههه، آه، قول بقى توصل على الساعة كام.

- خليني أتأكد الاول وأقولك.

- اتفقنا..

- سلميلي على عبير وخالد.

**– حاضر، خلي بالك على نفسك.**

**– وانتي كمان.**

**تنفَّست حنين بعمق وهي تنظر لنفسها في مرآة السيارة، لكي لا يبدو عليها الحزن إذا رأياها.**

**وها هي تأتيها رسالة من يوسف: "اسمعي دي".. وجدته وقد بعث لها ( كل القصائد– مروان خوري ).**

**أخذت تستمع لهذه الكلمات، "هودي الأغاني غرام سنين، هودي دموع ونغم وحنين، هودي إيامي معك، قلبي الي بيوجعك، أنا لولا هواك أنا مين؟!".**

**يوسف، يا حبيبًا تمنيته، فأبى القدر!!**

**وصلت منزلها، وهي تدخل الحديقة، وقعت عينها على الأرجوحة، فابتسمت لا إراديًّا، وتذكرت كلماته لها، وسرحت كم هو ممتع أن يتأرجحا إلى جوار بعضهما، بل إنها ستجعله يتأرجح وتجلس هي على الكرسي الخشبي أمامه لترسمه، لتتركها له ذكرى منها.**

**لوحة، هي فكرة الهدية الجديدة التي ستقدمها له المرة القادمة، سترسمه كما رأته بجوارها في المستشفى، بمعطفه الأبيض، ملاكًا ذا أجنحة.**

**صعدت الدرج بحماس، جيد أن عبير وخالد لم يصلا بعد، أعدت غرفتها الصغيرة، لتستقبل أول رسوماتها فيها، وستستهلّ بمن؟ ملاكها "يوسف".**

**رنَّ الجرس معلنًا عن وصول خالد وعبير، أغلقت باب الغرفة خلفها، فتحت لهما الباب بأسارير متهللة كي لا يلحظا شيئًا من حزنها، ومن ثم تكثر الأسئلة، وهي ليست مستعدة لذلك.**

احتضنتها عبير: وحشتيني يا مجرمة، كأني بقالي كتيير ماشوفتكيش.

أردف خالد: مش عارفة أقولك قلقانة عليكي على طول ازاي؟

– ليه يا عبير هو أنا مش قولتلك اطمني، ووعدتكم لو في أي حاجة هكلمك، ثم إن يوسف متابعني على طول.

في طريقها للمطبخ أخذت عبير تتفحص المنزل، كم هو جميل ورقيق وراقٍ، سألتها: كل ده ذوقك طبعًا.

– لا والله في حاجات كتير جدًّا يوسف اللي جايبها وماكنتش معاه.

– بجد،؟! بس سبحان الله كأنه انتي اللي مختارة الحاجة، أنا عارفة الإستايل بتاعك، و هي تغمز لها بعينها: واضح إن ذوقكم واحد.

ابتسمت حنين وهي تهز رأسها: مفيش فايده فيكي.. واحتضنتها من الخلف وهي تخرج الطعام من الحقائب، وأردفت: بس وحشتيني قووي.

أدارت عبير رأسها لتطبع على خد حنين قُبلة وهي تنظر في عينيها متفحصة إياهما: انتي أكيد كويسة؟

خفضت حنين عينيها: تصدقي هزعل منك بقى عشان مش بتصدقيني ولوَت شفتها السفلى كطفل حزين.

– خلاص خلاص، ما أقدرش على زعل حبيبي أنا.

جاءهم صوت خالد من الخارج: هتقعدوا تحبوا في بعض كده، وتسيبوني أموت من الجوع؟!

– حاضر يا خالود يا حبيبي، جايين أهو.

وهو يضحك: شكلي هغير اسمي لحنين، يمكن ينوبني من الحب جانب.

ضحكت حنين وهي تقول: شكل النونو اللي جاي هتعامله معاملة حنين برضو، ده أنت الخير والبركة يا خالد.

جلسوا إلى الطعام يأكلون ويتبادلون الحديث، بعد أن انتهوا من العشاء، أعدت لهما حنين مشروبًا ساخنًا وهي تحمله لهما سألتهما: تحبوا تشربوا في البلكونة، ولا ننزل نقعد تحت في الجنينة؟

وقع اختيارهما على حديقة المنزل..

جلس عبير وخالد على الكرسي الخشبي، بينما اتجهت حنين صوب الأرجوحة، لتجلس عليها، وأخذت تنظر للسماء، وقلبها يردد دعاء بأن يرد لها يوسف قريبًا سالمًا معلنًا لها حبه.

شردت، هل يأتي اليوم الذي يصرِّح فيه بحبه لها، قلبها الذي لا يخطئ الحدس متأكدٌ من حبه لها، ولكن ينقصه الاعتراف بذلك.

إذا جاء هذا اليوم، فستخوض معه التجربة إلى منتهاها، ستتزوج وستنجب، حتى وإن متّ، فسأكون وهبت روحي وحياتي لاثنين: يوسف وطفله أو طفلته.

تراه من سيشبه أكثر، أنا أم هو؟ إن كان صبيًا، أتمنى أن يرث عينيه الجميلتين، وطوله وجسده الرياضي الممشوق، وإن كانت بنتًا، ترث عينيه، فقط وسأستأثر أنا بالباقي منها.

علت وجهها ابتسامة ساحرة، لم تفق إلا على صوت عبير: يا خبر أبيض يا حنين أنا كل ده بتكلم وانتي سرحانة، وكمان ابتسامة عريضة، بتغيظيني حضرتك!!

تنفست حنين بعمق لتفيق من هذا الحلم الرائع، وأردفت: آسفة يا عبير والله سرحت شوية.

– ما أنا واخدة بالي، اللي واخد عقلك هههههه.

نهض خالد قائلًا: نسيبك بقى ترتاحي، واحنا يا دوب نروَّح عشان خلاص عايز أنام جدًّا.

قبَّلت عبير حنين واحتضنتها: تصبحي على خير، خدي بالك من نفسك، نسيت أسألك صحيح، يوسف ماكلمكيش النهارده؟

– لأ يوسف مسافر مونتريال يومين، في حالات هناك محتاجاه.

– الجميل معاه كل التفاصيل، ماشي بقى.. وضحكت.

ابتسمت حنين وهي تقول: طيييب، ابقي اسألي عن أي حاجة تانية وشوفي مين هيجاوبك..

– خلاص، احنا آسفين يا حنيين.

ضحكوا، ودّعاها، وانصرفا..

بالرغم من إرهاقها وحاجتها إلى الخلود للنوم، إلا أنها استجمعت قواها، وشرعت في رسم اللوحة التي ستهديها ليوسف عندما تقابله بعد غد في محطة القطار.

أنهت ما يقارب من نصف اللوحة، ولم تستطع أن تكمل من شدة النعاس، حدَّثت نفسها: ما أنجزتِه جيدًا، فما زال أمامك الغد لتكملي.

كملاكٍ يرسم ملاكًا، نامت، ورأت في المنام أنها معلقة بأرجوحةٍ حبالها تمتد حد السماء وهي تتأرجح كعصفور محلّق في فرحٍ شديد.

استيقظت وكلها حماس أن تنهي عملها مسرعة، لتكمل لوحة حبيبها لتستقبله بها في الغد.

انقضى اليوم ولم يأتها من يوسف أي اتصال أو رسالة أو حتى بريدًا إلكترونيًّا.. لابد أنه مشغول بمرضاه وقلوبهم.

دعت الله أن يجعله سببًا في تخفيف آلام هذه القلوب المتعبة؛ فهي تشعر بألمها جيدًا.

عادت للبيت مسرعة، وشرعت في إكمال ما ابتدأته بالأمس، لم تشعر بسعادةٍ من قبل كتلك التي تشعر وهي ترسم ملامح يوسف، وتزيّن ملبسه الأبيض بجناحي ملاكٍ طاهر.

ما إن أنهت الرسم حتى نظرت لهاتفها القابع في صمت، أحست أنه لا يريد أن يحادثها لكي لا تسأله عن موعد وصوله.

بادرت هي وكعادتها دائمًا، وأرسلت له: إمتى،؟ وإلا.. وتلت هذه الجملة بوجهٍ مبتسم.

رنَّ الهاتف آتيًا لها بصوته ضاحكًا: يعني أنا مش عايز أتصل عشان ماتسألنيش، مفيش فايدة مش هعرف أهرب منك.

ردَّ قلبه في صدره ما إن سمع صوتها: لا مهرب ولا مفر، أنت أسيرها ورهن حبها.

ضحكت حنين قائلة: والله كان قلبي حاسس، بس أنا كنت مقررة لو أنت ما اتصلتش أنفّذ كلامي، وكنت هستناك من بدري في محطة القطار، وقت ما تيجي تلاقيني مستنياك.

ضحك يوسف قائلًا: مجنونة.

أردفت حنين بتحدٍّ: جدًّا بقى على فكرة.

ضحكا، أخبرها بموعد وصوله، وأنهيا المكالمة على أمل اللقاء في الغد.

رتبت حنين ملبسها، ولفَّت لوحتها الجميلة، ووضعتها في علبة أسطوانية أنيقة، تحممت وتعطرت ونامت، كعصفورةٍ وحيدةٍ وديعة تحلم بصباحٍ يحمل لها قلبًا أحبَّته ليؤنسها.

وها هي الشمس بخيوطها الدافئة تداعب جفنيها، لتفتح عينيها وتتمطى بدلالٍ، ناثرة من جسدها الكسل، لتقوم وتجهز لهما فطورًا خفيفًا، وضعته في حقيبة يدها.

ارتدت ملابسها، صففت شعرها على هيئة ضفيرة جانبية، زيَّنتها بوردات صغيرات، وكأنها نجومُ تسطع وسط ليل شعرها الدامس.

أخذت لوحتها، وتوجهت إلى محطة القطار، لم تكن هي من تقود هذه المرة، بل كان قلبها هو من يقود.

دخلت رصيف القطار، لم يتبقَ من الوقت الكثير ليصل.

وها هي أصوات عجلات القطار تقترب معلنة وصوله حاملًا إليها يوسفها. استقر القطار واقفًا، وبدأت قوافل الواصلين النزول.

ها هو يوسف، رأته يمسك حقيبته بشماله وهاتفه بيمينه، متصلًا بها.

ضغطت على زر إنهاء المكالمة، ورفعت يدها منادية إياه: يوسف..

* * *

# (20)

**أخذت لوحتها، وتوجهت إلى محطة القطار، لم تكن هي من تقود هذه المرة، بل كان قلبها هو من يقود.**

**دخلت رصيف القطار، لم يتبقَ من الوقت الكثير ليصل.**

**وها هي أصوات عجلات القطار تقترب معلنة وصوله حاملًا إليها يوسفها. استقر القطار واقفًا، وبدأت قوافل الواصلين النزول.**

**ها هو يوسف، رأته يمسك حقيبته بشماله وهاتفه بيمينه، متصلًا بها.**

**ضغطت على زر إنهاء المكالمة، ورفعت يدها منادية إياه: يوسف..**

**نظر ليجدها واقفة أمامه، لم يتمالكا نفسيهما، وأخذت خطاهما تتسع تجاه بعضهما، لم يشعر بنفسه إلا وهو يضمها ويقبّل رأسها، افتقدها كثيرًا، وقلق عليها أكثر.**

**ذابت بين ذراعيه، وهي تضع رأسها على صدره لتسمع دقات قلبه المتعالية، ها هو الإثبات يا يوسف، فلِمَ لا تنطق به.**

**رفعت رأسها لتنظر إليه وينظر إليها: وحشتني قووي.**

قال وهو يهرب بعينه من عينيها الباحثتين عن الحقيقة في عينيه: انتي كمان. واستدرك حديثه: طمنيني عليكي، احكيلي عملتي إيه اليومين دول؟

ثم أمسك بيديها وجعلها تدور أمامه بهدوء ليرى ملبسها، ثم أردف قائلًا: بنطلون جينز، وتوب واسع، لامين شعرنا ضفيره، ممتاز، حلو قووي الاستايل ده، بدأتي تسمعي الكلام.. وابتسم بتحدٍّ.

غمزته في يده وهي تضحك: يوسف، أنت بتعمل كده ليه؟

– انتي لسه شُفتي حاجة.

أخذ يجمع الوردات التي زينت بها شعرها في يده وهو يقول: احنا لو قطفنا الورد ده، هيطلع تاني؟!

أمسكت يده وهي تضحك في دلال: بس يا يوسف بقى.

– الحاجة لما تبقى حلوة قووي، نحط عليها حاجات تحليها زيادة ليه؟!

هزت رأسها وهي تبتسم في فرح واستسلام: خلاص يا سيدي مش هزعلك؟

أمسك بخدها برِقّة: أحبك لما تسمعي الكلام.

نظرت له، وعيناها تقولان: "نعم أريد أن تحبني، أعلم أنك تغار عليَّ، وهل يغار المرء إلا على من يحب؟!

– خطتك إيه النهارده؟! تحبي نخرج بعد الشغل النهارده؟

– أنت لسه راجع من السفر تعبان، بلاش النهارده، ارتاح ونشوف بكرة..

– أنا متعود على كده، خلينا نخلّص الشغل ونتكلم، أوكي؟

وهي تهز رأسها بحماسٍ وسعادة: أوكي..

خرجا معًا من محطة القطار، سألها: عربيتك فين؟

– ممكن أركب العربية معاك دقايق بس.

نظر لها مبتسمًا: طبعًا، إيه عايزة تنامي؟! ضحكا..

ما إن أركبها إلى جواره في السيارة، حتى مدت يدها إليه بالعلبة الأسطوانية التي تحوي لوحتها.

– دي هدية بسيطة مني، ممكن تقبلها؟

وهو ينظر إليها بحنان: كتير يا حنين كده، كل مرة هدية، بجد كلك ذوق.

مدَّ يده ليخرج اللوحة، وها هي عيناه تتسعان من جمال ودقة ورقة اللوحة.

Amazing.. إيه الروعة دي يا حنين، بجد انتي فنانة، مبدعة.

نظر لها وهو يقول تلك الكلمات، أمسك يديها يقبّلها: تسلم إيديكي، انتي كل يوم بتثبتيلي إن انطباعي الأول عنك كان صح، أنت مش زي أي واحدة، انتي استثناء.

التمعت عينا حنين وهي تستمع إلى هذه الكلمات، في كل مرة يقول لها فيها كلامًا جميلًا، تريد أن يقف الزمان عند هذه اللحظات وتلك الكلمات والنظرات والهمسات.

– بجد عجبتك؟!

– عجبتني؟! يا بنتي انتي مالكيش حل، أنا هعلقها في العيادة عندي، شكرًا.

– أنت مش متخيل أنا فرحانة قدّ إيه؟!

وهو ينظر إلى اللوحة: أنا فرحان أكتر منك، ده أنا طلعت ملاك حقيقي!

وهي تنظر إلى ملامحه وعينيه اللتين كانتا تضيئان من السعادة: أنا مافطرتش وجعانة، تفطر معايا؟

وهو يضع اللوحة في علبتها مرة أخرى، ويدير السيارة في سرعة: قوليلي تحبي تفطري إيه؟

وضعت يدها على كفه قائلة: أنا حضرتلك فطار معايا.

فتحت حقيبتها لتخرج ما حضرت لهما.

أمسك بما مدت به يديها إليه: أحلى ساندوتش من أحلى إيدين في الدنيا.

أكلا، ثم نزلا سويًّا ليوصلها حيث سيارتها، ودعها على أمل لقائها بعد أن ينهيا عمليهما.

قبل أن يتركها، نظر لها من نافذة السيارة، قائلًا: حنين، شكرًا.

همست وهي تغمض عينيها: على إيه بس؟!، دي أقل حاجه ممكن أقدمهالك.

أردف قائلًا: أي حاجة منك ليها معنى كبير عندي، خدي بالك من نفسك.

– وأنت كمان، باي.

أدارت سيارتها وانطلقت تاركة إياه واقفًا يراقبها حتى غابت عن ناظريه.

كان يريد أن يركض من شدة السعادة، وقد فعل، فقد أخذ الطريق إلى سيارته راكضا" في حماس وفرحٍ شديدين.

في طريقه للمنزل، أعطى اللوحة لأحد المحال ليركب لها إطارًا، استعدادًا ليضعها في عيادته كما أخبرها.

وجد نفسه يمسك بهاتفه ويرسل إليها: (في خطوتك سكتي– وائل جسار)، كان يستشعر كل كلمةٍ تجاهها حقًّا.

ما إن وصل منزله حتى وجد في صندوق البريد الخاص به، رسالة من مكتب التحقيقات، يطالبة بسرعة الحضور.

بحاجبين معقودين، أخذ يقرأ الرسالة مرة تلو المرة، لم يفهم، فلم يحدث له ما يشبه ذلك من قبل.

دخلت حنين مكتبها، لم تتنبه للرسالة التي بعثها لها وهي في السيارة، أدارت الأغنية بصوت هادئ وأخذت تسمع الكلمات، بقلب ينتفض من السعادة، حدثها قلبها يستحيل أن يبعث لك هذه الكلمات الصريحة إلا إذا كان يعنيها ويشعر بها.

لم تستطع أن تصبر، اتصلت به لتشكره على هذا الإهداء الجميل، لم يرد عليها.. لابد أنه نائم أو مشغول في شيءٍ ما.

بعثت له رسالة على الفيس بوك: الأغنية حلوة قووووي.

أخذها العمل لينسيها إياه أو هكذا كانت تتوهم، فقد أصبح هو نبضها الساري في قلبها.

بعد أن بدَّل ملابسه نزل ليتوجه إلى المستشفى، بفِكر مشغول، ترى ماذا حدث؟! ولماذا هو مطلوب في مكتب التحقيقات.

ما إن وصل المستشفى، حتى وجد على مكتبه رسالة مشابهة للتي وجدها في صندوق بريده، أمسك بالظرف، وما إن همَّ ليفتحه، حتى دقَّ جرس هاتف عيادته، ليجده مدير المستشفى يطالبه بالحضور إلى مكتبه.

أغلق الخط وظلَّ ناظرًا إلى الهاتف وإلى الرسالة، وقلبه يحدثه أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام.

في طريقه إلى مدير المستشفى، قابله أحد زملائه ليسأله عمّا حدث ليرسل مكتب التحقيقات في طلبه.

باستغراب ردَّ يوسف أنه لا يعلم بعد لم هو مطلوب.

بعد أن تركه، أخذ يتساءل، ما الذي جعل الخبر ينتشر في المستشفى بهذا الشكل!

خرج من عند مدير المستشفى وهو في قمة انفعاله، فقد طالبه بسرعة الرد عليه، بخصوص الغرض من التحقيق؛ فالمستشفى ذات سمعه طيبة ولا يعمل بها إلا الأطباء ذوو السمعة الطيبة أيضًا.

احتد الحوار بينهما، وخرج على إثره يوسف غاضبًا.

اتصلت به حنين في هذه الأثناء، تريد أن تخبره أنها ستتأخر في الشركة ولن تستطيع الخروج معه بعد العمل.

ما إن سمع ما قالت، حتى رد بجفاء: خلاص يا حنين براحتك.

بصدمة من صوته المرتفع، وطريقته الغليظة: في إيه يا يوسف، مالك؟!

– مفيش حاجة يا حنين، سلام..

وأغلق الخط..

نظرت للهاتف، ما هذه الطريقة يوسف، لن أسمح بأن تتحدث معي بهذه الطريقة مرة أخرى.

أرسلت هذه الكلمات الغاضبة في رسالةٍ له على الفيس بوك، ليقرأها هو بدوره، ما إن جلس إلى مكتبه، ليكون رده عليها "حظرًا"..

ما إن هدأت قليلًا، وهي في طريقها للمنزل بعد العمل، لامت نفسها على ما كتبت، فقد كان يتوجب عليها، أن تتمهل لتعرف ما به، خصوصًا وأنها لم تعهد منه هذه الطريقة من قبل.

حاولت الاتصال به عدة مرات في أوقات مختلفة، ولكنه لم يرد!!

في طريقه لمكتب التحقيقات، كان يرى اتصالاتها المتكررة، أخذ قراره لن أرد، كمن وجد حُجة ليبتعد عنها بها.

فتحت شاشة المحادثة لترسل له، فوجدته وقد حظرها، فلم تعد تستطيع أن ترسل له أي شيء!

لهذه الدرجة يا يوسف، أنا لم أفعل ما يستحق كل هذا، أنت من احتددت عليَّ في حديثك!

أخذت تبكي؛ فهي تعلم أنها ستبتعد عنه لا محالة، عاجلًا أم آجلًا، ولكنها لا تريد أن تترك ذكرى سيئة لها في قلبه.

في هذه الأثناء، كان يوسف يجلس في مكتب التحقيقات منتظرًا أن يأتي دوره ليعرف تفاصيل هذه الرسالة المزعجة، التي يبدو أنها ستطيح بسمعته الطيبة في مجال عمله.

عرف أن أحدهم يتهمه بشراء بعض الأغراض ولم يتم سداد أقساطها.

طالبهم بالفواتير التي تثبت ذلك، وجد فعلًا بعض القسائم التي وقَّع عليها باسمه، ولكنه لم يقم بشراء هذه الأغراض ولا يتذكر أنه قام بزيارة هذه المحال في يومٍ من الأيام.

تذكَّر تهديدات صوفيا له، وبدأ يسأل عن الإجراءات القانونية التي يثبت بها أنه ليس هو من قام بعملية الشراء، إجراءات معقدة وتستلزم وقتًا، وهو الذي يجد لنفسه وقتًا للراحة والترفيه عن نفسه بصعوبة.

خرج من المكتب، أمسك هاتفه محاولًا الاتصال بصوفيا، ولكنها لم ترد.

ألقى بهاتفه بقوةٍ، داخل السيارة، حتى إنه تفكك لأجزاء، ولم يكلف نفسه عناء جمعه، فقد كان بركانًا ثائرًا من الغضب، ولا يعرف كيف يتصرف في هذه الكارثة التي حلَّت به.

**- آلو، انتي فين يا بنتي، معقولة كل يوم هفضل قلقانة عليكي اليوم كله،؟! وأنا اللي أتصل في الآخر، مابجيش على بالك خالص تسألي عني؟!**

**قالت عبير هذه الكلمات معاتبة بها حنين.**

**بصوت متعب ومنهك من كثرة البكاء: آسفة يا عبير بس اليوم النهارده كان مشغول قووي.**

**- المهم طمنيني عنك.**

**- الحمد لله، تمام.**

**- ابقي كلمي عمو يا حنين، بيتصل بيَّ يتطمن عليكي، مش بيرضى يتصل بيكي عشان مايشغلكيش، صوته كان تعبان قووي النهارده وهو بيكلمني.**

**في قلقٍ شديدٍ: ليه، تعبان عنده إيه؟!**

**- مش عارفة سألته قالي تغيير الجو.**

**- أيوة آخر مرة كلمته قالي نفس الكلام، طيب روحي يا عبير هكلمه، وأرجع أكلمك تاني، سلام.**

**أخذت تحاول الاتصال بوالدها مرة تلو الأخرى، لا أحد يرد.. في المرة الأخيرة، رد أحدهم، قالت في نفسها "الرقم غلط ولا إيه، ده مش صوت بابا!!**

**جاءها الصوت: حنين، أنا عمك طارق، معلش يا بنتي بابا بس تعبان شوية، واحنا بيه في المستشفى.**

**دارت الدنيا بها: مستشفى إيه؟ عنده إيه؟! عمو إوعى يكون جرى له حاجة ومش عايزين تقولولي..**

– اهدي يا بنتي، هو محجوز في العناية المركزة واحنا معاه، بس أنا من رأيي لو تقدري تنزلي تشوفيه.

وهي تجهش بالبكاء: أنا هحجز حالًا، أقرب طيارة هكون عنده.

اتصلت بعبير مرة أخرى وهي تكاد تموت من شدة الخوف وقلة الحيلة، قصت عليها ما حدث وعبير تكاد تميِّز كلماتها بصعوبة من بين صوتها الباكي.

– طيب حبيبتي اهدي، هتصل بخالد حالًا، وإنتي اتصلي بيوسف، اللي يقدر فيهم يحجزلنا بسرعة.

اشتدت حدة بكائها: يوسف زعلان مني ومش بيكلمني، كلميه انتي.

– حاضر، حاضر، هكلمه أنا، حنين اهدي أرجوكي أنا مش عيزاكي تتعبي، ماشي، حاولي تتمالكي أعصابك حبيبتي إن شاء الله خير.

اتصلت عبير بخالد لتخبره ما حدث، وطلبت منه أن يحاول أن يجد لهما تذكرتين لتسافر مع حنين في أقرب رحلة لمصر. أنهت المكالمه مع خالد، لتطلب رقم يوسف.

ما إن رأى يوسف رقم عبير على الهاتف حتى انتفض جسده خائفًا، طرأ على ذهنه أن حنين مريضة، تملكه الخوف أكثر حينما سمع صوت عبير الحزين وهي تخبره ما حدث.

طمأنها قائلًا: أنا هنزلها حالًا، ماتقلقيش عليها، وهكلم حد يتصرف في موضوع الحجز، سلام.

نزل مسرعًا إلى سيارته يسابق الزمن ليصل إليها.

اتصلت بها عبير لتخبرها أنهم وجودوا أقرب طائرة في الصباح الباكر وقد تم الحجز عليها، وأنها ستحضر حقيبتها وتنتظر خالد ليأتي بها.

لم تشعر حنين بالغربة مثلما أحستها تلك الليلة، الكل بعيد عنها، حتى من أحبتهم وأحبوها.. وحيدة، خائفة، وكل من بقي لها في الدنيا يصارع الموت وهي بعيدة عنه لا حول لها ولا قوة، لتدرأ عن نفسها لحظات الوداع الأخير.

كان يومًا من أصعب أيام حياتها.

بعد أن أنهكها البكاء، دقَّ بابها، كملاك نزل لها من السماء.

نظر بحنان وشفقة، في عينيها الذابلتين الغارقتين في بحر من الحزن والدموع.

اقترب منها ليطمئنها.. أنا هنا، أنا بجوارك.

كان يظن أنه من سيبعث فيها الأمان، ولكنه عندما قرَّبها إلى صدره واستقرت في أحضانه، وجد نفسه يضعف كطفل يتيم، تراءت له ملامح أمه في ملامحها، أحس بدقات قلبها الموجوع تدق أبواب ضلوعه، دقات سريعة خائفة مضطربة، تلهث هاربة من مطاردة ذئب الأحزان، والفقد والحرمان، تطلب أن يفتح لها أبواب قلبه لتتخبئ فيه.

رغم ضعفها بين ذراعيه إلا أنه أحسها درعًا قويًّا يتلبسه ليحميه من الخوف، الخوف الذي عشش في أرجاء قلبه منذ سنين.

أحست بدموعه تجري بين خصلات شعرها، رفعت رأسها لتنظر إلى وجهه، كان يبكي، بكى هو الآخر، بكى وبكت.

فقد لعب الحزن على أوتار قلبيهما سويًّا..

بات الليلة في أحضانها، نام كما لم ينم يومًا من قبل.

* * *

# (21)

لم تنم إلا بعد أن غلبها التعب، كانا ينامان وهما يحتضنان بعضهما.

كان يوسف في أحضانها كطفلٍ رُدَّ إلى أمه بعد أن ضاع منها سنين، أحست وهو في أحضانها أنها أنجبت وأصبحت أمًّا لهذا الحبيب الذي تمنته، تمنته بقوة ما تمنت أن تطمئن على أبيها الآن.

استيقظ يوسف على دقات الباب المتسارعة، ليجد عبير وخالد قد وصلا، في حالةٍ من القلق الشديد.

دخلت عبير مسرعة، متسائلة: حنين، فين؟

– معلش من فضلك يا عبير أنا ما صدقت هديت من العياط شوية ونامت، سيبيها، خلينا نصحيها قبل ميعاد الطيارة على طول.

رمقته عبير بنظرة فيها الكثير من العتب، ولكن لم يشفع له إلا آثار البكاء التي كانت بادية على ملامحه أيضًا؛ فلا يبكي الرجل إلا لأجل امرأةٍ أحبها.

جلس خالد ويوسف يتحدثان عن ترتيبات وإجراءات السفر، بينما دخلت عبير لتحضر لحنين حقيبة سفر صغيرة، لكي لا ترهقها في الصباح بجمعها.

ما هي إلا ساعات قلائل انقضت، حتى طلع النهار، ليجد يوسف حنين تزيح عنها غطاءها الذي أحكمه عليها بالأمس.. لتنظر له، فما إن تلاقت أعينهما حتى سالت أنهار دموعها مجددًا، أحست أنها تبكي كل شيء، تبكي وجع قلبها.. ابتداء من مرضها وحبها وقدرها المحتوم بفراق كل من أحبَّت، حتى أنت يا يوسف، فإني لمَفارقتك..

انتفض إلى جوارها ليأخذها في صدره وجسدهما يرتعش من الألم، وبصوت متهالك: أرجوكي يا حنين، كفاية، عبير هنا..

– عبير، حنين صحيت، يلا عشان تجهزوا.

جاءت عبير مسرعة وتلاها خالد، احتضنتها بقوة: حبيبتي ماتقلقيش، إن شاء الله خير، بس انتي اهدي عشان متتعبيش.

بصوتٍ بُحَّ من كثرة البكاء: بابا يا عبير، بابا تعبان وأنا مش جانبه، لو حصله حاجة أنا هروح معاه، مش هستحمل، ده هو اللي فاضلي في الدنيا كلها.

وهي تمسك برأسها لتأخذه على كتفها: بعد الشر عنك حبيبتي، إن شاء الله هيكون زي الفل، وانتي تماسكي كده عشان لما نوصل مايشوفكيش ويقلق عليكي، صح ولا إيه يا يوسف.

نظرت عبير لتجد يوسف واقفًا كطفلٍ في زاوية الغرفة وعينه معلقة بحنين، ولمحت التماعة دمعةٍ هربت من عينيه وهو يمسحها مسرعًا:طبعًا في الحالات دي احنا بنقول نفسية المريض أهم من أي حاجة تانية، أنا هوصلكم المطار، وهطلع على الشغل آخد أجازة وأحصلكم على مصر.

ردَّت عبير وهي تنظر ليوسف ثم خالد: مفيش داعي أبدًا، خليكوا انتوا في شغلكم، احنا عارفين إن شغلكم صعب تاخدوا منه أجازات، أنا معاها وهطمنكم.

أمسكت بخصر حنين وهي تقول: يلا حبيبتي عشان تغيَّري، عشان مانتأخرش، أنا جهزتلك الشنطة خلاص.

دخلا الغرفة ليبدلا ملابسهما، وما هي إلا دقائق، حتى كانتا جاهزتين للرحيل.

اقترب يوسف من حنين وهو يمسك كفها خائر القوى وربت عليه، بلا أي كلمة، فأي كلام هذا الذي يواسي قلبها المكلوم حتى منه هو، فقد خيب ظنها بالأمس.

نزلوا إلى سيارة يوسف، وفي طريقهم للمطار، كانت عين يوسف تزور المرآة من لحظة لأخرى ليطمئن عليها وهي مستكينة، تذرف الدمع في هدوء.

ما إن وصلوا للمطار، حتى أجلسهما، وتوجه لإنهاء كل الإجراءات، ثم عاد يوسف، ليجلس على إحدى ركبتيه أمام حنين، ناظرًا لعينها الذابلة، وقد أمسك بيدها، وبصوتٍ حنون قال: كل حاجة هتبقى كويسة، خلي ظنك بربنا خير.

حاول الابتسام وهو يقول: بعدين قولي لعمو لازم تشد حيلك كده عشان يوسف عايز يقابلك.

نظرت حنين في عمق عينيه بنظرةٍ كأنها تبحث عن شيءٍ ما، ولم ترد.

وهو يمسح الدمعات عن وجنتيها: انتي مش بتثقي فيَّ؟

بنفس النظرة الصامتة الخائفة، لم ترد..

كان صمتها بمثابة خنجر طعن قلبه، وقال لنفسه: لها كل الحق أستحق منك ما هو أسوأ، فأنتِ أطهر من أن يمسك من هو مثلي.

جاء خالد ليبلغهم أن عليهم التوجه إلى صالة المغادرة، احتضن عبير ثم احتضن حنين قائلًا: طمنونا أول ما توصلوا، وتابعونا أول بأول بالأخبار.

اقترب يوسف من عبير هامسًا: خلي بالك منها أرجوكي.

هزت عبير رأسها بالموافقة: ربنا يستر، ادعولنا.

ما إن خطت حنين خطوات مبتعدة عنه، حتى سبقها ممسكًا بيدها ليستوقفها وهو يقبّل جبينها ويحتضنها، ناظرًا لها في توسّل، قائلًا بصوتٍ مرتجف يحاول إظهار ثباته: هستناكي.

دارت عيناها في عينيه، وهزت رأسها بتثاقل، وتابعت المسير.

ودعها تاركًا روحه فيها، وعاد أدراجه، ليستكمل مسيرة الضياع التي خطا فيها خطواته الأولى في طريق مجهول النهاية، حتى إنه لا يستطيع اللحاق بها، إلى بعد أن تنتهي القضية التي لا يدري ما تبعاتها.

انقضت ساعات السفر ثقيلة، حتى وصلتا أرض مصر، كانتا تحلمان بأول زيارة لهما لأرض الوطن معًا، ولكن بتفاصيل مختلفه تمامًا.

استقلتا سيارة أجرة، لتصلا للمستشفى، وقد أعياهما السفر، ما إن دخلتا غرفة الرعاية المركزة لتقع عينا حنين في عيني أبيها، الذي ذرف الدمع لرؤياها وهي تبكي، لمست يده في حنان وخوف شديدين، وبصوت يكاد يسمع: بابا أنا حنين أنا جيت أهو، يلا بقى قوم، أنت كويس.

وما هي إلا ساعات، أصوات تتداخل بين أجهزة طبية، وأصوات أطباء وأصدقاء، عبير.. وها هو يظهر ملاكها بجناحيه ليحملها بعيدًا عن كل ما حدث..

لم تنقطع الاتصالات خلال ثلاثة أيام غابت فيها حنين عن الوعي بعد وفاة والدها، بين خالد الذي لحق بهم وبين يوسف الذي حاول بالفعل السفر ومُنِعَ لاحتجازه على ذمة قضية.

ولكنه كان يتابعها مع الأطباء المشرفين على حالتها ساعة بساعة.

أقسم أن إذا أصاب حنين مكروه لو رأى صوفيا لقتلها، حاول البحث عنها في كل الأماكن التي يفترض أن تكون موجودة بها ولم يجدها.

لم تكن تمر الدقائق ولا الساعات، شعر بظلمةٍ تحيط به ليل نهار، أنفاسه ملتهبة كحمم بركان غاضب.

فراق وقلق وخوف وضعف وقلة حيلة، إضافة لأوضاعه المتوترة في العمل، وجهد كبير لإثبات براءته من تهمةٍ أبعد ما يكون هو عنها.

فتحت حنين عينيها، لتجد نفسها موصولة بنفس الأجهزة الطبية اللعينة، أدركت أنها أصبحت رسميًّا بلا سند في هذه الدنيا، لم تعد تقوى حتى على الكلام، لم تستطع سوى البكاء في صمتٍ عميق.

احتضنتها عبير وهي الأخرى في حالةٍ يرثى لها، لا تقوى على هذه الصدمات، فما بالها حنين؛ فهي كجبلٍ لم يعد يستطيع أن يصمد طويلًا، أوشك على الانهيار، أو بالفعل قد انهار.

تحدثت عبير مع يوسف لتخبره أنها أفاقت ويمكنه الحديث معها،

– حنين، حبيبتي، البقاء لله.. وكأنها بين يديه؛ فقد شعر بانتفاضة جسدها وهي تبكي في صمت.. حنين، أرجوكي خليني أسمع صوتك اتكلمي، أنا آسف إني مش معاكي، غصب عني والله غصب عني.

جاءه صوتها من بين شهقات بكائها: أنت كنت معايا.

– طبعًا حبيبتي معاكي، قلبي معاكي لحظة بلحظة.

لم يدرك عدد المرات التي نطق لسانه بكلمة "حبيبتي"؛ فلم يعد لعقله دور في الأيام الماضية؛ فقد ذهبت بعقله وروحه وكل كيانه عند رحيلها، وعندما كانت تصارع الموت بقلب لا يقوى على المواجهة.

لم تقوَ على إكمال المكالمة فأعطت الهاتف لعبير لتغطي وجهها بغطاء السرير وتستكمل بكاءها المرير الذي لن يشفي جروحها التي أصبحت غائرة للحد الذي أيقنت أنها لن تلتئم أبدًا.

– عبير، انتوا هترجعوا إمتى؟

– مش عارفة يا يوسف، أنا عايزاك أنت اللي تدلني، هي عايزة تخرج من المستشفى، وأنا مش عارفة الدكاترة رأيهم إيه، ممكن تتكلم معاهم وتفهمني إيه الصح الي أعمله.

– تمام أنا هكلمهم وأرجع اكلمك، بس خليكي جنبها دايمًا، ماتسيبيهاش لحظة واحدة.

– يوسف ممكن أسألك سؤالَ؟

– لسه بحبها يا عبير، حنين، بقت مسؤولة مني خلاص.

– برغم تعبها يا يوسف؟!

– أنا عايزها هي مش عايز أي حاجة تانية، المهم إنها تكون بخير.

ثم أردف: هكلم الدكاترة وأرجع أكلمك، سلام.

– سلام.. أغلقت الخط، ثم نظرت لحنين التي يبدو أنها عادت المحاليل تهدئها وتجعلها تخلد في نوم عميق مرةً أخرى.

تحدث يوسف لزملائه، وتناقشوا وأبدوا مدى قلقهم من حالتها النفسية التي قد تجعل حالة قلبها الضعيف تزداد سوءًا.

إذن الحل هو أن تبتعد عن ما يحيط بها ويذكرها بكل ما يؤلمها.

– عبير، أنا لسه مكلم الدكاترة، لازم تبعد عن الضغوط النفسية، لأن طول ما هي موجودة، كل حاجة هتفكرها بوالدها الله يرحمه، وده هيخلي قلبها تعبان أكتر، فلازم تبعد في أقرب فرصة، وأعتقد إن احنا هنقدر نخرَّجها من اللي هي في وهي في وسطنا كلنا.

– طبعًا، خلاص أحجز ونرجع، بس ادعيلي أقدر أقنعها.

– لما تصحى وتفوق شوية خليني أكلمها، حتى لو مش هترد عليَّ، خلي التلفون على ودنها بس وأنا هكلمها.

– حاضر.

أنهيا المكالمة، ليجلس يوسف يفكر كيف سينتشلها من بئر الأحزان اللانهائي الذي سقطت فيه.

في خضم كل هذه الأحداث، كانت علاقة يوسف محتدة للدرجة التي سيلقي فيها استقالته في وجه مدير المستشفى في أي لحظة، نظرًا لطريقة تعامله الفظة معه.

ما إن أفاقت حنين، حاولت عبير أن تطعمها ولكنها أبت وبشدة.

– حنين، عشان خاطري ماتوجعيش قلبي عليكي.. وبكت.

في هذه اللحظة فقط تنبهت حنين وتذكرت أن عبير حامل، خافت عليها كثيرًا، فهي التي ترعاها وهي أولى بالرعاية والراحة.

أشارت حنين لعبير وهي تبكي أن تعالي، وارتمت في أحضانها وهي تبكي بحرقة وهي تقول: أنا آسفة، بجد آسفة.

أمسكت عبير بوجه حنين وهي تقول: آسفة على إيه يا بنت انتي، أنا خايفة عليكي، بجد هموت من قلقي عليكي، أنا مش هستحمل يجرالك حاجة، فاهمة.

– أنا عايزة أخرج، يلا.. شوفي الدكاتره وقوليلهم إني عايزة أخرج أنا كويسة خلاص.

نظرت لها في قلق؛ فهي تعلم أنها تضغط على نفسها كي لا ترهقها معها ليس أكثر، وهي تنظر في عينيها، قالت: يوسف كان عايز يكلمك.

سرحت حنين بنظرها بعيدًا، ثم قالت: انتي عارفة مين اللي شالني لما دوخت؟!

– مش فاكرة.. احنا كلنا اتخضينا عليكي وقتها.

– يوسف، يوسف هو اللي شالني أنا شُفته..!

نظرت عبير لها في ريبة وتملكها الخوف من أن تكون الصدمة قد أثرت على قدراتها العقلية.

أمسكت حنين بيد عبير وهي تنظر لها مطمئنة إياها: ماتخافيش، أنا كويسة، بجد أنا شُفته وحسيت بيه كان معايا، عشان كده استغربت لما قولتيلي إنه ماقدرش ييجي.

– بصي هو الحقيقة مابطلش اتصال، كان بيكلمني وخالد والدكاترة، لدرجة إني متأكدة إنه مكنش بينام.

شردت حنين مرة أخرى، ولم يقطع شرودها إلا صوت اتصال على هاتف عبير.. نظرت عبير لها وهي تشير بإصبعها على شاشة الهاتف، أنه هو يوسف.

أشارت لها أن تعطيها إياه.

قال بصوت يائس: عبير، طمنيني.

– يوسف..

اتسعت عيناه وكاد قلبه يخرج من صدره واندفع الدم يجري في عروقه معلنًا أنه عاد للحياة؛ فقد كانت الدماء راكدة في عروقه، حتى سمع صوتها.

– حنين، الحمد لله، الحمد لله، انتي كويسة؟! هتجنن وأطمّن عليكي.

صمتت وهي تستمع لصوته الحنون الذي لم يعد سواه يطمئنها في هذا الكون، وعادت لتذرف دموعها مرة أخرى لتقول وهي تشهق كمن يسلم روحه: أنا محتاجة لك قووي يا يوسف.

كيف لا تحتاجه وهو من يشبه أباها الذي رحل في هدوء وكأنه سلَّمها له أمانة، ليحافظ عليها.

كان يذرف الدمع هو الآخر، حاول أن يتماسك كي لا يبدو على صوته الوهن:
– تعالي بقى يا حنين أنا كمان محتاجلك.

كانت تستمع لكلماته وترى عبراته، فقلبها نافذة مفتوحة على قلبه، تشعر به ولو كانت المسافة بينهما بُعد الأرض عن السماوات.

– انتي قوية والحياة لازم تستمر، صدقيني هي دي الحاجة اللي تقدري تهديها لروحه عشان يكون فرحان بيكي.

بصوتٍ خرج بآخر قواها الخائرة: أنا هحجز في أقرب طيارة.

طار قلبه فرحًا، سيراها مجددًا، سيحتضنها، أدمن وجودها والقرب منها، لم يعد ليومه أي ملامح ولا طعم بدونها، لا الطعام ولا النوم، فقدَ شهيته للحياة بمجملها حين غابت.

– انتي حاسة إنك هتقدري يا حنين؟

بصوتٍ متهالك: هقدر..

– حنين متضغطيش على نفسك، انتي أكتر واحدة تقدري تحسي بنفسك، لو حاسة إنك مش هتستحملي السفر نستنى شوية، أرجوكي، انتي بقيتي حياتي كلها.

أخذت تبكي وتبكي، كانت تتمنى أن تسمع هذه الكلمات في وقتٍ غير هذا وفي توقيت آخر، لكي تكون متأكدة من صدق قوله، لأن ما تشعر به الآن هو أحاسيس الشفقة عليها لما تمر به من ظرف صعب.

– حنين انتي سمعاني،؟!

أرادت أن تقول، سامعاك بس مش حسّاك يا يوسف، ولكنها أردفت: سامعاك، أنا هقدر أسافر، خلاص مابقاش في حاجة استنى عشانها هنا.

– خلاص يبقى أنا هتفق مع الدكاترة، يرتبوا إجراءات الخروج، وخلي عبير تعرّفني هتوصلوا إمتى بالسلامة عشان أكون في استقبالك.

– حاضر.

– سلام حبيبتي.

نطقها بكل كيانه، ولكنها تعلم وبكل كيانها أنه يواسيها بتلك الكلمات لا أكثر،

تحاملت على نفسها كثيرًا حتى لا ترهق عبير معها أكثر من ذلك ولتعود لزوجها وحياتهم التي توقفت بسببها، وهي التي لم تحب يومًا أن تكون عبئًا على أحد، حتى لو كلفها هذا حياتها.

وها هما تقفان أمام الطائرة التي ستحملهما بعد أن انقضى الأمل وتكسَّر على أرض الوطن، الذي لم يعد يربطها به سوى الذكريات.

كان يوسف في انتظارها، وما إن رآها حتى شعر أنه يريد أن يحملها بدلًا عن ساقيها اللتين لا تقويان على حملها.

خطى خطواته الواسعة صوبها، لترتمي هي في أحضانه في نفس اللحظة التي تحتويها ذراعاه، لتجد الدفء والأمان والسكينة، التي حرمها الزمان منها بغياب والدتها ووداع أبيها.

لم تتمالك نفسها من البكاء بحرارةٍ للدرجة التي أخذ جسدها ينتفض بين ذراعيه، ضمها إلى صدره بقوة، متمالكًا نفسه من البكاء هو أيضًا.

اقترب هامسًا لها: وحشتيني قووي.

أحست بكلماته تسري في جسدها، لتشعر كل خليه من خلاياها باقتراب موعد اعترافه بحبه لها..

كان لوجودها في أحضانه مفعول المهدئات التي حقنت بها لحد التشبع، ولكنها من اليوم قررت أن تكون قوية كما كان يحب والدها أن يراها دائمًا، وكما طلب منها يوسف.

وهي تجلس إلى جواره في سيارته، نظر لها قائلًا: أنا عايز حنين القوية، الاستثنائية، اللي مليانة حيوية وحماس.

نظرت له في حزن..

– عارف إنك هترجعي للشخصية دي تاني، بس أنا مش عايز الوقت يطول، ماتستسلميش للحزن وتخليه يسيطر عليكي وعلى حياتك، الحياة لسه شايلالك خير كتير، احنا كلنا جنبك وحواليكي، بس انتي الوحيدة اللي تقدري تساعدي نفسك وتدينا الفرصة نساعدك.

هزت راسها في تفهُّم.

– أنا مدين ليكي باعتذار عن اللي حصل قبل ما تسافري وماكانش فيه فرصة إني أعتذرلك، بس أنا بمر بظروف صعبة الفترة دي، عشان كده كنت عصبي جدًّا.

سألته في قلقٍ: خير.. إيه إلي حصل؟! احكيلي.

– ماتشغليش نفسك بيه، أنا عاوز أطمّن عليكي الأول بعدين هنتكلم كتيير.

ما إن وصلا لمنزل حنين، اتجه يوسف مسرعًا تجاه حنين ليفتح لها باب السيارة ليساعدها على النزول مادًا إليها يده.

نظرت حنين في وجه يوسف وعينيه، وقالت في شرود: حصلت حاجة غريبة وأنا في المستشفى، مش عارفة أقولك عليها ولا هتقول بيتهيألي.

– قولي طبعًا.

أردفت في خجل: أنا شُفتك هناك في المستشفى، لما أغمى عليَّ أنت اللي شيلتني!

– غريبة فعلًا.. شيلتك إزاي؟! كده؟ وحملها فجأة بين ذراعيه.

وجدت نفسها تضحك رغمًا عنها من المفاجأة.

ضحكت وهي تغمض عينيها في خجل: يوسف خلاص نزلني.

ثم أردفت: مش قولتلك مش هتصدقني..!

نظر في عينيها مباشرة قائلًا في حنان: مصدقك طبعًا، أنا كنت معاكي فعلًا.

– يعني أنا ما اتجننتش؟!

– لأ خالص، انتي مجنونة من الأول يا حنين.

ضحكا وهي تقول: شكرًا، عارفة إنك كنت هتقول كده.

نظر لها بحنانٍ، ولسان حاله يقول: ليتك تعرفين ماذا يريد قلبي أن يقول أيضًا..!

دار هذا الحوار وهو يصعد بها درجات سلم منزلها، ما إن وصلا لباب الشقة، حتى أنزلها، وقبَّل جبينها: الحمد لله على سلامتك، إن شاء الله هتكون آخر الأحزان.

أشارت بيدها صوب الباب،: مش هتدخل..

- تعزميني على شاي لحد لما خالد وعبير ييجوا؟

- طبعًا، اتفضل.

دخل المطبخ معها ليساعدها يدًا بيد في تحضير كوبين من الشاي، ليحتسياهما في الشرفة التي افتقدتها وافتقدت ذكريات هذه البحيرة التي تطل عليها.

دار حوار هادئ بينهما، ألحت عليه أن يقص عليها ظروفه التي عاناها في غيابها، ولكنه أصر على عدم الحديث في هذا الأمر ووعدها بأن يحكي لها لاحقًا.

ما إن وصل خالد قادمًا بعبير لتبيت معها ليلتها، حتى ودعهم يوسف.

اتفقا على أن يلقاها في الصباح الباكر ليطمئن عليها ويذهب بها لشركتها.

بينما كان يوسف يبتسم لحنين مودعا" إياها، وقد عقدَ العزم على الاعتراف بحبه لها وطلبه الزواج منها.

كانت صوفيا تبتسم هي الأخرى ابتسامة الشياطين، فقد اقترب تاريخ عيد مولد يوسف، وكانت تجهز له هدية من العيار الثقيل..!

* * *

## (22)

**مرت الأيام تحمل في طياتها الأحزان، كانت لقاءاتهما تخفف عنها تارة وتذكِّرها بأبيها تارة أخرى؛ فقد كان يوسف يشبه أباها في الكثير من الصفات، على رأسها محاولته إشعارها بالأمان بالرغم من كل ما يعانيه، كانت هي الأخرى مثلهما؛ فقد ورثت أباها في الصبر والمصابرة، وعدم إشراك الغير في آلامها وأحزانها.**

**كان يوسف يبدو عليه الإرهاق وبشدة، حاولت بشتى الطرق أن تحاول مشاركته، ولكنه دائمًا ما كان يصرّ أن كل شيء على ما يرام.. عنيد مثلها تمامًا.**

**كانت فترة قاسية ومؤلمة، ولكنها زادت من تقاربهما وتفاهمهما لبعضهما، بشكل كبير جدًّا، فقد كانا يتشاركان تفاصيل يومهما حتى الصغيرة منها.**

**شهد رصيف محطة القطار أروع ما يمكن أن ترى عين أو يشعر به قلب، من لقاءات ووداعات ليوسف وحنين، في كل رحلة من رحلات يوسف.**

**بدأت حنين التجهيز للاحتفال بعيد مولد يوسف؛ فقد كانت تريد أن تشكره بطريقتها المميزة التي لن ينساها ما حيي.**

**كان هو الآخر يحاول بكل ما أوتي من وقت وجهد أن يعوضها ويحتويها ويسعدها، وقد اتخذ قراره بمصارحتها بحبه ورغبته في الزواج منها بعد أن تحل المشكلة التي ورطته فيها هذه الملعونة التي تدعى صوفيا.**

فتحت عينيها صباحًا على اتصال منه: صباح الخير يا أرق حنين.

وهي تتثاءب في دلال: صباح الخير يا جميل، نمت كويس؟

لم ينم بشكل جيد؛ فقد كان التفكير في قضيته وفي كيفية العثور على صوفيا هو ما استحوذ على جل تفكيره، ولكنه قال مطمئنًا لها: آه تمام الحمد لله.

– عايزة أخرج في مكان جديد النهارده، إيه رأيك؟

– أنت تؤمر، ويوسف ينفذ، خلاص هعدي عليكي في الشركة بعد الشغل.

– أنا مش هروح الشغل النهارده.

– حنين، مالك أنت تعبانة؟!

– لأ لأ ماتقلقش خالص، أنا كويسة بس كسلانة، ومفيش شغل كتير، يوم ريلاكس كده، ولا رأيك إيه؟

– رأيي؟! وده سؤال؟! لو عليَّ مش عايزك تروحي الشغل خالص.

ضحكت حنين قائلة: يا سلام، لأ هو النهارده بس!! أنت بقى يا حرام هتنزل الشغل وأنا هرجع أنااااام!

ضحك يوسف وهو يخفي مرارة؛ فهي لا تعلم أنه لا يريد أن يذهب إلى عمله فعلًا؛ فقد أصبح يمثل ضغطًا عصبيًّا ونفسيًّا عليه لأقصى الحدود.

– استمتعي بيومك يا جميل وهتطمن عليكي.

– خلي بالك على نفسك.

– انتي كمان.

أنهى المكالمة ونظر لشاشة الهاتف الذي يصبح باردًا ما إن يختفي صوتها الدافئ الذي يأتيه من خلاله.

خاطبه قلبه في هدوءٍ، أرأيت أني كنت على صواب، لم يتبقَّ لك شيء يبعث الطمأنينة في نفسك وفي حياتك سواها، تخيل حياتك بدونها، أقسم بربي جحيم.

نهضت حنين مسرعة من سريرها؛ فقد كان اليوم هو يوم ميلاد حبيب قلبها "يوسف".

وهي تحضّر لنفسها كوبًا من القهوة، لم تفارق الابتسامة شفتيها، فقد تخيلت يوسف وهو طفل وليد، من المؤكد أنه كان جميلًا جدًّا، شعرت بسعادة أمه وأبيه عندما رأياه ولمساه لأول مرة، كانت تسمع بكاءه وترى عينيه الزرقاوين وهما تتفتحان لأول مرة، كانت تشم رائحته وتشعر بملمسه.

كبر يوسف، وظلت عيناه جميلتين، ولكنهما ازدادتا حزمًا وعزمًا، رائحته أصبحت عطرًا رجوليًّا يخطف لبَّها ما إن يقترب منها، لمسته لم تزل ناعمة دافئة كما كانت.

احتست قهوتها في الشرفة، ناظرة للبحيرة التي أعدت فيها ليلًا احتفالًا خاصًا بها وبحبيبها، ما إن انتهت، حتى قامت تعد صندوق الهدايا الكبير، الذي أعدته بيدها، أخذت ترتب هداياها بدقةٍ، وفرحٍ شديدين، ورشة من عطرها الناعم كأنها تودع نفسها إلى جوار هداياه، تهديه نفسها، حتى ولو لم يطلبها.

وضعت فستانها الأخّاذ الذي سيأسر لبه ما إن يراه عليها، متأكدة أنه سيظهر إعجابه به ولكن لن يخلو هذا الإعجاب من بعض الاعتراضات على كونه لافتًا للأنظار.

هزت رأسها وكأنها تطرد كل ما يمكن أن يعكر صفو هذا اليوم، لن تسمح لذلك أن يحدث أبدًا.

وضعت حذاءها ذا الكعب العالي إلى جوار السرير، واتجهت بسرعة إلى مكتبها، فتحت حاسوبها الشخصي لترسل له عبر صفحتهما الخاصة على الفيس بوك، ( رامي صبري – برتاح).

ليرسل إليها مباشرة: "وحشتيني"

توردت وجنتاها وكأنها تراه وتسمع صوته وهو يقولها.

مرت الساعات سريعًا، ما إن ارتدت فستانها وهي تقف لمرآتها تصفف شعرها، حتى وجدت طَرقات على باب المنزل، توجهت للباب مسرعة.. أيعقل أن يكون يوسف؟!، لا أعتقد، فلم يتصل، أم أنه أراد أن يفاجئها؟!

فتحت الباب لتجد امرأة شقراء طويلة القامة، نظرت لها وهي تبتسم ابتسامة بريئة، وتعلقت عيناها بها، منتظرة منها أن تفصح عن سبب المجيء.

تفحصت صوفيا حنين من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، ثم طلبت منها أن تسمح لها بالدخول وأنها لن تأخذ من وقتها الكثير.

فتحت حنين الباب بشكلٍ أكبر وأشارت بيدها مرحِّبة بها لتدخل..

دخلت صوفيا وهي ترفع عينيها بكبر وتنظر في أرجاء المنزل.

أشارت حنين لها بالجلوس، وطلبت منها أن تنتظرها لثوانٍ لتقدم لها ضيافتها.

رفضت صوفيا بشدة، وقد بدا على ملامح وجهها بعض تعبيرات التأثُّر.

جلست حنين في توجس وقلق وهي تنظر لها، فقد بدأ قلبها يخبرها أن ثمة أمَّار ما سيحدث ليعكر صفو هذه الليلة.

بدأت صوفيا تعريفها بنفسها: أنا صوفيا، صديقة دكتور يوسف منذ خمس سنوات.

نزلت الجملة على قلب حنين كالصاعقة.. صديقته، ومنذ خمس سنوات.

لم يذكر شيئًا كهذا أو يلمح له حتى طوال الأشهر الفائتة التي كانا يتحادثان فيها لبعضهما في كل شيء.

ابتلعت ريقها في محاولةٍ للتماسك.

حينها نزلت صوفيا بالصفعة الثانية على قلب حنين، وهي تقول باكية إن يوسف تركها منذ عدة أشهر، وقد كانت تخفي عنه خبر حملها، لتجعل هذا الخبر هدية عيد ميلاده الخاصة بهما.

شعرت حنين أن الأرض تموج من تحت قدميها، وضربات قلبها تزداد حدة حتى أنها تكاد لا تسمع باقي كلام صوفيا بوضوحٍ.

أكملت صوفيا باكية أنها حاولت استرداد يوسف الفترة الماضية ولكنه اعترف لها أنه سيتزوج من فتاة عربية من بلده، وحينما أخبرها بذلك لم ترد أن تخبره أنها حامل كي لا تجبره على العوده إليها لهذا السبب فقط لأنها تحبه كما أحبها هو إذا لم يكن أكثر.

ثم أضافت نها ما ءن عرفت مكانها حتى أتت إليها لتطلب منها أن تبتعد عن يوسف ليعودا إلى حياتهما ويكملان الأسرة التي لطالما حلما بها، أو على الأقل أن تتيح لها المجال هذه الليلة، أن تخبره بهدية السماء لهما.

لم تقوَ حنين على النهوض من مكانها؛ فقد بدأت دموعها تجد مخرجها من عينيها دون توقف في استرسال، ولكن دون أي ملامح حزن ظاهرة على وجهها.

وقفت صوفيا متجهة صوب حنين وهي تربت على كتفيها، كوحش كاسر هيمن على فريسة بريئة ليوهمها أنها في أمان ثم ينقضّ عليها ليفترسها دون رحمة.

رفعت حنين رأسها ناظرة لصوفيا قائلة في ثبات تدّعيه: تقدري تكلميه النهارده وتحتفلي معاه بالخبر الجميل ده، مبروك، اعتبريني من اللحظة دي خارج حياة يوسف، وهو كمان مش في حياتي.

كانت تقول هذه الكلمات بقلب يعتصر ألمًا؛ فالجراح أصبحت دامية للحد القاتل.

بعينين تلمعان من الشر، ولكن حنين رأتهما تلمعان فرحًا، قالت: أشكرك، وهي تتحس بطنها بفرحٍ شديدٍ، البيبي كمان بيشكرك جدًّا إنك هترجّعيله والده.

أدارت ظهرها لحنين بابتسامةٍ شيطانية، لتخرج مسرعة؛ فقد كانت تريد أن ترحل قبل أن تصادف يوسف، الذي تعلم جيدًا أنه يتحرَّق لرؤياها ليشفي غليله منها، ومما صنعته معه، فما باله لو علم ما صنعت في حبيبته أيضًا!

أسندت حنين ذراعيها إلى الكرسي تشد عليه بكفيها وهي تنحني شاهقة ببكاء عميق: آآآهٍ يا يوسف...

سمعت رنت هاتفها في الداخل، خبأت وجهها بكفيها، لتبكي حظها وغباءها، الذي خيل لها يومًا أنه أحبَّها أو أنها ستكمل حياتها كأي فتاة طبيعية في عمرها.

بكت وحدتها ومرضها وخذلانها.

رنَّ الهاتف المرة تلو الأخرى وكأنها تراه يستجدي ردها، ولكن هيهات يا يوسف، فقد انتهى كل شيء.

دخلت غرفتها لتنظر لصندوق الهدايا ينتظرها، ما إن وقعت عيناها عليه حتى ارتمت إلى جواره على سريرها تبكي سذاجتها؛ فقد وقعت في شرك الحب مرة أخرى، لينتهي بها المطاف عند نفس النهاية.

لم تبدل فستانها، ارتدت معطفها، وحذاءً رياضيًّا، لم تكن تعي ما تفعل، كل ما تريده الآن أن تبتعد قبل أن يأتيها يوسف، لا تريد أن تراه أو حتى أن تسمع صوته.

ركبت سيارتها، وهي لا ترى الطريق، لم تعد تستطيع أن تفرق بين انهمار دموعها والمطر الذي أخذ يهطل بشدة، فالاثنان يحجبان رؤيتها.

أخذت وجهتها نحو منزل عبير، لم يتوقف صوت الهاتف، كانت كلما نظرت لترى اسمه، اعتصر قلبها في عدم تصديق.. أنت يا يوسف؟!

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى وجدت اسم عبير ظاهرًا على شاشة هاتفها، حينها فقط علمت أنه اتصل بها ليطمئن عليها، بصوتها المتهدج من كثرة البكاء، ردت على عبير فهي آخر صدر حنون بقي لها في هذه الدنيا.

– حنين انتي فين حبيبتي، يوسف قالب الدنيا عليكي، مش بتردي عليه ليه؟!

– ممكن ماتقوليش اسمه تاني، أنا جاية لك في الطريق.

– في إيه طيب يا حنين قلقتيني، طيب بتعيطي ليه، إيه اللي حصل؟!

– لما آجي أحكيلك.. وانفجرت باكية مرة أخرى.

– حنين، ممكن تركني مكان ما انتي، وأنا هخلي خالد يجيلك، ماتسوقيش بالحالة دي وفي الجو ده.

– أنا قربت خلاص، سلام.

اتصلت عبير بيوسف لتخبره، وتسأله عما حدث بينهما.

– آلو، عبير طمنيني أنا لسه مستني عند البيت عندها أهو الأنوار مفتوحة بخبَّط مش بتفتح، وبتصل مش بترد.

– حنين في طريقها ليَّ يا يوسف، إيه اللي حصل؟! دي منهارة.

– منهارة؟! احنا طول اليوم مع بعض بنضحك ونهزر، بعتلها حاجات على الفيس بوك وهي باعتة لي ومفيش أي حاجة.

– بقولك منهارة يا يوسف، ضحك إزاي يعني؟!

– أنا جاي يا عبير، سلام.

كان يقود سيارته بسرعة جنونية، ما بك يا حنين؟! ترى ماذا حدث؟! كانت سعيدة جدًّا اليوم!!

ما إن وصلت حنين حتى نزلت راكضة صوب منزل عبير، دقت الباب وما إن فتحت لها عبير حتى ارتمت في أحضانها تبكي وتنتفض، ضمتها عبير إليها بشدة قائلة: حنين إيه اللي حصل، في إيه؟! فهميني..

أسندتها وهي تشعر أنها ستتهاوى في أي لحظة، فقد كانت أطرافها باردة كقطع الثلج، وجهها غاب عنه الدم، شفاهها وجسدها يرتعشان.

بعد أن أجلستها، أمسكت بيديها تدفئهما بين كفيها، ثم نظرت لها وقالت: اهدي حبيبتي، احكيلي إيه اللي حصل.

وقعت عيناها على الحذاء الرياضي الذي ترتديه على معطف خاص بالمناسبات، أمسكت بالمعطف لتنظر أسفل منه.

– حنين انتي لابسة كوتش على فستان، إيه الي حصل؟ احكيلي بسرعة.

بصوت بُحَّ من كثرة البكاء، قالت: يوسف..

نظرت لها في ترقب: ماله عمل إيه ولا قالك إيه؟!

عنده "girlfriend" وحامل منه، وشهقت ببكاء عميق وهي تخبئ وجهها بين كفيها.

اتسعت عينا عبير في صدمة: حنين، انتي عرفتي منين، هو قالك؟

– هي اللي جت لي، النهارده عيد ميلاد يوسف، جت لي وهي بتعيط عشان تترجاني إني أبعد عنه عشان يرجعلها تاني لأنه من وقت ما عرفني هاجرها ومفهمها إنه بيحبني وهيتجوزني، وكانت مخبية عنه خبر حملها عشان يكون هديتها ليه يوم عيد ميلاده.

وضعت عبير يديها على رأسها في عدم تصديق، ما هذه الكارثة يا يوسف، كيف خبأت سرًّا كهذا، وكيف وأنا من أخبرتك سرها الذي عدت لتجعلها تعيشه بتفاصيله مرة أخرى، أي قدرٍ هذا يا الله..!

– حنين، ممكن تهدي تعالي اغسلي وشك بس واهدي انتي بترتعشي، مش عايزاكي تتعبي، أرجوكي.

قامت حنين معها وذكرياتهما تعاد أمام عينيها، ألهذا القدر أنت مخادع يا يوسف، كيف استطعت أن تقنعني بأن هذا الاهتمام والخوف عليَّ نابع من قلبك.

كيف استطعت أن تكذب عليَّ كل هذا الوقت، ألهذه الدرجة فقد قلبي قدرته على التمييز بين الصدق والخداع.

قطع تفكيرها، صوت جرس الباب، نظرت لعبير ترجوها وهي تبكي: لو هو مش عاوزه أشوفه. وانفجرت باكية مرة أخرى..

ربتت عبير على ظهرها مطمئنة إياها قائلة: براحتك حبيبتي، اللي هتقولي عليه هعمله، بس اهدي واطلعي أوضتك ارتاحي وأنا هتصرف.

ما إن رأتها تصعد السلم، حتى ذهبت عبير لتفتح الباب، لترى يوسف واقفًا أمامها وقد ابتل شعره وملابسه بشدة؛ فقد كانت تمطر بغزارةٍ في الخارج.

كانت عيناه تقطران قلقًا، وأخذ يدور بهما في أرجاء المنزل باحثًا عن حنين، أشارت له عبير بالدخول، وما إن دخل حتى التفت اليها قائلًا: حنين فين؟

– يوسف ممكن تقعد الأول؟

– عبير في إيه؟! أنا كده قلقت أكتر وربنا العالم أنا جاي إزاي، أرجوكي اتكلمي بسرعة، أنا عايز أشوف حنين.

– أنت عندك صديقة كندية؟

بهت وجه يوسف مصدومًا، واضطربت دقات قلبه في خوفٍ، أشاح بعينه التي كانت تنظر لها بثقة منذ لحظات، ثم قال في صوت خفيض: كان..

– يعني ايه كان؟

– يعني كنت على علاقة بيها فترة، بس احنا انفصلنا خلاص.

– لأ مش خلاص، لأنها كانت عند حنين من ساعتين، وقالتلها إنها السبب في بعدكم عن بعض.

– لأ لأ، مش حنين السبب، أنا من قبل ما أقابل حنين وأنا مقرر إني أنهي العلاقة دي.

– تنهي العلاقة بعد ما هتكون أم لابنك أو بنتك؟!

ردَّ باندهاش: مش فاهم..!

– يعني صاحبتك حامل، وكانت هتفاجأك بالخبر النهارده ومعتبراه هدية عيد ميلادك، كل سنه وأنت طيب صحيح.

انتفض يوسف واقفًا في حزم: أنا عايز أشوف حنين، عاوز أكلمها من فضلك.

وبإصرار وحزم مقابلين ردت عليه عبير: وهي مش عايزة تشوفك يا يوسف، شكرًا على الأمانة اللي استأمناك عليها، هستأذنك تشوف حياتك وتبعد عنها من فضلك.

رفع صوته مناديًا إياها: حنين، حنين، عايز أكلمك، أرجوكي.

وصل لها صوته، أخذت تضع يديها على أذنها كي لا تسمعه، ولكن قلبها يسمعه وبوضوح، اسمها الذي يتردد على لسانه بإصرار مناديًا إياها، لم تتمالك أعصابها واندفعت تفتح باب غرفتها.

ما إن سمعا صوت فتح باب الغرفة من الأعلى حتى تعلقت عينا يوسف وعبير نحو الدور العلوي، وجداها تنزل درجتين من السلم توقفت ولم تكمل النزول.

نظر يوسف ليرى حنين وهي ترتدي فستانها الجميل وتنتعل في قدميها حذاءها الرياضي، وملامحها الذابلة من كثرة البكاء وشعرها الذي انسدل مبتلًا على وجهها، أدرك حينها مقدار الكارثة التي حلت على علاقتهما.

– حنين، أنا..

قالت بصوت مبحوح: كذاب.. أنت كذاب.

نظر لها بشفقةٍ وهو يتقدم نحوها مادًا يده إليها: تعالي طيب هنتكلم.

– خليك مكانك، لا تكلمني ولا أكلمك، خلاص لحد هنا، أنا مش عايزة أشوفك ولا أسمعك.

كانت تسبق كل كلمة تنطقها دمعة تنزل بحرقة من نار فؤادها المشتعل.

– حنين عشان خاطري، اسمعي بعدين احكمي عليَّ بالي يريحك،

**– مش عايزة أسمع حاجة..**

**– أنا ماقولتلهاش حاجة عنك أقسملك على كده.**

**– ولا قولتلي عنها حاجة، كل سنة وأنت طيب يا يوسف وألف مبروك على البيبي، وطمنها إننا مش هنتجوز، لأن أنت معرضتش عليَّ الجواز أساسًا زي ما أنت فهمتها، ولو عرضت عليَّ أنا برفضك لأني مابتجوزش كدابين..**

* * *

# (23)

نزلت عليه كلماتها كصاعقة من السماء، نظرت لهما عبير وهي فاغرة فاها، فحالتهما يرثى لها وما آل إليه الموقف ينذر أنه لا أمل لهذه العلاقة أن تعود كما كانت يومًا.

ظلَّ واقفًا ينظر إليها، كمن ينتظر رصاصة الرحمة لتخلصه من العذاب الذي يمزقه، فها هو يرى أحلامه تتهاوى أمام عينيه، وهو لا حول له ولاقوة، لم يستطع حتى الدفاع عن نفسه.

أدارت له ظهرها وعادت أدراجها، ليسمع صوت باب غرفتها يغلق بشدة.

نظر لعبير بانكسار، وأشار للدور العلوي، وبصوت مكسور: خدي بالك منها.

وقادته خطواته المثقلة إلى باب المنزل، لتراه عبير يركب سيارته مبتعدًا بها.

في اللحظة التي سمعت فيها حنين صوت سيارته تبتعد، خبأت وجهها في وسادة سريرها منتحبة.

قرعات خفيفة على باب الغرفة، دخلت عبير لتحتضنها: بس حبيبتي، مشي، اهدي عشان خاطري.

**نظرت لها حنين في عدم تصديق: ده يوسف، يوسف يا عبير، حتى هو طلع زيهم، كذاب، وأنا صدقته، صدقته وكذبت نفسي.**

**– حنين، هما الخسرانين حبيبتي، صدقيني، انتي خساره في أي حد مايعرفش قيمتك، انتي حاجة غاليه مش أي حد يقدرها.**

**أخذت رأسها لتسنده على صدرها.**

**أتاها صوت حنين وهي تحدث نفسها: أيوة أنا اللي غلطانة، أنا اللي بديهم فرصة يعملوا فيَّ كده.**

**– يا قلبي أنا، هوني على نفسك، أنا معاكي.**

**نزلت عبير لقدمي حنين تخلع عنهما الحذاء، ورفعت ساقيها على السرير، وقامت حنين بضم ركبتيها إلى صدرها وكأنها تحاول تعويض نفسها الأمان الذي فقدت.**

**سحبت عبير الغطاء عليها، تدفئها، أخذت تمرر يديها على شعرها، ولسان حالها: اكتملت مأساتك صغيرتي.**

**وهي تتجه نحو إضاءة الغرفة لتطفئها، قالت عبير: حاولي تنامي، انتي قولتي اللي نفسك فيه خلاص، وكويس إنك خرَجتي الي جواكي، أنا هقعد جنبك هنا أهو، قالت كلماتها الأخيرة وهي تسحب كرسيًّا لتجلس أمامها لتراقبها، فهي تخشى تعب قلبها لدرجة الموت.**

**أوهمت عبير أنها استسلمت للنوم، ولكنها أخذت تفكر وتتذكر.**

**لم تخجل يومًا من إظهار ضعفها وحبها له في كل وقت وفي أي مناسبة، رغم أنه لم يظهر لها حبه بطريقة مباشرة أبدًا.**

**كانت تستمد سعادتها من بعض كلمات قليلة منه لتشعر بأهميتها في حياته.**

تذكرت يوم أهدى لها أغنية "قولوا لها أنني، لازلت أهواها لمحمد عبد الرحمن"، أخذت تستمع للأغنية المرة تلو المرة، وتبكي فرحة وتساؤلًا هل يعنيها فعلًا؟ هل أحبني يومًا؟

كانت تستمع للأغنية بصوته هو، زلزال يهز قلبها وكيانها، انتظرت أن يحادثها طوال الليل، ولكنه لم يفعل، حتى غلبها النعاس وهي تستمع للأغنيه.

في الصباح وكعادتها، أرسلت له تحية الصباح متمنية" له يومًا سعيدًا مع دعوة من قلبها بأن يوفقه الله ويسعده ويحفظه في كل خطواته، ردَّ عليها باقتضاب: "صباح النور"

انتظرت أن يسألها أو أن يلمح لها على الأغنية، كلماتها، ألحانها، لم يفعل..

أخذت هي المبادرة؛ فقد كانت تمتلك من الجرأة القدر الكافي لتعبّر عن مشاعرها بوضوح سواء كانت فرحة أو حزينة.

وقالت: على فكرة الأغنية اللي أنت بعتهالي خلتني عيطت كتيييير قووي امبارح!!

ردَّ بمنتهى الهدوء: ليه كده؟

صمتت للحظة وكأنها تراه أمامها يخبئ ابتسامة ما، لا تعرف هل هي ابتسامة كبرياء عن الاعتراف، أم ابتسامة سخرية من مشاعرها التي كان أحيانًا كثيرة يتهمها أنها مبالغ فيها.

قالت وصوتها يشوبه الخجل: أنت مش عارف أنت بعت إيه؟

قال: عادي أغنية حلوة عجبتني بعتهالك، أنا عارف إن ذوقي في الأغاني بيعجبك.

أخذت نفسًا عميقًا وكأنها تسحب به دموعها التي طفت في عينيها إلى داخلها مرةً أخرى، أكملت حديثها معه بصوت مرح وكلام رقيق، لكي لا تشعره بأنها تستجدي منه اعترافًا.

**بعد أن أنهت المكالمة.**

**أخذت توبخ قلبها الذي بات باكيًا من فرحته ليلة أمس.**

**قلت لك لا يقصد بها شيئًا، وأصررت أنك تشعر بصدق مشاعره هذه المرة، تعبت منك ومن تشبثك واقتناعك أنه يحبني، ما رأيك في طعم المرارة والخجل الذي تشعر به الآن؟!**

**لم يرد عليها قلبها، فقد خذلها هذه المرة أيضًا كما خذلها حبيبها مراتٍ ومراتٍ، كم تمنى قلبها أن يكون له صوت يسمع ليذهب له ويقول، كيف لك أن تقاوم هذا الكم من الحب والحنان من هذه المسكينة، كيف تظل صامدًا أمام نظرات عينيها، كيف لا تذوب من شهد كلماتها، يداها اللتان أمسكتا بيديك وأخذتا تتحسسهما بنعومة طفلة تستجدي حسنة تسد بها جوع قلبها وعطش روحها لك كيف؟!**

**وبكبرياء المهزوم، رفعت رأسها، ورسمت ابتسامتها الساحرة الكاذبة، على شفتيها لتظهر غمازاتها الفاتنة، خطوة، خطوة، وذابت وسط الحشود!!**

**امتزج الواقع بالأحلام؛ فلم تعد تستطيع أن تفرّق بينهما، تاهت من نفسها للدرجة التي لم تعد تميز اليقظة من النوم.**

**تاهت حنين بلا يوسف، وعادت الغربة تسكن روح يوسف بلا دفء حنين.**

**حاول كلٌّ منهما أن يتدارك أحزانه من فقد الآخر، أرواحهما فارغة، حياتهما رتيبة مملة، خالية من المتعة.**

**لم يحاول يوسف الاقتراب من حنين أو الحديث معها بأي صورةٍ، لأنه يعلم أنه لا يحمل عذرًا مقبولًا لما فعل.**

**كان يريد أن يعثر على صوفيا، لم يعد هدفه أن يقتص لنفسه منها بالقدر الذي كان يريد أن يرد لحنين جزءًا من كرامتها التي شعرأنه كان سببًا في انتقاصها، وحاشاها فقد كانت شامخة دائمًا في وجدانه، كانت حاضرة دائمًا في ذاكرته وعقله، شامخة بكل كبرياء في قلبه بقلاع وقصور الحب التي بنتها في شرايينه، فلم تكن لأي واحدة غيرها القدرة على منافستها والصمود في مواجهتها في ساحة الحب في أعماق فؤاده، فليس هناك أدنى وجه للمقارنة بينها وبين قرينات جنسها الناعم، كانت هذه المواجهات تحدث بداخله فقط، فلا هي ولا منافساتها على حبه يعلمن عنها شيئًا، وحده كان الحكم، غير المحايد المنحاز لصفها دائمًا.**

**بينما كان واقفًا في شرفة غرفته، أتاه صوت رامي صبري بأغنية "غمضت عيني"**

**اشتاق لها كثيرًا، دخل الغرفة وأخذ يمسك بهداياها له وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه لا إراديًّا، تذكر التماعة عينيها عندما كانت تنظر له وهو يثني فرحًا على ذوقها الرقيق والراقي في اختيارها للهدايا، وردها عليه بدلال طفولي وابتسامة شقية، قائلة:"أكيد ذوقي حلو، مش اخترتك".**

**ما زالت أول هدية له منها ترافقه، الميدالية الفضية المزيَّنة باسم (الله)، لم تفارق يده أبدًا، وكأنها هي التي بين يديه.**

**كان من حين لآخر ينظر في هاتفه وبريده الإلكتروني، علها تكون قد تركت له شيئًا يطمئنه عليها، أو تعطي له أملًا بفتح نافذة صغيرة يستطيع أن يطل عليها من خلالها مجددًا.**

**فتح حاسوبه، وأخذ يبحث عن صفحتها على الفيس بوك، تلك الصفحة الخاصة بهما فقط، لا أحد غيره صديقها، لا تكتب إلا له هو، هو المقصود بكل كلمة تكتبها وكل أغنية، هو وفقط.**

آخر ما كتبت كان منذ دقائق، وكأنها تعلم أنه يفكر فيها الآن، وتقول له وأنا أيضًا، وجدها وقد كتبت:

"إذا حن قلبك يوم واشتاق لذكرى من ذكرياتي معاك..

تعالى هنا وافتح وقلب في الصور واقرا الحروف، هتلاقي صوتي ونبض قلبي،
بين السطور بين الحروف متخبيين..
هتلاقي عمر من الحنين والحنان مستنيين..
نظرة عيونك، لمسة إيديك..
قلبي وعيوني، عايشين..
على حلم يدوقوا في حضنك طعم السعادة
اللي اتحرموا منها سنين."

كان ضائعًا حقًّا بدونها، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، حزن كئيب يخيم على يومه وقلبه، اشتاق لضحكتها، للمستها، لحنانها وأمانها، لدلالها واهتمامها، اشتاق لكل تفاصيلها، عطرها المطبوع على كل ما تركت له من هدايا، حتى إنه طبعَ على مكانها في سيارته التي لطالما نامت كطفلةٍ إلى جواره، في أمان، أخبرته يومًا أنها لم تشعر به إلا معه.

ضاعت الثقة وضاعت حنين، كيف السبيل لاستردادك حبيبتي؟!

كان يمر من جوار منزلها وينظر على نافذتها وشرفتها التي تشاركا فيها أسعد اللحظات، والضحكات، ولكنه لم يجرؤ يومًا أن يصعد إليها، كان يكتفي بالاطمئنان عليها، من وجود سيارتها وأنوار غرفتها المتقدة.

قال محدثًا نفسه، كانت تراني جالسًا أمامها في كبرياء وثقة، لكنها لم تكن تعلم، أن قلبي يصير عصفورًا ضعيفًا، يذوب في حنان وأمان كفيها حين تلمسني.

لم يكن يعلم أنها كانت تجلس في شرفتها كثيرًا، تفكر فيه، تنتظر منه أن يأتي ويخبرها أن كل ما حدث كان كابوسًا لا يمتّ للواقع بصلة، كانت هي الأخرى تنظر من شرفتها إلى البحيرة لتتذكر لقاءاتهما، كانت تحن له كثيرًا، اشتاقت لأحضانه الدافئة التي كانت تحتويها في لحظات ضعفها، اشتاقت لصوته.

كانت تنتظره وكلها استعداد أن تغفر له، ولكن تريد أن تسمع الحقيقة منه، ولم خبأها عليها منذ أن عرفها.

طالت أيام اختفائك وطال صمتك يا يوسف، كلما ازدادت الأيام يومًا آخر، تيقنت أنها تفقده إلى الأبد، وأنه عاد لأحضان حبيبته، وهي ليست فقط حبيبته بل هي أم أبنائه الذين ستنجبهم له، وتكمل ما ينقصها، فحتى وإن عادت له كحبيبة فلن تستطيع في يوم أن تكون أمًّا لأبنائه.

حتى إنه لم يحادث عبير أو خالد، اللذين بدورهما قررا قطع علاقتهما به، لأنه خدعهما أيضًا، بالرغم من أنهم أخبراه بسرها، وهو أكثر من يعلم بحالتها كطبيب قبل أن يكون حبيبًا.

فكرت كثيرًا، فغلبها النعاس، رأت في منامها من يقبّل جفنها، فاستيقظت.. من هو؟! أنت هو، نعم، فقلبي لا يخطئك أبدًا.

أشعر بصمتك، أراك وأنا معصوبة العينين، أحس بوجودك ولو بيننا بُعد الأرض عن السماوات ولو فرقنا ملايين البشر والمسافات.

لكنها الأقدار التي شاءت، ورفض قلبي أن ينصاع لمشيئتها..

خضعت أنا ولم يخضع، تعبت ولم ييأس، استسلمت ولم يهزم.

قال لي: سأكون له، رغم كل التحديات.

حكم علي بإعدام حبي، أمام قلبي.

ماتت كل أجزائي وأبى القلب الرحيل، تشبث بحبك، وقال: هو سر حياتي، في عينيه عنواني، في كفيه أوطاني، بين ذراعيه أماني، حينما أتوقف عن حبه، فانسجي لي أكفاني.

استيقظت على اتصال من عبير.

– الجميل عامل إيه؟

– تمام، الحمد لله.

– مش حابة تخرجي؟

– فين؟!

– الشركة عند خالد عاملين حفلة، تعالي معايا، هو هيكون مشغول أكيد مع زمايله، وأنا ما أعرفش حد، نبقى مع بعض، إيه رأيك؟

– طيب أفوق كده، وأفكر وأقولك رأيي، تمام؟

– تمام، بس عشان خاطري وافقي.

ضحكت حنين قائلة: هحاول أقنع نفسي، سلام.

تمطت حنين في سريرها كقطة وديعة، ثم نظرت صوب صندوق الهدايا القابع في ركن غرفتها، الذي حوى ما تمنت أن يكون بين يدي يوسف، من هدايا، وكتاباتٍ خطتها له بيديها.

لابد أن تنسيه كما نسيك يا حنين، خاطبت نفسها بتلك الكلمات.

أمسكت بهاتفها مرة أخرى، اتصلت بعبير تخبرها بموافقتها.

تأنقت حنين ببساطتها المعهودة التي تجعلها محط الأنظار حيثما حلت، توجهوا إلى الحفلة، وها هو خالد كما توقعت عبير لم يجالسها دقيقة واحدة، جلست حنين إلى عبير يتبادلان الحديث، وإذ به خالد يطلب من حنين أن تأتي لتتحدث مع أحد مديريه، ليستعين برأيها وخبرتها في مجال الدعاية والإعلان.

لم تكن أيقونة جميلة فقط، بل كانت تتقن عملها لحد التمكن، والتميز.

انتهت ساعات الحفل وعادت لمنزلها سعيدة إلى حدٍّ كبير لأنها استطاعت أن تساعد خالد، ولو بشيءٍ بسيط، فقد كان دائمًا لها نعم الأخ والسند.

في مساء اليوم التالي، وأثناء حديثها مع عبير، وجدتها تقول لها: خدي خالد عايزك في موضوع.

– إزيك يا جميل؟

– تمام الحمد لله، أنت إيه أخبارك وأخبار الشغل معاك؟

– كله تمام الحمد لله، بصي يا حنين في موضوع عايز أتكلم معاكي فيه، بس طولي بالك كده معايا، كنت عايز عبير هي اللي تكلمك، بس هي قالتلي إنك ممكن ماتسمعيلهاش.

فطنت حنين لما يشير إليه كلام خالد، ولكن عليها الاستماع.

– اتفضل يا خالد.

– فاكره امبارح لما اتكلمنا مع الناس اللي كنا قاعدين معاهم في الشغل.

– أها.

– واحد من زمايلي، سألني عنك النهارده، وحابب لو تقعدوا تتكلموا مع بعض، عندك مانع؟

**صمتت حنين، لتتدارك الغصة التي شعرت بها في قلبها.**

**– حنين أنا عارف إنك مش حابة، بس ده دوري كأخ إني أنصحك، الحياة لازم هتستمر، وماينفعش تعيشي لوحدك كده، انتي مش هتخسري حاجة، اقعدي اتكلمي معاه، كأنه يا ستي لقاء عمل.**

**– خالد، أنت عارف كويس مكانتك عندي إيه، صح؟!**

**– صح، طبعًا مش محتاجة كلام..**

**– بصراحة أنا مش حابة أتعامل مع حد الفترة دي خالص، خصوصًا إن لو الطرف التاني كان عنده استعداد وقبول للارتباط، وقتها أنا هلاقي نفسي محتاجة أدّي مبررات للرفض، أو إني لو قبلت وده حاليًا شبه مستحيل، ألاقي نفسي ملزمة أسرد عليه ظروفي الصحية وتبعاتها، واللي في الآخر يا هيقبلها ويعمل زي ما عمل يوسف واللي قبله، أو إنه هيرفض وفي الحالتين أنا قلبي مجروح بما فيه الكفاية، فهمتني؟!**

**تنهد خالد بألم قائلًا: فاهمك أكيد، لكن أنا قُلت يمكن، الناس كلها مش زي بعض.**

**ضحكت حنين بسخرية ممزوجة بألم، قائلة: الظاهر إنهم معايا أنا زي بعض.**

**– يعني أقوله إيه؟**

**– شوف أنت الرد المناسب يا خالد.**

**أغلقت الهاتف، وأخذت تفكر، شعرت أنها أحرجت خالد، وستسبب له إحراجًا مع أحد زملائه، اتخذت قرارها أنها ستقابله وتبدأ الحديث معه عن قلبها المريض والنهاية الحتمية للمقابلة معروفة، ستتحملها ولكن لترفع عن خالد الحرج.**

**أعادت الاتصال بخالد وأخبرته أن يحدد موعدًا لها معه.**

تهللت أسارير خالد وعبير كثيرًا ظنًا منهما أنها بدأت تفتح حياتها لحدثٍ جديد، ولكنهما لم يفطنا لما كانت تفكر به هي.

كان يوسف يقف عند أسوار البحيرة سارحًا؛ فقد أصبح لزامًا عليه اتخاذ قرارات مصيرية قد تغيّر مسار حياته التي اعتادها منذ سنوات.

ما إن أدار يوسف ظهره متجهًا لسيارته، حتى لمح من تشبه حبيبته يفتح لها شابٌ باب سيارته لتنزل منها، وتتأكد عيناه أنها حنين، انتابه شعوران متناقضان؛ فقد أراد أن يركض عليها ويحتضنها من شدة شوقه لها وفرحته برؤيتها، وأن يركض إليه ليلكمه، من شدة النار التي اتقدت في صدره عندما رآه يسير إلى جوارها، يحادثها وهي تبتسم.

لم يتمالك أعصابه، وجد نفسه يناديها: حنين..

التفتت تجاه الصوت لترى يوسف وقد اتقدت عيناه، وظهرت حركة فكه التي تعلم جيدًا كمّ الغضب الذي يكمن وراءها.

تعلقت عيناهما ببعضهما للحظات، انتفض قلباهما خلالها بشدة، اشتاقا لبعضهما كثيرًا.

وسط هذه المشاعر المضطربة، وجدت حنين نفسها تكمل سيرها متجهة إلى طاولة، ليسحب لها رفيقها كرسيًا لتجلس، وقف يوسف ناظرًا صوبها، أشاحت حنين بوجهها عنه، أدار يوسف ظهره لها متجهًا صوب سيارته، كبح جموح مشاعره الغاضبة الغيورة المشتاقة، ليدير سيارته وينطلق مبتعدًا قبل أن يقدم على تصرف يقوده للندم، الذي أصبح رفيقًا ملازمًا له.

عاد لمنزله مسرعًا وقد اتخذ قراره بالرحيل، لم يستطع أن يثبت براءته في القضية المنسوبة إليه، علاقات مضطربة في العمل قد تصل لاستقالته في أي لحظة..

حتى الحب الذي كان قد لملم شتاته، خسره بلا رجعة، عادت صورة حنين تظهر أمامه، وهذا الغريب يلمس يديها لينزلها من سيارته، أستكونين لغيري يا حنين؟!

يوسف استيقظ من وهمك فلطالما كنت تدخل كهفك المظلم مبتعدًا عنها، وكأنك تهرب منها، كان عقلك يكره ضعفك أمامها، رغم أن ضعفها في حبك أكبر.

كنت تحب حبها لك، تحب صوتها، براءتها، عفويتها الطفولية، تحب تفانيها في تدليلك وإشعارك أنها لك وليست لأي رجل آخر حتى وإن ركعوا تحت قدميها.

أرادها أن تبقى في ظلمة قلبه وخياله، لا يريد أن يسلط عليها أحد أنواره لكي لا يراها غيره.

عقله يمنعه أن يعترف أن حبها يمكن أن يقسَّم على ألف رجل، ليكفي أن يشعر كل واحد منهم أنه شهريار هذا الزمان.

لماذا يبتعد؟!

هل كان يهرب منها لكي لا يزداد تعلُّقًا بها؟!

هل كان عاجزًا أن يبادلها هذا القدر من الحب الذي منحته وما زالت تمنحه إياه؟!

أغمض عينيه، غفى، ليراها جالسة على حافة سريره تنظر إليه بحنان، تمرر يديها بين خصلات شعره في هدوء، نظر إليها، رآها تبتسم وقد هربت دمعه من عينها، مدَّ يده ليمسحها، وقبل أن تلمس يده وجهها، تعالى صوت هاتفه، لينتفض جالسًا، ودقات قلبه تكاد لا تسمعه كل ما حوله.

ضم ساقيه الى صدره بذراعيه ووضع رأسه على ركبتيه وأطلق زفره ملؤها حرارة نار حيرة وغيرة اعتمرت في قلبه،

لم تستطع أن تحافظ عليها لك ولا تستطيع أن تراها لغيرك!! عليك أن تطلق سراحها فهي أسيرتك، إما أن تحبها، وتحارب لأجلها أو أن تتركها تطلق عليك رصاصة الرحمة لتخلصك وتخلص نفسها من الدوران في فلك حبك التي كانت تنتظر أن تشرق شمسه في قلبك يوما" ما.

قام إلى حاسوبه، فتح شاشة المحادثة بينهما، وأرسل لها، "حنين، عايز أقابلك"

كانت حنين تجلس بجسدها أمام زميل خالد، ولكن عقلها وقلبها في مكان آخر، كانت تتوق لإنهاء هذه المقابلة بأي شكل وسيطر عليها الندم الشديد على قبول الفكرة من البداية.

ما إن وصلت منزلها، حتى اتصلت بعبير وهي ترتجف لتخبرها ما حدث.

– حنين، الموضوع ده انتهى خلاص، ماتحاوليش تعملي أي تصرف تندمي عليه بعد كده، أرجوكي.

كانت حنين صامتة تستمع لكلمات عبير الصارمة، ولكن وحده قلبها هو من يتحدث، فقد رأته اليوم ذابلًا مهمومًا وبشدة.. تعرفه جيدًا، تعرف السعادة في عينيه، في صوته، ما الذي حل به من بعد فراقهما؟! هل عاد لصديقته؟! بالتأكيد..

– حنين، انتي معايا؟!

– آه آه، سمعاكي.

– حبيبتي أنا قولتلك رأيي، ياريت تفكري بعقلك أكتر، اتفقنا؟!

– هحاول يا عبير، هحاول.

حاولت عبير تغيير مجرى الحوار وتغيير مزاج حنين المضطرب قائلة في حماس: صحيح إيه أخبار الموضوعِ الجديد، خالد بيشكر فيه جدًّا، احكيلي قالك إيه وقولتيلوا إيه؟

– حاضر هحكيلك، بس ممكن دلوقتي أخلص شوية شغل لازم أخلصهم قبل بكرة؟

– ماشي يا سكر، هستنى اتصالك، سلام.

أنهت المكالمة، لم تكن تريد أن تروي شيئًا؛ فهي ليست في مزاج مناسب لذلك، إضافة إلى أنها لا تتذكر شيئًا من المقابلة، وتعتقد بشكل كبير أنها تركت انطباعًا غير محبب لديه.

قاومت رغبتها في الاطمئنان على يوسف، بشكلٍ مُلحّ.

قامت إلى حاسوبها، لتكمل عملها، لتجد رسالته التي بعث بها إليها: "حنين، عايز أقابلك.."

قفز قلبها من مكانه، أخذت الأفكار تدور في رأسها، بين ردٍ بالرفض وبين التجاهل وبين غلق الحساب أو حظره.

كان يوسف جالسًا أمام حاسوبه ناظرًا لرسالته، منتظرًا الرد عليها بفارغ الصبر.

لم يأته منها أي رد حتى الصباح.. ذهب لعمله مثقلًا، وقد أخذ قراره ببيع منزله وسيارته ليسدد ما عليه ويتخلص من القضية الملصقة به ظلمًا، وقد قرر الانتقال إلى أي دولة أخرى، بعد أن يسافر لمصر لعدة أسابيع، فقد مرت أعوام ولم تطأ قدمه أرض وطنه.

دخل مكتبه وبدأ بكتابة صيغة استقالته، أثناء كتابته لها سمع صوت وصول رسالة جديدة ردًّا على رسالته.

ترك الورقه والقلم جانبًا، فتح رسالتها ليجدها وقد كتبت له:

"سامحني على اللي هعمله"

وضع أصابعه على أزرار الأحرف ليكتب لها: "هتعملي إيه،؟!" وضغط زر الإرسال، ليجد رسالة مفادُها أنه لا يمكن إتمام المحادثة، فقد قامت بحظره.

أوصدت في وجهه آخر باب كان يرجو أن يكون سببًا في عودتها لحياته.

وضع وجهه بين كفيه، زافرًا بقوة، ثم عاد ليمسك بالقلم ليكمل ما كان يخطه منذ دقائق.

توجه إلى مديره واضعًا استقالته تحت تصرفه، راجيًا الله أن يؤشر عليها بالموافقة.

ما إن تناهى إلى مسامع صوفيا ما ينتوي يوسف فعله، حتى تأكدت أن خطتها تمشي وفق ما أرادت تمامًا، وستعود للظهور في حياته في الوقت المناسب.

جلست حنين تبكي ما فعلت، ولكنها تعلم أن عودتها لحياة يوسف، ستعود عليها بالألم الكثير؛ فمنذ البداية كان يؤكد لها أن علاقتهما صداقة ليس إلا، ظروفها الصحية، كذبه عليها بخصوص صديقته وابنه الذي تحمله.

يستحيل أن يكون لها في قلب وحياة يوسف مكان، استكان قلبها، ورضخ لأمر واقع فرضته عليه الظروف مجتمعة في تحدٍّ غريبٍ.

بدأ يوسف بالفعل في إجراءات بيع سيارته ومنزله، بيع المنزل أولًا واستأجر غرفة صغيرة تفي بغرض النوم ليس إلا، فلم تعد متع الحياة ورفاهيتها من اهتماماته منذ غابت عنه حنين فقد كانت هي أقصى سعادة عاشها، وحرمته الأقدار منها.

بدأ بتسديد ما عليه سداده، أرسل لحنين رسالة على بريدها الإلكتروني، كتب لها فيه، اعتذارًا.

حبيبتي حنين..

عارف إن قلبك زعلان مني، زي ما أنا عارف ومتأكد إنك بتحبيني، الكلام ده كان نفسي أقولهولك وانتي قدامي وباصص في عنيكي، وإيدك في إيدي، عشان انتي الوحيدة اللي بتعرفي تقري اللي جوايا من عينيَّ ولمسة إيديَّ..

حنين أنا حبيتك بجد، عارف إنك مش هتصدقيني، بس هي دي الحقيقة.

آسف جدًّا على اللي حصلك بسببي، ومعنديش مبررات أقدر أقدمهالك، غير إني كنت خايف إني لو قولتلك على علاقتي بيها، إنك تقرري تبعدي عني.

بالرغم من إن علاقتنا كانت شبه منتهية قبل ما تظهري في حياتي من البداية، ومش عارف هي عرفتك وعرفت مكانك إزاي، أنا في ورطة كبيرة بسببها، يعني هي أذتني قبل ما تأذيكي، وأذتني فيكي، عشان أكيد عرفت انتي غالية عندي أد إيه.

مش قادر أوصفلك أنا اشتقتلك إزاي، نفسي أسمع صوتك وأتكلم معاكي، ونرجع نخرج مع بعض ونضحك من قلوبنا، عارف إنها أمنيات بس كان نفسي تتحقق.

انتي أطهر وأجمل حاجة حصلتلي في حياتي، وعمري ما هقدر أوفي حقك بكلمات، أتمنى تقابلي الإنسان اللي يستاهلك ويستاهل حبك، وقلبك النقي، اللي اتمنيت في يوم مفيش حد يكون في غيري.

حنين، يوسف لسه موجود، وبيحبك وبيتمنى تسامحيه.

ذيَّل رسالته بجملة: "المسامح مش كريم، المسامح، حنين"

أرسل الرسالة وهو على يقين أنها ستضل الطريق إلى قلبها، ولكن عليه أن يحاول، فهي تستحق عناء المحاولات وإن باءت بالفشل.

أمسكت بفُرَش رسمها، وأخذت ترسم، وهي تستمع إلى أغنية ( وائل جسار– للأسف بنحب بعض).

تساقطت دموعها؛ فلا تعلم برغم كل ما حدث كيف كانت تحن له وتشتاقه، وتبتسم حين تتذكر ابتسامته وضحكاته وغيرته عليها، تتذكر لحظات خوفه وقلقه عليها، هل يتقن بشر الخداع لهذه الدرجة؟!

تركت فراشي الرسم جانبًا واستلقت على الأرض ناظرة صوب النافذة، بالكاد استطاعت تدارك آثار الصدمة التي زلزلت كيانها.

أخذت نفسًا عميقًا، واستجمعت قواها التي خارت أمام حصون قلبه المنيعة.. كفاك يا قلبي مثابرة ومكابرة؛ فقد تعبت الانتظار.

كانت تراقب السحاب الكثيف، كم تشبه السحاب حبيبي، فبرغم جماله وبهائه وعليائه، إلا أنه يحجب نور الشمس.. مثلك تمامًا، فقد حجبت عن قلبي حب غيرك، حجبت عن عيني رؤية السعادة في أي مكان يخلو منك، حجبت عن عيني النوم في كل ليلة لا يأتيني فيها صوتك، حجبت عني حبك وقربك.

لكن الآن، قد آن الأوان أن تنقشع غيومك عن قلبي وعن عيني.

نهضت لترسل له رساله، تعلم أنه لن يرد كعادته، ولكن هذه المرة لن تدع نفسها تصل للمرحلة التي تحدث فيها نفسها بصوت عالٍ وكأنه أمامها لكي لا تتحول مشاعرها لكرهه.

دموعها تنهمر وأنفاسها تتصاعد، تشعر أن روحها تنتزع من صدرها، كمن ينزع سيفًا محمومًا" زرع في قلبه.

استجمعت قواها وكتبت:

"طول الفترة إلي فاتت، كنت تقدر تكلمني وتشوفني وقت ما تحب، أو تحس إنك محتاجلي، وحرمتني من أبسط حق ليَّ عليك، إني أعرف إن في واحدة في حياتك ومش بس كده دي أم لأبنك، مافكرتش ممكن يحصلي إيه لما أعرف، أنا لو كنت عرفت منك كان أهون عليَّ مليون مرة من الصدمة اللي أنا اتصدمتها فيك، عارف أنا كان ممكن أموت لو عرفت منك، بس فعلًا موّتني، ألف مرة لما عرفت من حد غيرك.

كل مرة كنت بتقرب مني فيها، كنت حاسة بحبك وأنا كنت بوهمك إني عايشة ومستحملة إننا نكون مجرد أصدقاء، عشان ما أخليش قلبك يتوجع أو يحس بذنب إنك علقتني بيك أو تحس إنك ملزم بأي خطوة رسمية تجاهي.

أنت أخدت قرارك بالبعد ومش مهم البعد ده هيعمل فيَّ إيه..

بعد، قرب، كل مرة القرار في إيدك إنت..

لكن المرة دي اختلاف، مش هخاف.

خدت القرار ومش هكون تاني في حياتك، حتى لو بعت رسائل بالآلاف، حتى لو مريت بسنين عجاف، حتى لو قلبي بكى وتوسل إني أديلك الفرصة الأخيرة ترسى بي وبيه على الضفاف.

ضغطت زر الإرسال، وما هي إلا لحظات ليظهر أمامها، رسالته التي أرسل.

كانا يكتبان لبعضهما في نفس اللحظات، وأرسلا رسالتيهما بنفس ضغطة الزر.

كان يريدها وتريده، ولكن كان للقدر رأيًا آخر..

فتح رسالتها مسرعًا، كان قلبه يطرق أبواب رأسه من شدة الفرح لرؤية اسمها فقط، كان يضع أملًا كبيرًا على تلك الرسالة، ولكن سرعان ما خاب ظنه، وتكسر الأمل وسط قسوة كلماتها.

بينما كانت هي تقرأ كلماته وكأنها تسمعها بصوته، وجدت نفسها تريد أن تراه في التو واللحظة، تريد أن تسمع له، لا أن تقرأ مجرد كلمات.

قررت إعطاءه الفرصة، بينما اتخذ قراره بالابتعاد..!

في طريقه للمستشفى، حدَّث نفسه: حتى إذا لم تقبل الاستقالة، سأسافر، يجب أن أبتعد عن كل ما اعتدت عليه، يجب أن أعيد حساباتي مع نفسي، نفسي التي ما إن وجدتها حتى رحلت عني.

كما توقع فعلًا: لم تُقبَل استقالته، فقد وقَّع على استقالته بالرفض لاحتياج المستشفى لكفاءته، استغل هذه الفرصة وقدَّم طلبه بإجازةٍ، تم قبولها.

ذهب إلى منزله وأخذ يحضر حقيبة سفره، سيسافر بعد غد، وكان أول ما وضع فيها هدايا حبيبته، فستظل حبيبته مهما حدث ومهما قالت ومهما أبعدتهما الأقدار.

أغلق هاتفه، وحسابه الإلكتروني، لم يتمنَّ قبل أن يسافر سوى شيئين: أن يرى صوفيا ليذيقها، ولو جزءًا بسيطًا من مرارة الظلم الذي وقع عليه، وليأتي بها راغم" تحت قدمي حنين معتذرة منها.

كما تمنى أن يرى حنين ويلمس يديها لآخر مرة، طالبًا منها العفو والمغفرة عن خطأ لم يتعمده، ولكن يبدو أن القدر لم يقبل لطهرها أن يتلوث بخطاياه.

اتصلت حنين بعبير لتخبرها، بالرسالة، فجاء ردها محذرًا لها من الانسياق خلف قلبها مرة أخرى.

– هو مش من حقه عليَّ يا عبير إني أسمع له، أديله فرصة يمكن في حاجة أنا ما أعرفهاش.

– الموضوع كله احنا مانعرفهوش يا حنين مش حاجة واحدة، احنا اتفاجئنا، الموضوع كبير إنه يكون مخبيه المدة دي كلها، كان يقدر يحكي ويبرر من الأول، مش بعد ما صاحبته تيجي تصدمك بالشكل ده،

ثم أردفت قائلة: خليني معاكي للآخر، سمعتي له، إيه الخطوة اللي بعد كده؟! تقدري تقوليلي، ممكن أقولك ممكن يسيبها هي ويختارك أنت، لكن هل هيسيب ابنه أو بنته، مهما كان السبب؟!

صمتت حنين تفكر في كلام عبير، كلام يخاطب عقلها بشكل متزن، ولكن قلبها الذي أحبه كقلب أم، حينما يخطأ طفلها قد يظهر القسوة، ولكن في أعماقه يذوب شوقًا وشفقة على حاله.

قطع تفكيرها كلمات عبير وهي تقول: لو حابة أخلّي خالد يكلمه، عشان مايحاولش يكلمك أو يقرب منك بأي طريقه.

– لأ لأ، أنا مش صغيرة يا عبير، وبعدين ما أنا قولتلك أنا بعتله إيه!!

– ماشي حبيبتي، ربنا يبعد عنك كل شر.

شردت في كلمتها "شر"، لم يكن يوسف شرًّا في يوم من الأيام، أو أنه كان يخدعها، ولكن قلبها يخبرها أنه لم يكن يفعل.

كانت دائمًا ما تحب أن تخوض التجربه لمنتهاها، أمهلت نفسها، بضع ساعات لتكتمل فكرة ما في رأسها..

مر على آخر لقاء لهما شهور، وقد قاربت المده المحددة لها في العمل أن تنتهي وستعود، ولن تستطيع رؤيته مجددًا.

ماذا لو أعطته فرصة أن يقول ما عنده، أرادت أن تكون رحيمة به وبقلبها الذي اشتاق له كثيرًا.

حاولت الوصول إليه، لم تستطع أن تحادثه بأي وسيله، هاتفه مغلق، حساب الفيس بوك محظور، رسائل إلكترونية كثيرة والنتيجة واحدة: لا رد.

قلق واشتياق، حزن ودموع، على أي ذنب يعاقبها، هل كان ذنبها قلب أحبه واعتبر مستحيله ممكنًا ولو كلَّفه ذلك حياته؟!

كلما لمحت من يشبهه، يتوقف قلبها للحظات حتى تدرك عيناها أنه ليس هو من تبحث عنه وتشتاق روحها قبل عينها لرؤياه، ليعود القلب مخذولًا كعطشان في صحراء وجد ماءه الذي تخيل سرابًا.

استبدَّ بها الحنين، أخذت قرارها: لن أعود الليلة إلا بعد أن أراه وأطمئن عليه، وأسمع منه ما يريد قوله.

أخذ قلبها يتراقص في صدرها فرحًا.. دماؤها تجري في عروقها حماسًا واشتياقًا..

جاءتها الفكرة، وهي التي يومًا لم تعترف بالمستحيل، أعلم مكان عمله.. ولكن لو زرته في المستشفى من الممكن أن أسبب له الإحراج أمام زملائه.

إذن أنتظره، سيارته، أعرفها جيدًا، سأبحث عنها، فبالتأكيد ستكون في محيط منطقة عمله.

كانت ليلة باردة جدًّا، لم يهمها الطقس، لا يهم كم سأبحث أو كم سأتعب لا يهم ما سيحدث قبل أو بعد ذلك، المهم أن تراه عيني ويطمئن عليه فؤادي.

أخذت تبحث عن سيارته، حتى وجدتها، أخذ قلبها يرتجف، ها هي سيارته، تحبها أيضًا، فقد شهدت معه فيها ضحكات وعبرات، رحلات وذكريات، لن تمحى من أعماق ذاكرتها.

نظرت للرصيف المجاور للسيارة وابتسمت له وقالت: اسمحلي أقعد معاك أونّسك لحد ما ييجي، وجلست.

نظرت إلى مقبض السيارة وتحسسته، كم أحسدك فقد لمستك أصابعه، المقود، الكرسي، كيف يحظى بقربك جماد أكثر منِّي؟!

استدعت ذاكرتها، لحظات كثيرة كانت تقدم له فيها الحب، وكان رده عليها تجاهلًا.

نفضت عن قلبها الحزن الذي خيَّم عليه.. لا أريدك إلا سعيدًا اليوم، أتسمعني؟

كلما سمعت نقر حذاء أحدهم يقترب منها تعالى نبض قلبها وتسارعت أنفاسها ظنًا منها أنه هو القادم.

تجمعت الدقائق لتمر ساعات.

عانق البرد صديقه الظلام، وخيما على المكان، في صمتٍ مهيب، أخذت تنفث أنفاسها بين كفيها، أنفاسها التي اكتسبت دفئها من مجاورة قلبها الدافئ الحنون، فقد كادت أناملها تتجمد داخل قفازاتها.

بدأت تحدث نفسها بالرحيل، ولكن القلب أخذ يستجديها ويستحلفها البقاء، وبين مد وجزر لعقلها الرافض وقلبها العاشق، رأت قدميه تستقران إلى جوارها، رفعت رأسها لتتلاقى عيناها بعينيه، لتراه ينظر إليها وقد اتسعت عيناه من المفاجأة.

قفز الدم من قلبها صاعدًا إلى وجهها، ليحول لون خديها وأنفها وشفتيها إلى لون ياقوتة تشع نورًا في أعماق محيط مظلم.

وفي لحظةٍ هوى إليها، نزل إلى جوارها، أخذت عيناه تدوران في ملامحها وعينيها، أمسك بكتفيها وأخذها إلى صدره، همس لها وعلى شفتيه ابتسامة المصدوم، همس في أذنها، قائلًا: مجنونة..

أبعدها عن صدره لينظر لها مجددًا وكأنه لا يصدق عيناه: حنين، وحشتيني قووي.

لم تتمالك حينها نفسها من البكاء، بكاء على كل شيء، اشتاقت له وللأمان الذي كانت تشعر به في أحضانه، بكت حبيبها الذي أبى القدر أن تكون له يومًا.

أمسك بوجهها يمسح الدموع وهو يقول: أنا آسف، آسف بجد، أمسك يديها ليقبّلها، وإذ به يشعر ببرودة أطرافها من بين خيوط قفازاتها.

– إيه التلج ده؟ انتي بقى لك أد إيه قاعدة هنا؟!

قالت وهي تمسح دموعها: أنا هنا من الساعة واحدة.

نظر في ساعته ليجدها الثامنة..

أمسك برأسها يقربه إلى شفتيه ليطبع قُبلة على جبينها، لتشعر أن رأسها ينصهر بين يديه من حرارة أنفاسه.

مالَ بجزعه ليحملها، ويعيدها حيث أراد أن يراها دائمًا في أحضانه وإلى جواره.

جلس إلى جوارها، ناظرًا إليها في عدم تصديق.

– حنين، أنا مش بحلم؟!

هزت رأسها بالنفي، ونظرت له نظرة، رأى فيها مزيجًا من الحنان والحزن والتساؤلات وخيبة الأمل..

– حنين أنا مسافر بكرة مصر.

ظنت أنه يقصد بالسفر التقليدي الخاص بعمله، فأردفت قائلة: أنا جاية عشان أسمعك يا يوسف زي ما طلبت منّي..

طأطأ برأسه ثم قال: عارف إن أي كلام هقوله مش هيبقى مبرر للغلط اللي غلطته في حقك.. بس صدقيني أنا الكام شهر اللي فاتوا اتبهدلت لدرجة ماعشتهاش في حياتي كلها.

أنا فعلًا، كان في حياتي صديقة "صوفيا".

ما إن سمعت اسمها حتى انقبض قلبها وضاقت أنفاسها..

أكمل حديثه قائلًا: كان في مشاكل بينا كتير جدًّا من قبل ما تيجي انتي كندا.

لما شُفتك، مش عارف إيه اللي شدني ليكي بالشكل ده في البداية، ومع الأيام والأحداث، بقيتي بالنسبة ليَّ كل حاجة.

بعدت عنها، بعد خلاف كبير، وما أعرفش هي اختفت فين لحد النهارده.

جاءه صوتها مرتجفًا: يعني أنت ماقولتلهاش عنّي حاجة؟!

وهو يمد يده إليها، يريد أن يدفئها وأن تشعر بصدقه من خلالهما.

لم تمد حنين يدها إليه، فقد كانت خائفة من اندفاع عواطفها تجاهه؛ فما إن رأته حتى كادت تقول له إنها سامحته، ولكن شيئًا ما ألجمها.

أنزل يوسف يده في خيبة أمل وغصة قلب، قائلًا: أنا عارف إنك استحالة تثقي فيَّ تاني.

زاد من وجعه، أنها لم ترد بكلمة واحدة.

– حنين أنا ماقولتلهاش أي حاجة عنك، أنا ما أعرفش هي عرفت إزاي، وعشان تتأكدي.

مدَّ يده ليخرج أوراقًا خاصة بالقضية، وقدمها إليها، وهو يقول: فاكرة لما ماعرفتش أسافرلك في وفاة والدك؟

هزت رأسها أن نعم،

صوفيا دخَّلتني في قضية كبيرة، وكنت ممنوع من السفر على ذمة القضية دي.

سألت في اندهاش: عشان حملها وكده؟!

– صوفيا مش حامل ولا حاجة، دي تمثيلية يا حنين، بتنتقم مني بيها، وبتبعدني عنك.

بصي الأوراق دي الخاصة بالقضية، إني اشتريت أثاثات وأجهزة كهربائية بمبالغ غريبة، هي أكيد كانت مراقباني، عرفت مكانك، وأكيد عرفت إني اشتريتلك حاجات وقت ما نقلتي شقتك الجديدة، نوع من أنواع الانتقام.

إنتي لاحظتي الفترة الأخيرة إني كنت تعبان وشارد، صح؟

– وكنت بسألك كتير يا يوسف، وردك كان حاجة واحدة، مفيش حاجة ماتقلقيش، أقولك قلبي بيقولي فيه حاجة تقولي ماتبالغيش، وماتمشيش ورا قلبك على طول، صح؟!

هزَّ رأسه في إيجاب، ثم أردف قائلًا: بجد أنا آسف، إذا كان حد غلط ولازم يكفَّر عن غلطه فهو أنا، انتي مالكيش ذنب في كل الأمور دي، ومش عارف أكفر عن ذنبي ده إزاي؟!

نظرت له في إشفاق فهو في ورطة، وضع نفسه فيها نعم، ولكن يحتاج من يقف إلى جانبه، ومن يكون لمثل هذه المواقف غير المحبين.

قالت في حنان: أقدر أساعدك إزاي؟

اتسعت عيناه من الدهشة.. هل هناك من بشر بمثل صفاتك يا حنين!

– تساعديني بإيه؟! أنا مش عايز غير إنك تسامحيني..

تفحصت ملامحه بعينيها الدامعتين تحاول حفظها فيبدو أنها المرة الأخيرة التي ستراه فيها، " تسافر وترجع بالسلامه يا يوسف..

مدت يدها إلى مقبض باب السيارة لتنزل منها، أمسك بذراعها كغريق يتشبث بآخر أسباب الحياة، وبصوت ممزوج بحسرةٍ عارمه، قال: استني، أوصلك.

عادة لتجلس في المقعد الذي طالما شعرت عليه وإلى جواره بالأمان ونامت رامية عن كاهليها كل ما يتعبها ويؤرقها.

على عكس ما كان يحدث، فلم ينبس أي منهما بكلمةٍ واحدة، طوال الطريق، ولم تخلُ من نظرات جانبية كان يرمق بها يوسف حنين من حين لآخر، يريد أن يطمئن عليها، لا يريد أن يتركها.

تمنى أن يكون الطريق أطول ليمضي إلى جوارها وقتًا أكبر؛ فما إن وصلا حتى نزل إلى ناحيتها فاتحًا باب السيارة، لتنزل دون أن تلمس يده يديها كما تعودا.

نظرت له في حزنٍ عميقٍ، وقالت: بصوت بُحَّ من البرد: ربنا معاك، تروح وترجع بالسلامة.

نظر لها وهو يمد لها يده، وقال: مش هتسلمي عليَّ؟!

مدت يدها في خوف وكأنها تمدها لغريب..

ما إن استقرت يدها في كفه، حتى سألها: ممكن أعرف مين، اللي كان معاكي عند البحيرة؟!

ابتلعت ريقها في توتر وقالت: هيكون خطيبي قريب.

كمن أصابه سهم مسموم في قلبه، انتفض قلبه بقوة، وبدأ الدم يثور في شرايينه ورأسه، أفلت يدها، قائلًا: ربنا يكتبلك الخير.

أومأت برأسها، وأخذت تجر خطواتها، كميتٍ يعاني سكرات الموت الأخيرة لا يقوى على شيء.

لم ينظر صوبها، ولم تلتفت له مودعةً إياه، كما كانا يفعلان سابقًا، اختلف كل شيء عن ذي قبل ولم يعد للرجوع سبيل.

وهي تمر في حديقة منزلها وقعت عينها على الأرجوحة التي وعدها أن يؤرجحها عليها يومًا، وتذكرت حلمها الذي رأت وهي تتأرجح بحبالٍ طويلة ممتدة من السماء، ليس لها نهاية، إذن فهذا تفسير الحلم، يا حنين ستظلين تتأرجحين بين السماء والأرض لا قرار لك.

هي من كذبت عليه هذه المرة، وكانت كذبتها بمثابة المقص الذي قصت به حبال أرجوحتها، لتستقر على أرض الواقع ولكن كجثةٍ هامدة.

فأي قلبٍ هذا الذي يحيا دون يوسف؟!

ردَّ عليها يوسف بقلبه: وأي حياةٍ هذه بلا حنين؟!

انقضت الليلة على كليهما في بكاءٍ مرير.

**لم تنم حنين ليلتها، تنظر إلى ساعتها التي اعتادت أن تعدها قبل سفر يوسف، لتكون هي من توقظه، وتكون في وداعه.**

**لم ينم يوسف ناظرًا لساعته، علها تنقضي الساعات ليبتعد، كان قراره سليمًا، فهذا هو الوقت المناسب للرحيل.**

**ما إن أشرقت الشمس، حتى أخذ قبلته متجهًا إلى المطار، يعلم أنه حين يعود لن تكون حنين في كندا، انقضت الأشهر التي حلم أن يعيشها معها كلحظات، مرت سريعًا.**

**ما هذه الحياة التي يعيشها من غربةٍ إلى غربة، ظن أنه اعتادها، ولكن بعد ظهور حنين في حياته، كانت قد أصبحت له وطنًا، ما لبث أن غادره.**

**ما إن وطأت قدمه أرض مصر، حتى شعر بدفء حنين يحيط به، أرادها معه، ولكن لم تكن من نصيبه.**

**قضت حنين أيامها المتبقية في كندا، في العمل بشكل كبير ولأوقاتٍ متأخرة، لم ترد أن تجد لنفسها وقت فراغ تستطيع أن تفكر فيه في أي شيء، فما إن يهدأ يومها قليلًا حتى ترجع ذكرى يوسف لزيارتها، وتوقد بداخل قلبها الحنين إليه.**

**ترى هل سيكون في مصر حين تعود؟ هل تخبره بقدومها؟ علها تراه ويطمئن قلبها عليه ليس أكثر.**

**حاول يوسف أن يستمتع وينسى أو يتناسى جرحه العميق، وقلبه الفارغ، الذي لم تستحوذ عليه يومًا أي فتاة كما فعلت حنين.**

**أراد أن يطمئن عليها، وعلى حالة قلبها الذي رغم ضعفه، قد أصبح قاسيًا عليه، لدرجةٍ لم يعهدها منها، لم يعد من حقه أن يحادثها أو يطلب رؤياها.**

جهزت حنين حقائبها استعدادًا للرحيل، ذهبت لتودع خالد وعبير التي لم يتبقَّ لها إلا أشهر قلائل لتضع مولودتها، التي اختاروا لها، اسم "حنين"، لكي يتردد اسم حنين على ألسنتهم كثيرًا كما هي ساكنة بكيانها في قلوبهم بحبها وحنانها.

حاولت حنين أن تختار اسمًا آخر للمولودة، لكي لا يصبح حظها من الدنيا مثلها، ولكن عبير أصرت، قائلة لها: ياريتها تطلع نصك بس وهي هتبقى ست البنات كلها.

احتضنت عبير حنين بقوة، وهي تنتفض من البكاء، لمن ستعود، ستبقى وحيدة، بلا أب أو أخ أو صديق أو حتى حبيب يرعاها.

للمرة الأولى التي تتمالك فيها حنين نفسها من البكاء..

– حبيبتي ماتقلقيش عليَّ، أنا هنزل وأنا متأكدة هيبعتوني لدول تانية كتيييير، ادعيلي يطلبوني هنا تاني وأكون جنبك على طول، بس ده مايمنعش إني هاجي عشان أشوف حنين الصغننة لما توصل بالسلامة إن شاء الله،

نظرت لخالد، وابتسمت بامتنان، قائلة: خالد، بجد شكرًا على كل حاجة، تعبتكم معايا قووي الفترة دي.

بعين دامعة رد خالد: عيب الكلام ده يا حنين احنا اخوات، واحنا معملناش حاجة نستاهل عليها الشكر، خلي بالك من نفسك، وأتمنى أشوفك قريب إن شاء الله.

ركبت حنين السيارة إلى جوار خالد، نظرت صوب عبير التي كانت تنظر لروحها وهي تمشي على قدمين وهي تغيب عن ناظريها.

نظرت حنين من النافذة، وهما في طريقهما للمطار، مرت على على البحيرة حيث كانت تجلس مع يوسف، محال الطعام العربي حيث كانا يأكلان، المستشفى التي يعمل فيها من رأته ملاكها يومًا، وأخيرًا محطتها الأولى في هذه البلدة، محطة القطار التي

شهدت مولد قصة حبهما، ولقاءاتهما المشتاقة لبعضهما، المقهى التي جلست فيها، معه لأول مرة، وأخذ رقم هاتفها وهي تغادره مسرعة.

لو كانت تعلم ما سيحدث، لكانت أطالت الجلوس معه، أو لم تعطه رقمها من الأساس.

وصلت المطار، أمسكت بحقيبتها، محاولة إضحاك خالد، أخذت تتعكز على يد الحقيبة وهي تقول له: بس بقى يا ابني تعبتني طول الطريق عياط!!

ابتسم خالد بمرارة، قائلًا: هتوحشينا بجد، خدي بالك من نفسك.

ربتت على ذراعه قائلة: أنتم كمان أكيد، خد بالك على عبير، وطمنوني عليكم على طول.

سحبت حقيبتها وما إن أدارت لخالد ظهرها، حتى بدأت عيناها تتسابقان أيهما أغزر دمعًا.

حتى هذا المطار شاركت فيه يوسف بعض اللحظات، كانت دائمًا مواقفه الرجولية معها هي من تشفع له عندها وتهدئ نار قلبها التي تتقد كلما تتذكر ما حدث.

قبل أن تقلع الطائرة، كانت هي من تحلق بقلبها المتعب، في السماء تلقي التحية على أبيها وأمها، ترجوهما أن يأخذاها إليهما، فقد أعياها الاشتياق لكل الأحبة.

استيقظت من نومها، أمسكت بهاتفها لترى كم الساعة، وإذا بها تجد رسالة إلكترونية، فتحت عينها بقوة لتتأكد من اسم المرسل..

المرسل هو يوسف..

أخذت ضربات قلبها تزداد، اعتدلت جالسة، لملمت شعرها فوق رأسها بسرعة وخفة، فتحت الرسالة، وجدته وقد أرسل لها قائلًا: حنين انتي فين؟ وحشتيني، محتاجلك قووي.. اسمعي دي، ( ولا كلمة – صابر الرباعي )، متأكد هتعجبك.

وضعت سماعة الأذن، وعادت لتستلقي مجددًا على وسادتها، سارحة في سقف غرفتها الذي تلاشى وكأنها ترى السماء بنجومها، أخذت تستمع بعينٍ لامعة، مبتسمة وقلب متراقص.

أخذت تفكر كثيرًا هل ترد على رسالته أم لا؟!

القرار رقم واحد بعد المئه، الذي اتخذته في خلال دقائق قليلة من التفكير، فتحت قائمة أغانيها المفضلة، ومن بين أكثرهم قربًا لإحساسها الآن، وقف إصبعها مترددًا لأجزاء من الثانية، ثم ضغطت على زر الإرسال، أرسلت له، ( بعدك حبيبي– رضا العبد الله).

– آنسة.. يا آنسة.. احنا خلاص الطيارة في الهبوط!!

كان هذا صوت الجالس إلى جوارها في الطائرة، أيعقل أن يكون هذا حلمًا، ظنته اشتاق لها فعلًا وأرسل لها، تراه اشتاق حقًّا؟! كل ما تعرفه ومتأكدة منه أنها وقلبها اشتاقا له كثيرًا.

باتت حنين في منزل والدها ليلة من أصعب ليالي عمرها؛ فقد كان كل شيء يذكرها به، بصوته، بضحكاته معها، بكت بكاءً وكأنه مات اليوم.

لن تستطيع أن تكمل حياتها على هذا النحو؛ فالذكريات تحيطها من كل جانب، وهي التي تربطها مع الجمادات أحاسيس؛ فما بالها تفتقد من كان حبيبها، سندها وأمانها وكل من تبقى لها.

ما إن تسلمت عملها حتى بدأت تبحث عن السفر مرة أخرى، ولا يهم أين، المهم أن تبتعد، تعلم أنه سينتهي بها المطاف وحيدة، ولذلك كانت تأخذ قرارات الرحيل بلا تردد أو خوف.

ظهرت لها فرصة مناسبة للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت ترتب لإجراءات السفر، والتي ستتطلب حوالي الشهر لإنهائها.

تراك ما زلت هنا يوسف، هل تقلنا أرض واحدة وتظلنا نفس السماء، أم أنك عدت لتفصل بيننا القارات؟!

كان إحساسها به الدائم أنه ليس على ما يرام، هو ما يدفعها من فترةٍ لأخرى، للسؤال عليه.

أرسلت له منذ شهر تقريبًا رسالة تخبره فيها بموعد سفرها وطلبت منه أمنيتها الأخيرة قبل الرحيل، رؤياه، أن تراه وتطمئن عليه لا أكثر، كانت تعلم أنها ستتألم حين تراه للحظات وتودعه بعدها، ولكن حتمًا الألم سيكون أكبر إذا رحلت ولم تره.

أخبرته وتركت له القرار، أخبرته أنها ستنتظر منه ردًّا، حتى وإن كان في نفس يوم سفرها، لم ترد أن تفرض نفسها عليه هذه المرة، فلم تبعث إلا هذه الرسالة، وانتظرت.

أخذت ترتب أغراضها واحتياجاتها في حقيبة سفرها، تمنت لو تجد منه تذكارًا، لتحمله معها حيث هي ذاهبة، حتى ولو كانت ورقة صغيرة مكتوبة بخط يده.

كانت كل ذكرياته تملأ قلبها وعقلها فقط، احتفظت بكل رسائله على هاتفها وبريدها الإلكتروني، لتعاود قراءتها كلما اشتاقت له، ولابتسامة غابت عن شفتيها منذ غاب عن حياتها.

تمسك بهاتفها المحمول وتنظر له من ثانية لأخرى، علّه يحمل لها منه أي رسالةٍ أو اتصال.. تتساءل أحيانًا كثيرة ما فائدة هذا الهاتف إن لم يأتِها بصوته، مرة واحدة على الأقل في اليوم؟! وضعت حقيبتها في السيارة التي ستقلها إلى المطار.

بمرور كل دقيقة من هذا الشهر الفائت وعدم اتصاله حتى لحظتها هذه، يتضح لها قراره.

ما أقسى قلبك حبيبي، تمنيت ولو نفحة بسيطة من قسوتك لأسقيها لقلبي، عله ينساك كما تنساني، وأغيب عنك كما تغيب عني.

استقلت السيارة وانطلق السائق، ألقت نظراتها الأخيرة على بيت أبيها وشارعها، أخذت الدموع تسابق بعضها على خديها، الفراق والوداع والغربة هم أعز أصدقائها الذين لم يفارقوها يومًا، في كل تفاصيل حياتها.

أخذت تنظر من نافذة السيارة لترى أنوار مدينتها في عتمة الليل، ما بها تشع هذه الليله أكثر من أي وقت مضى؟!، شعرت أنها تودعها بكامل القوة الكامنة فيها، حتَّ الجماد حبيبي ولم تحن..

ليرتقي لمسامعها أغنية (خانات الذكريات – لأصالة)، اعتصر قلبها الألم، أدار السائق الراديو.

وصلت المطار، عينها التائهة ترى في كل من يقترب منها ويبتسم ملامحه التي كادت أن تنساها، ولكن هل ينسى القلب؟! أبدًا لم ولن يحدث من حفرت ملامحه على جدرانه؟ فقد كانت تأتي به الأحلام لها من حينٍ إلى آخر.

أنهت إجراءاتها، صعدت للطائرة، بجوار النافذة كان مقعدها، نظرت خارجًا: وداعًا يا وطني الكبير يا من تركت فيك قلبي المجروح.

**أسندت رأسها إلى مسند المقعد وأغمضت عينيها، وعندها ارتفعت عجلات الطائره مقلعة، صعد معها شهيق أنفاسها، تصاعدت دقات قلبها، وسقطت دموعها.**

**كان واقفًا ينظر للسماء وهو يستمع إلى صوت فيروز تشدو بـ ( أهواك بلا أمل)، عندما حجب صوت الأغنية، صوت طائرة تمر في سمائه، نظر لها، أغمض عينيه، زفر من صدره نارًا، وسقطت دموعه.**

**لم يرد أن يعلقها ويتعلق بخيوط ذائبة، تنتهي بهما في كل مرة، في ظلمة سحيقة، لا يخرجان منها أبدًا.**

**عاد يوسف لعمله، جسدًا خاويًا من القلب فقد أودعه حنين، ومتأكد أنه في أمان معها.**

**وضعت عبير مولودتها حنين، حنين الصغيرة كانت تشبه الكبرى، في نعومتها وبراءتها، كثيرًا.**

**مرت الأشهر آخذة كل واحدٍ منهم في طريق، تفرقت بهم الطرقات، وتشتت القلوب.. ولكن وحدها حنين، من بقيت على العهد.**

**فها هي تزور عبير لترى حنين الصغيرة وتحملها وتقبِّلها، وتستودع قلبها وتدعو الله ألا يزوره حظها من حزن أو ألم، في حبٍ أو غير ذلك.**

**لاحظت عبير، شحوب حنين وذبولها، ولكنها أكدت لها، أنه مجرد إرهاق من أثر السفر..**

**لم يتبقَّ لها سوى شيء واحد تود إنجازه قبل أن ترحل.**

**كانت قبل أن تسافر في المرة الأخيرة، قد سلَّمت صندوق الهدايا الخاص بعيد مولد يوسف الذي قد أعدته له، إلى المستشفى ليسلموه له حين يعود، وأخذت عنوان منزله، علها تحتاجه يومًا.**

كانت ليلة ممطرة قارصة البرودة، طرقات خافتة على الباب، يفتح ليراها واقفة أمامه تقطر ماء وترتعش كعصفور صغير من شدة البرد، بالكاد عرفها فقد نحلت وشحبت كثيرًا عن المرة الأخيرة التي رآها فيها.

نظرت إليه وابتسمت قبل أن تتهاوى أمامه مغشيًا عليها، حملها مسرعًا، وضعها على أريكته وأخذ يمسح بيده وجهها ويزيح شعرها الناعم الذي ألصقه الماء على بشرتها الناعمة كطفلة وُلِدَت لتوّها، أحس بحرارتها كبركان، محمومة هي، أمسك بكفها الصغير الذي تغزل في نعومته يومًا، ولكن أصابعها نحلت كثيرًا وأناملها باردة كالثلج، أخذ يبحث عمّا يدفئها به، جاء بلحافه مسرعًا وأخذ يدثرها به، جلس على ركبتيه أمامها يتأملها، أنفاسها بطيئة.

لماذا جئتِ الآن؟! بالكاد أحاول أن أتخلص من ذكراكِ، أجئتِ لتشعلي في قلبي شرارة أطفئتها منذ زمن؟!

أخذ يحدق فيها ويتأمل تفاصيلها، اشتاق لها كثيرًا..

لم يتمالك نفسه واقترب بقُبلة على جبينها وخدها وشفتيها، ملء رئتيه بنفس عميق من عطرها، كم أنت جميلة رقيقه حبيبتي، كم هو رائع الإحساس بقربك..!

لم أعترف لك يومًا بحبي، لم أعرف يومًا وصفًا لمشاعري تجاهك وأنتِ معي، هل كان انجذابًا وإعجابًا باختلافك؟ أم كان سعادة بحبك لي وتمسكك بي؟

كنتِ تخافين كثيرًا، أردتك أن تكوني أكثر جرأة، أردتك أن تقفزي من عليائك لتستقري في حياتي وفي قلبي، انتظرتك كثيرًا، وطال الوقت وفي اللحظة التي استجمعتِ أنت فيها قواك وتأهبت للمغامرة، كنت أنا ألملم بقايا قلبي وحياتي.

وأدير ظهري لك راحلًا، حينها قفزتِ وكان سقوطك مروعًا، محطمًا..

**تركتك أشلاء وظننت أنك رحلتِ إلى الأبد، لم أستمع لأنّاتك التي كانت تقول أنك مازلتِ على قيد حبي.**

**و ها انتي أمامي الآن جمعتي شتاتك وعدتِ، لطالما بحثتِ في عيني عن وصفٍ لمشاعري تجاهك، والآن لا أعرف، من ترانا يبعث الحياة والحب في قلب الآخر؟! لا بل أعرف..**

**حبيبتي، أفيقي، نعم أحبك، ولم يحبني أحد مثلك، أفيقي.. انظري، فقبل أن تطرقي بابي الآن كنت ممسكًا بكتابك أقرأ كلماتك للمرة المئة بعد الألف، حبيبتي افتحي عينيكِ وانظري لي، أمسكي بيدي وأشعريني بحنانك الذي كثيرًا ما تعطشت له واحتجته.**

**فتحت عينيها المثقلتين بدموع وعذابات السنين، لتستقر نظرتها الحنونة في عمق عينيه معلنة له حبها بدون كلمات، وابتسمت بسلام هادئ، ثم أسدلت جفنيها، كما يسدل الستار معلنًا النهاية..**

## النهاية

* * *

# إقرأ لنفس الكاتب

